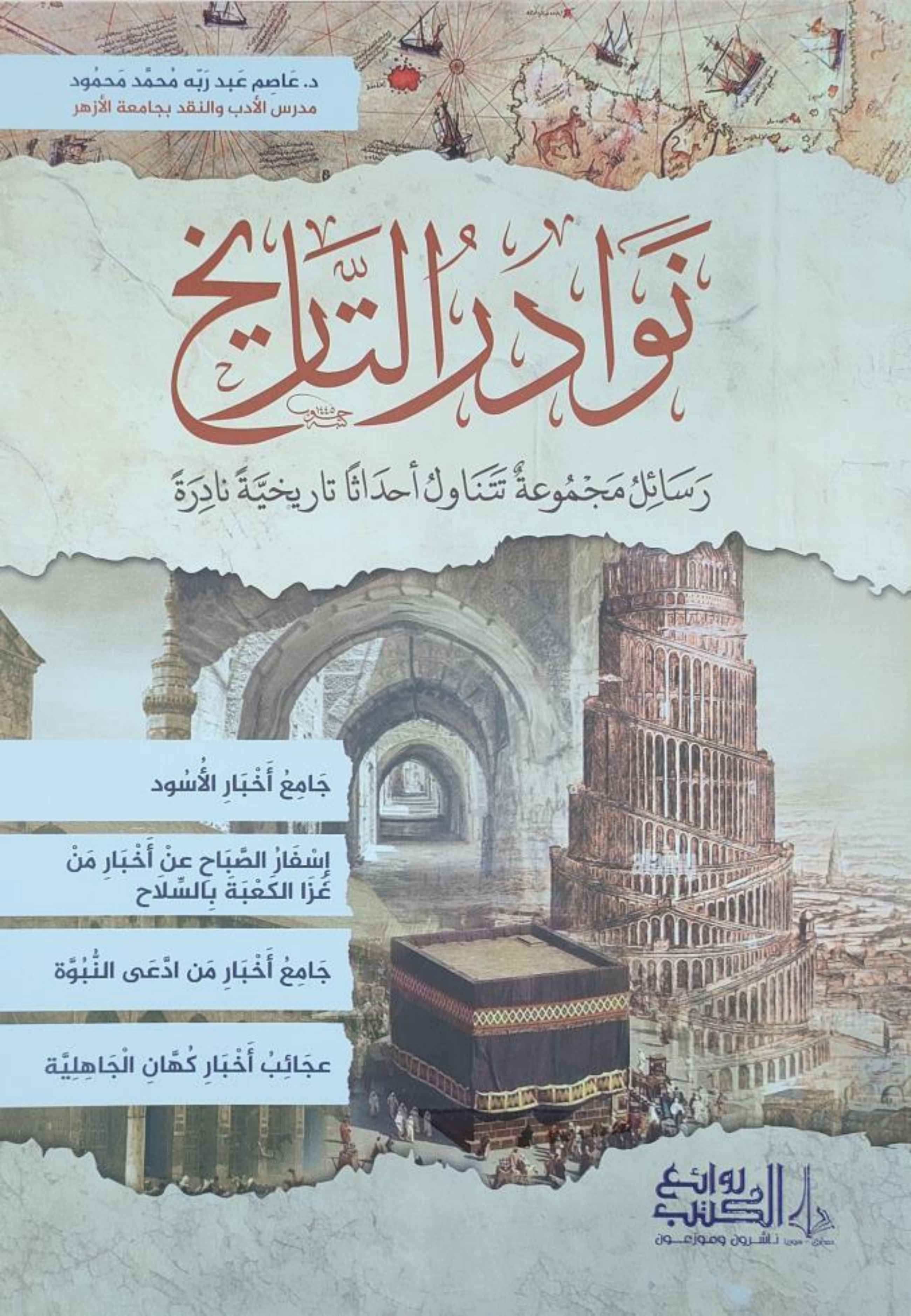

د. عَاصِم عَبد رَبّه مُحمَّد مَحمُود
مدرس الأدب والنقد بجامعة الأزهر
نَوَادِرُ التَّارِيخ
رَسَائِلُ مَجْمُوعَةٌ تَتَنَاوَلُ أحداثًا تاريخيَّةً نادِرَةً
جَامِعُ أَخْبَارِ الأُسُود
إِسْفَارُ الصَّبَاح عنْ أَخْبَارِ مَنْ غَزَا الكَعْبَةَ بِالسِّلاح
جَامِعُ أَخْبَارِ مَن ادَّعَى النُّبُوَّة
عجَائِبُ أَخْبَارِ كُهَّانِ الْجَاهِلِيَّة
روائع الكتب
ناشرون وموزعون


نوادر التاريخ
رسائل مجموعة تتناول أحداثا تاريخية نادرة





الجمهورية العربية السورية - دمشق
+963 945 039 176
rawayie.syr@gmail.com

وكيل التوزيع في الدول العربية والعالم



الجمهورية العربية السورية - دمشق
+963 933 396 811
meraj.press@gmail.com



جَامِعُ أَخْبَارِ الأُسُود
صِرَاعُ الأُسُودِ مع الملوكِ والخلفاءِ
والأُمَرَاءِ والعُلَمَاءِ والمَشْهُورِين



إِسْفَارُ الصَّبَاحِ عن أَخْبَارِ مَنْ غَزَا الكَعْبَةَ بِالسِّلَاح
أخبارُ مَنْ قَصَدَ الكعبةَ بِغَزْوٍ وَأَسَالَ عندَها
الدِّمَاء من أَبْرَهَةَ حتى جُهَيْمَان



جَامِعُ أَخْبَارِ مَن ادَّعَى النُّبُوَّة
أَخْبَارُ مَن ادَّعَى النُّبُوَّةَ وفِتَنُهم وحُرُوبُهم
وغَرَائِبُهم بدايةً مِن العَصْرِ الجَاهِلِي

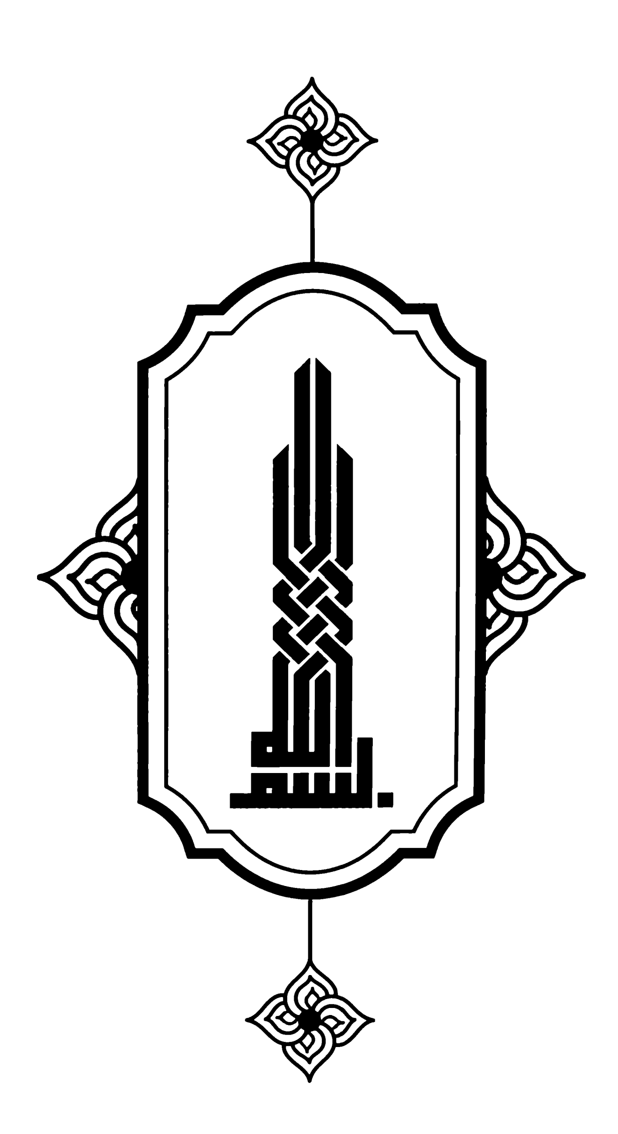


عجَائِبُ أَخْبَارِ كُهَّانِ الجَاهِلِيَّة
أخبارُ الكُهَّانِ في الجاهِلِيَّة
وما جَرَى علَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ العَجَائِب



د. عَاصِم عَبد رَبِّه مُحمَّد مَحمُود
مدرس الأدب والنقد بجامعة الأزهر





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على المبعوثِ رحمةً للعالمين، نبيِّنا محمدٍ النبي الأمي الأمين، ورضي الله عن آل بيتِه وأصحابِه والتابعين ومَنْ سارَ على الدرب، آمين، وبعد،

فإنَّ عِلْمَ التاريخ من العلوم التي تُبْهِجُ النفسَ وتَسُرُّ الخَاطر، نظرًا لما يحويه من عجائب الأخبار، وغرائب الحوادث، مع ما فيه من تذكيرٍ بِسِيَرِ السَّابقين، ونَقْلٍ لِمَآثِرِهم، وهو علمٌ يجمعُ الجِدَّ والهَزْل، والفَرَح والتَّرَح، وفيه المَثَلُ والعبرة، لذا كان تَشَوُّق القرَّاء إليه أكبر، وعنايَتُهم بالاطِّلَاع على أسراره أعْظَم.

وقد وقع الاختيارُ على عددٍ من حوادثِ التاريخ النادرةِ العجيبة لتكونَ موضوعَ كتابِنا نَوَادِرُ التَّارِيخ وهو كتابٌ يَضُمُّ عددًا من الرسائل التاريخية المجموعة التي ترصُد أحداثًا متفرقةً في بطون كتب التاريخ، وهذه الرسائل لا رَابِطَ بينَها سوى كَوْنها تنتمي إلى علم التاريخ، والكتابُ يَقْصِدُ إلى الإمتاع والتشويق والتَّرْفِيه، لكون الأحداث ذات صبغةٍ قَصَصِيَّةٍ مثيرة، وكلُّ رسالةٍ منها جديدةٌ في موضوعها، فلم يَنْتَهِ إلى علمي وجودُ أيِّ مُصَنَّفٍ مُسْتَقِلٍّ يتناول موضوعًا من تلك الموضوعات.

فالرسالة الأولى (جامع أخبار الأُسُود مع الصحابة والتابعين والخلفاء والعلماء والقادة والمشهورين) تتحدث عن حوادثِ الصراعِ الشهيرة التي جَرَت بين الأُسُودِ وبين المشهورين مِن رجالِ التاريخ، ذلك الصراع الذي لا بد أنْ ينتهيَ بقتلِ طرفٍ من الطرفين، وهي أخبار فيها الأمور العجيبةُ النادرة، والنفوسُ تَهَشُّ إلى الغريب من

الأخبار، والمَهُول من الأنباء، وتَتُوقُ إلى ما لم تَعْتَد عليه ولم تَمَلَّه بكثرةِ الرؤية، ولم تَسْأَمْه بكثرةِ الحديث، فعند الحديث عن الوحوش بصفة عامة وعن الأُسود بصفة خاصة تجد أن النفس تعتريها الرهبةُ، فالأسد مثالٌ للشجاعة المَهولة، والإقدام منقطع النظير، حتى ضَرَبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلًا حين أراد التعبير عن الفزع منه وشدة الفرار عند رؤيته فقال عن المجزوم: «وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[1]، كما عبرَ القرآنُ الكريم عن خوفِ جِنْسِ الحيوانِ كُلِّه من الأسد حين أراد وَصْفَ تَشَرْذُمِ المشركين فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝﴾ [المدثر٥٠]، وكان الأسدُ على الدوام مَضْربَ المثل في الشجاعة، فكم شَبَّهَ الشعراءُ الشجاعَ من الرجال بالأسد، وكم أطنبَ الواصفون في الحديث عن صفات الأسود الخِلْقِية والخُلُقية، ولعل أكثرَ ما يثير العجب ويبعث النفسَ على التَّشَوُّفِ أخبارُ الصراع بين الأسد والإنسان، فافتراس الأسد لآدمي، أو قتل الآدمي لأسد، يكون دائمًا من الأخبار الماتعة التي تَتُوقُ الأذن لسماعها، لذا اعتنيت بجمع هذه الأخبار قدر الاستطاعة ليكونَ مجموعُ تلك الأخبار رِسَالةً ماتعة بديعة نادرة.

الرسالة الثانية (إِسْفَارُ الصباحِ عن أخبارِ مَن غَزَا الكعبةَ بالسلاح) وهي رسالةٌ أَجْمَعُ فيها خبرَ مَن قَصَدَ البيت الحرام بالسلاح في العصور كلها، مع قَصْرِ الحديثِ على أمرين، أولهما الحوادث المشهورة التي كانَ لها أَثَرٌ كبيرٌ في الأمة الإسلامية، فلم أَتَعَرَّض للمناوشات الصغيرةِ التي جَرَت عند الكعبة، وهي كثيرةٌ متفرقة في التاريخ، ولكن لا أثَرَ لها يُذْكَر، وثانيهما الحديث عَمَّن وَصَلَ بالفعل إلى الكعبة المُشَرَّفة وأَسَالَ الدمَ عندَها، فكثيرون قَصَدوا مكةَ المكرمةَ بسلاحِهم، وأَسَالُوا فيها الدِّمَاء، ولكنهم لم يصِلوا إلى الكعبةِ المُشَرَّفَة نفسِها، فالرسالةُ تتحدث عَمَّن وصلَ إلى الكعبة المشرفة بالفعل، بدايةً مِن أبْرَهة الحَبَشي وحتى حادثة جُهَيْمَان العتيبي في العصر الحديث، والرسالة تتناول كلَّ

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٥/ ٤٤٩ رقم ٩٧٢٢ وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح بمجموع طرقه.

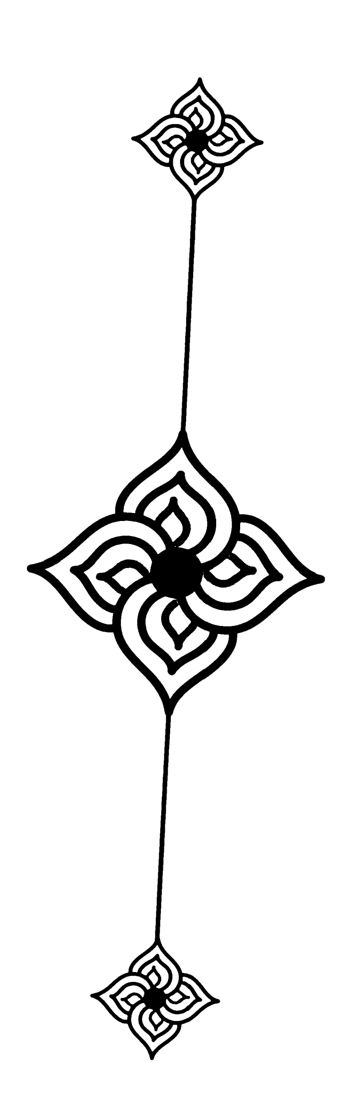
حادثةٍ مِن هذه الحوادث بتفصيلاتِها وما جرى فيها من فتنٍ ومؤامراتٍ وحروب، وهي حروبٌ مَثَّلَتْ الصراعَ بين الحق والباطل في كلِّ حادثة، كما أنَّ فيها إشاراتٍ كثيرةً تُبَيِّنُ حُرْمَةَ بيتِ الله الحرام، وعظَمَتَه عند الله وعند نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعند المسلمين، فجاءت الرسالةُ شَائِقَةً مليئةً بالحوادث الكبيرة.

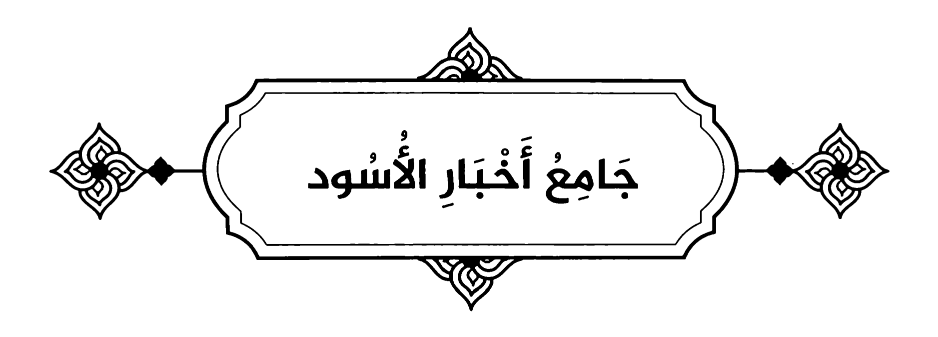
الرسالة الثالثة (جَامِعُ أخبارِ مَن ادَّعَى النبوة) وهي رسالةٌ أجمعُ فيها أخبار المُتَنَبِّئِين بدايةً من الجاهلية ثم عصر صدر الإسلام ثم العصر الأموي ثم العصر العباسي، رسالةٌ تُفَصِّل الصراعَ بين هؤلاء وبين أهل الحق في كل عصر، وتَكْشِفُ الزيفَ وَالوهم الذي عَاشَه هؤلاء وأَتْباعُهُم حتى هَلكوا، مع ما في ذلك من مناظرات وفتنٍ وحروبٍ وتضحيات، لا سِيَّما في عصر صدرِ الإسلام الذي شَهِدَ حروبَ الرِّدَّة، تلك الحروب التي شَهِدَت صراعًا عاتِيًا، وتضحياتٍ عظيمةً، وتَقْدِيمَ شهداءَ كِبَار، وهي أكبرُ الرسائل وأكثرُها خوضًا في تفصيلات المناظرات والصراعات التي درات بسبب هؤلاء المتنبئين.

الرسالة الرابعة (عَجائب أَخْبارِ كُهَّان الجاهلية) وهي رسالةٌ تجمع أخبارَ من اشتهر بالكهَانَة في الجاهلية، وما جرَى بينهم وبين المشهورين من سادةِ القبائلِ والأدباء والشعراء والعلماء وغيرهم، ومَنْبَعُ العجبِ والغرابةِ في كلام الكهان يرجعُ إلى ارتباطهم بالجنِّ وعجائبه، وإلى ما تَلَفَّظَ به هؤلاء الكهان مِن سجْعٍ عجيب يصف أمورًا شائقةً وأحداثًا غريبة، وإلى ما بَشَّر به هؤلاء الكهان من أمور مستقبليةٍ أَهَمّها وِلَادَة ومَبْعَث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغير ذلك من الحوادث العجيبة.

والحمد لله أولًا وآخرًا

الدكتور عاصم عبد ربه محمد

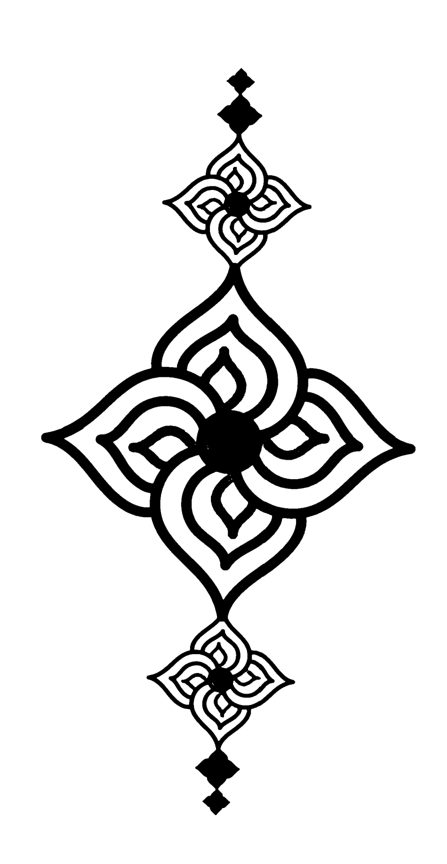






رسالة تصور صراع الأسود

مع الملوك والخلفاء والأمراء والعلماء والمشهورين



دانيال عَلَيْهِ السَّلَامُ وبُخْتُنَصَّر

يذكر أهل السير والتاريخ أن بني إسرائيل لما عَتوا عن أمر ربهم، وعاثوا في الأرض فسادًا، ونشروا الرذائل في الشام وفلسطين وما حولها، وقتلوا الأنبياء والصالحين، سلط الله عليهم (بُخْتُنَصَّر) وهو أحد ملوك بَابِل، وهو فارسي الأصل، فغزا بيت المقدس، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وخرب بيت المقدس وألقى في المدينة الجيفَ والقاذورات، وسَبَى منهم سبعين ألفًا وساقهم معه إلى بَابِل[1]، وكان من الأسرى عددٌ من أبناء أنبياء بني إسرائيل وذراريهم منهم (دانيال)، وهو نبي من نسل سليمان بن داود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[2]، وأَخَذَ معه كذلك معه رأس الجَالُوت[3]، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه.

وفي السنة الثالثة من انتصاره على اليهود وتخريبه بيت المقدس رأى بختصر منامًا رَاعَتْ رُوحُه منه، فقصّه على علماء بابل فقالوا: هذا خَطْبٌ عسير لا يَكْشِفه للملك إلا آلهةُ السماء الذين ليس مسكنهم مع الأرضيين، فامتلأ صَدْرُه لذلك غيظًا، وأمر صاحب

---

(١) هذه الحقبة هي حقبة من التاريخ اليهودي تم فيه أسر يهود مملكة يهوذا القديمة على يد نبوخذ نصر الكلداني (بختنصر)، حيث قام بختنصر بإجلاء اليهود من فلسطين مرتين، الأولى سنة ٥٩٧ قبل الميلاد، والثانية سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، وقد عاد اليهود من العراق إلى موطنهم في عهد قُورَش الكبير حاكم فارس في ذلك الوقت.

(٢) المحبر، محمد بن حبيب ص٣٩٠.

(٣) رأس الجالوت: هو رئيسهم، والجالوت هم الجالية، يعني الذين جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس، ويكون رأس الجالوت من ولد داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتزعم عامتهم أنه لا يرأس حتى يكون طويل الباع تبلغ أنامل يديه ركبتيه إذا مدهما (ينظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٥٣).

الشرطة بإهلاك المنجمين والسحرة وأصحاب الرُّقَى والزَّجْر والفَأْل، فقال دانيال لصاحب الشرطة: مهلًا لا تقتل حكيمًا ولكن أوصلني إلى الملك، فلما مَثَلَ بين يديه قال له بختنصر: أقادرٌ أنت على أن تخبرني بالرؤيا التي رأيت وتعبيرها؟ فأجابه دانيال قائلًا: إلهُ السماء والأرض هو الذي يبدي السرائر، وأنت أيها الملك رأيت صنمًا عظيمًا ذا منظر رائع، رأسه من الذهب الإبريز، وصدره وذراعاه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه حديد، ورجلاه خزف، ورأيت حجرًا انقطع من غير قاطع وضَرَبَ رِجْلَي الصنم فهَشَمَها هَشْمًا شديدًا، فهذه رؤياك، وأما التعبير فأنت رأس الذهب بما منحك الله ملكًا عزيزًا وكرامة وجلالة، ويقوم بعدك مَلِكٌ يكون دونك في العزّة، والثالث المُمَثَّل بالنحاس يكون دون الثاني، والرابع الممثَّل بالحديد دون الثالث، فيَهْشِمُ ويَدُقُّ كثيرًا من مجاوريه، أما الأرجل والأصابع التي من حديد وخزف فهي ممالك مختلفة تقوم بعد ذلك منها القوي والواهي، وأما الحجر المنقطع من جبل من غير يدٍ قاطعةٍ فدليلُ مَلِكٍ رُوحاني مُبيدٍ لكل معبود سوى الواحد الحقّ، يظهرُ في آخر الأيام، فخَرَّ بختنصر ساجدًا لدانيال وأعطاه الأَلْطَاف والهدايا ورَأَّسَهُ على جميع حكماء بابل[1].

ثم اتّخذ بختنصر صنمًا من ذهب طوله ستون ذراعًا في عرض ستة أذرع، وأمر جميع عظماء دولته أن يوافوا عيد الصنم، وأنهم إذا سمعوا صوت القَرْن وباقي أنواع الزَّمْر يخِرُّون سجّدًا للصنم، فامتثل الجميع أمرَه ما عدا دانيال وأهله، فاجتمع عصيانُهم لأمر الملك مع حسد المجوس لهم، فسَعَوْا بهم إلى بختنصر وقالوا له إنهم لا يعتدّون بأمرك، ولا يعبدون إلهك، ولا يأكلون من ذبيحتك، فدعاهم فسألهم فقالوا: أجل إن لنا ربًّا نعبده، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر بختنصر ببئر فأُلْقُوا فيه وهم ستة، وأُلْقِي معهم

(١) الطبري ١/ ٣٤٦.

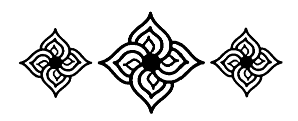
سَبُع ضَارٍ ليأكلهم، ثم قال بختنصر لحاشيته: انطلقوا فلنأكل ولنشرب، فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسًا والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخدش منهم أحدًا، ووجدوا معهم رجلًا غير الستة، فعَدُّوهم فوجدوهم سبعة، فقال بختنصر:ما بال هذا السابع إنما كانوا ستة؟؟ فخرج إليه السابع - وكان مَلَكًا من الملائكة - فلطمه لطمة فصار هائمًا على وجهه لا يأنس إلا بالوحوش، وظل على ذلك سبع سنين[١].

ويذكر ابن الجوزي أن بختنصر رمى بِدانيال مغلولًا فِي جب في فَلَاةٍ من الأَرْض، وألقى معه سَبُعَيْن وأطبق عليه الجب، فبقي تسعة أَيَّام، فأوحى الله تَعَالَى إِلَى نبي من أنبياء بَنِي إسرائيل: أن انطلق فاستخرج دانيال من الجب، فَقَالَ: يا رب من يدلني عَلَيْهِ؟ قَالَ: يدلك عَلَيْهِ مَرْكَبُك، فركب أتانًا لَهُ ثم خرج يطوف وينادي قائلًا: يا صاحب الجب، فأجابه دانيال قائلًا: قَدْ أَسْمَعْتَ فَمَا تريد؟ قَالَ: أنا رَسُول الله إليك لأستخرجك من هَذَا الموضع، فَقَالَ دانيال: الحمد لله الَّذِي لا ينسى مَن ذكره، والحمد لله الَّذِي لا يَكِلُ من توكل عَلَيْهِ إِلَى غيره، والحمد لله الَّذِي يجزي بالإحسان إحسانًا، وبالإساءة غفرانًا، ثُمَّ استخرجه والسَّبُعَان يمشيان مَعَهُ، فعزم عليهما دانيال أَن يرجعا إِلَى الغَيْضَة فرجعا[٢].

ولما فتح أبو موسى الأشعري بلاد السُّوس[٣] في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجد قبر دانيال، وكان في بيت محفور في حجارة، وتحت الحفر ثلاثون جَرَّة من نحاس مُرَصَّصَة الرءوس، وتحت الجرار وعاء في حفرة من حجارة، فلم يدر أبو موسى ما هو، فسأل عنه، فقالوا: لا ندري ما هذا، غير أنه كلما أَظَلَّنَا عَدُوٌّ أو حُبس عنا القطر كشفنا عند رأس القبر وكشفنا

(١) الطبري ١/ ٣٤٧.
(٢) المنتظم ١/ ٤١٧.
(٣) بلدة تتبع خُوزِسْتَان شرقي العراق، فتحها المسلمون سنة ١٧هـ (ينظر: معجم البلدان ٣/ ٢٨٠).

وجهه لنستسقي به، فكتب أبو موسى إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بذلك، فكتب إليه عمر: إن الرجل هو دانيال، فادفنه حيث لا تمسه أيدي الخاطئين، فكفنه أبو موسى ثم قطع نهر تُسْتَر[١]، ثم جعله في صندوق من حجارة ودفنه في النهر، ثم أجرى عليه الماء[٢].



(١) أعظم مدن خُوزِستان، ملاصقة للسُّوس، فتحها المسلمون سنة ١٧هـ (ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٠).
(٢) المعارف لابن قتيبة ص٤٩، والطبري ٢/ ٥٠٥.

عُتَيْبَةُ بن أبي لهب

كانت أُمُّ كُلثُومٍ بِنتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تزوجت عُتَيبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ أَخُو عُتبَةَ، بينما كانت رقيةُ تحت أخيه عتبة، أما أم كلثوم فقد فَارَقَهَا عتيبة قَبلَ الدُّخولِ بِهَا، حيث إنه لَمَّا أَنزَلَ اللهُ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد ١] ، قَالَ أَبو لَهَبٍ لابْنَيهِ عُتبَةَ وَعُتَيبَةَ: رَأسِي من رُءُوسِكُمَا حَرَامٌ إن لَمْ تُطَلِّقَا ابْنَتَيْ مُحمدٍ، وَقَالَت أُمُّ جَمِيلٍ بِنتُ حَربٍ، حَمَّالَةُ الحطَبِ: طَلِّقاهُمَا، فَإِنَّهُما قَد صَبَأَتَا، فَطَلَّقَاهُما[1].

كان أبُو لهبٍ وابنُهُ عُتيبةُ قد تجهّزا إِلى الشّامِ، فقال ابنُهُ عُتيبةُ: واللهّ لأنطلِقنّ إِلى محمد فلأُوذِينّهُ فِي ربِّهِ، فانطلق حتّى أتى رسُول اللهّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا مُحمّدُ، أنا كافرٌ بِالّذِي دنا فتَدَلَّى فكان قاب قوسينِ أو أدنى، فقال رسُولُ اللهّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللّهُمّ ابعث عليهِ كلْبًا مِن كِلابِك»[2] وأبُو طالِبٍ حاضِرٌ فَوَجِمَ واهتم وقال: ما أغناكَ عن دعوةِ ابنِ أخِي، فرجع عتيبة إلى أبيه فقال له: أي بُنيّ، ما قُلت لهُ؟ قال: كفرتُ بِإِلهِهِ الّذِي يعبُدُ، قال: فماذا قال لك؟ قال: قال اللّهُمَّ ابعث عليهِ كلبًا مِن كِلابِك، فقال أبوه: أي بُني، واللهّ ما آمنُ عليك دعوة مُحمدٍ.

ثم خرج عُتيبةُ مع أبيه وأصحابِهِ فِي عِيرٍ إِلى الشّامِ، حتّى إِذا كانُوا بِموضع بالشّامِ زَأَر أسدٌ، فجَعَل عتيبة يرتعد، فقِيل لهُ: مِن أيِّ شيءٍ ترعدُ؟ فو اللهّ ما نحنُ وأنت إِلّا سَواءٌ،

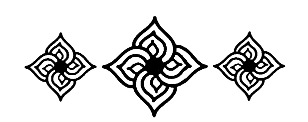
(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم ٦/ ٣١٩٨.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٥/ ٢١١ رقم ١٠٣٤٦ وحسّنه ابن حجر في فتح الباري ٤/ ٣٩.



فقال: إنَّ مُحمّدًا دعا علي، ووالله ما أَظَلَّتِ السّماءُ أصدقَ لهجة مِن مُحمّدٍ، ثُمّ وضعُوا العشاء فأكلوا بينما عتيبة يلتفت يمينًا ويسارًا دون أن يضع لقمة في فيه.

فساروا حَتَّى نَزَلوا مكانًا يسمى الشَّرَاةَ[1]، وَهِيَ أرض كثيرة الأسود، فنَزلوا إِلَى صَومَعَةِ رَاهِبٍ فَقَالَ: يَا مَعشَرَ العَرَبِ مَا أَنزَلَكُم هَذهِ البِلَادَ وَإِنَّهَا مَسرَحُ السباع؟ فَلما سمع أبو لهب كلام الراهب قال: إِنَّكُم قَد عَرَفتُم حَقِّي؟ قالوا: أَجَل يَا أَبَا لَهَبٍ، فَقَالَ: إِنَّ مُحمدًا قَد دَعَا عَلَى ابنِي دَعوَةً وَالله مَا آمَنُهَا عَلَيهِ، فَاجمَعُوا مَتَاعَكُم إِلَى هَذِهِ الصَّومَعَةِ، ثُمَّ افرِشُوا لِابْنِي عُتَيبَةَ، ثُمَّ افرِشُوا حَولَهُ لتحرسوه، قَالَ: فَفَعَلْنَا، حيث جَمَعنَا المَتَاعَ حَتَّى ارْتَفَعَ ثُمَّ فَرَشنا لَهُ عَلَيهِ فنام فوقه، وَفَرَشْنَا حَولَهُ لنحرسه، فَبَينَما نَحنُ حَوْلَهُ وَأَبُو لَهَبٍ مَعَنَا أعلى الأرض وعتيبة فَوقَ المَتَاعِ، إذ أَطَافَ بهم الأسد تِلكَ اللَّيْلَة، فَجعل عتيبة يَقُول:يَا ويل أُمِّي، هُوَ وَالله آكِلي كَما دَعَا عَليّ مُحَمَّد، أيقتلني محمد وَهُوَ بِمَكَّة وَأَنا بِالشَّام[2]، فَجَاءَ الأَسَدُ فَشَمَّ وُجُوهَ القوم، فَلَمَّا لَم يَجِد مَا يُرِيدُ تَجهز ثُمَّ وَثَبَ وثبةً عظيمة فَإِذَا هُوَ فَوقَ المَتَاعِ، فَجَاءَ إلى عتيبة فَشَمَّ وَجهَهُ ثُمَّ ضربه ضربة فَشَدَخَ رَأْسَهُ فَصاح، وَوَثَب الناس فَانطَلَقَ الْأَسَدُ وَقَد قتله، فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ: قَد عَرَفتُ وَاللهِ مَا كَانَ لِيَنفلت مِن دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ[3].



(١) موضع بالشام على طريق القادم من دمشق إلى المدينة المنورة (ينظر: معجم البلدان ٣/ ٣٣٢).

(٢) سمط النجوم العوالي ١/ ٤١٠.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ٥/ ١٦٦/ وتاريخ دمشق لابن عساكر ٦٧/ ١٦٢، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٤٥٤، والشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٦٣٢.

سَفِينَةُ خادم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هو سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كنيته أَبُو عَبد الرَّحمنِ، كَان عَبدًا لأُمِّ سَلَمَةَ فَأَعتَقَتهُ، وَشَرَطَت عَلَيْهِ أن يَخدُمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَاشَ، لَهُ صُحبَةٌ ورِوَايَةٌ، واسمُهُ مِهْرَانُ، وَقِيلَ: رُومَانُ[1].

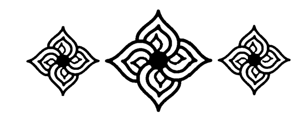
وعن سعيد بن جُمهان قال: قُلْتُ لسفينة: لِمَ سَمَّاك رسول الله سَفِينَةَ؟ قَالَ: خَرَجَ رسول الله وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فثَقُلَ عَلَيْهِمْ مَتَاعُهُمْ، فَقَالَ لِي «ابسط كساءك» فَبَسَطْتُهُ، فَجَعَلُوا فِيهِ مَتَاعَهُم ثمَّ حَمَلُوهُ عَلَيَّ، فقال لي رسول الله: «احْمِلْ فَإِنَّمَا أَنْتَ سَفِينَةٌ» فَلَوْ حَمَلْتُ يَوْمَئِذٍ وِقْرَ بَعِيرٍ أَو بَعِيرَينِ أَو ثَلاثَةٍ أَو أَربَعَةٍ أَو خَمسَةٍ أَو سِتَّةٍ أَو سَبعَةٍ ما ثَقُل عليَّ[2]، وقال أيضًا: قال: كنا مع رسول الله فَمَرَرْنَا بِوَادٍ - أَوْ نَهَرٍ - فَكُنْتُ أُعَبِّرُ النَّاس، فقال لي رسول الله «مَا كُنْتَ مُنْذُ اليَومِ إِلَّا سَفِينَةَ»[3]، وعنه أنه قال: كنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر فكلما أَعْيَا بعضُ القوم أَلْقَى عليَّ سيفه وتِرْسَه ورُمْحَه حتى حملت من ذلك شيئًا كثيرًا، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنت سفينة»[4].

وذات يومٍ سافر سفينةُ في مركب مع بعض المسلمين، فغرقت السفينة، وسَبَح سفينة

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ٤١١.
(٢) مسند أحمد ٥/ ٢٢١ رقم ٢١٩٧٨ وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، والبداية والنهاية ٥/ ٣٣٧.
(٣) مسند أحمد ٥/ ٢٢١ رقم ٢١٩٧٤ وقال الأرناؤوط: حديث حسن.
(٤) مسند أحمد ٥/ ٢٢١ رقم ٢١٩٧٥ وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح.

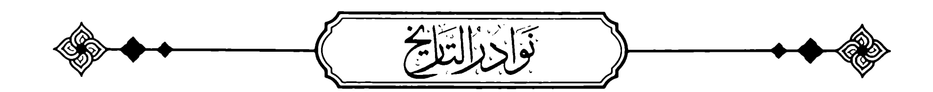


حتى وصل إلى جزيرة، يقول سفينة: ركِبتُ سَفِينَةً فِي البَحرِ فَانكَسَرَت، فَرَكِبتُ لَوْحًا مِنهَا فَأَخرَجَنِي إِلَى أَجَمَةٍ فِيها أَسَدٌ، إذ أَقبَلَ الأَسَدُ فلمّا رَأيتهُ قُلتُ: يَا أَبَا الحَارِثِ! أنا سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَضَرَبَ بِذَنَبِهِ الأَرضَ وَقَعَدَ[1]، ثم طَأْطَأَ رَأسَه وأَقبَلَ نَحْوِي حَتَّى ضَرَبَنِي بِمَنْكِبِهِ فَأَخرَجَنِي من الأَجَمَةِ، ثُمَّ مَشَى مَعِي حتى أَقَامَنِي عَلَى الطرِيقِ، قَالَ: ثم هَمْهَمَ سَاعَةً وَضَرَبَنِي بِذَنَبِهِ، فَعَلِمتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنِي، فَكَانَ هَذَا آخِرَ عَهْدِي بِهِ[2].



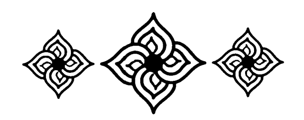
(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤/ ٦٢٥.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٥٨٣، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٥



هاشمُ بنُ عتبة بن أبي وَقَّاص

في ذي الحجة سنة ١٥هـ كانت المسلمون في خِضَمِّ فُتُوح بلاد فارس، وكان جيش المسلمين قريبًا من المَدَائِن وحول بغداد، حيث خرج هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بطائفةٍ من الجيش، وخرج سعد بن أبي وقاص في أَثره ليلْحَقَه ببقية الجيش، ووقف هاشمٌ لسعد حتى لحق به، فوافق ذلك رجوع (المُقَرَّط) وهو أسدٌ كان لكسرى، قد أَلَّفَه وتخَيَّرَه من أُسُودِ فارس، فبادرَ المقرط فخرج للمسلمين، فرأى الناسُ شيئًا مَهُولا، فقد كان أسدًا ضخم الجثة عظيم اللِّبد، فجعل يزأر ويضرب الأرض بقدمه، فلما رأى هاشم ما نزل بالناس من الأسد نزل إليه، وتقدَّمَ فشَهَر سيفَه ومشى نحو الأسد، والناس في وَجَلٍ عظيم، فلما رآه الأسد زَأَرَ زأرةً عظيمةً ثم اندفع نحو هاشم، فلما اقترب منه قفزَ قفزةً هائلة فَتَلَقَّاه هاشمٌ بسيفه فوقع في لَبَّتِه فخر صريعًا كأنه حجر، فكبر المسلمون وأقبل سعدٌ فَقَبَّلَ رأسَ هاشم، وقبل هاشمٌ قدَمَ سعد[١].



(١) الطبري ٢/ ٤٥٦، والبداية والنهاية ٧/ ٦١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٣٣٥.

جَحْدَرُ بنُ مَالك

قال ابن الأَعرَابِيِّ:كان رَجلٌ مِن بَني حَنِيفَةَ يُقَال لَهُ جَحْدَرُ بنُ مَالِكٍ، وَكَانَ فَاتِكًا خارجًا معارضًا للخليفة بِأَرضِ اليَمامَةِ، فَأَرسَلَ الحَجَّاجُ بن يوسف الثقفي إِلَى نَائِبِ اليمامة يُؤَنِّبُهُ وَيَلومُه عَلَى عَدَمِ القبض على جحدر، فَمَا زَالَ نَائِبُهَا فِي طَلَبِهِ حَتَّى وجَّه إليه العاملُ فِتْيَةً من بني حنظلة وجعل لهم جُعلًا عظيمًا إنْ هم قتلوا جحدر أو أَتَوْا به أسيرًا، فتَوَجَّه الفتية في طلبه حتى إذا كانوا قريبًا منه أرسلوا يقولون له إنهم يريدون الانقطاعَ إليه والارتفاقَ به، فوثق بذلك منهم وسَكَن إلى قولهم، فبينما هو معهم يومًا إذ وثبوا عليه فشدوا وثاقَه وقَدِمُوا به على العامل فَوَجَّهه مِن فوره إلى الحجاج، فَقَالَ لَهُ الحَجَّاجُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا كُنتَ تَصنَعُهُ؟ فقال: جَرَاءَةُ الجَنَانِ، وَجَفَاءُ السُّلطَانِ، وَكَلبُ الزَّمَانِ، ولو اختَبَرَنِي الأميرُ لوجدني من صالح الأعوان، وشَهْم الفرسان، ولوجدني مِن أصلح رعيته، ذلك أَنِّي مَا لَقِيتُ فَارِسًا قَطُّ إِلَّا كُنتُ عَلَيهِ فِي نَفسي مُقتَدِرًا، فقال لَهُ الحَجَّاجُ: إِنَّا قَاذِفُوكَ فِي حَائِرٍ[1] فِيهِ أَسَدٌ عَاقِرٌ، فإنْ قَتَلَك كفَانا مُؤْنَتَكَ، وَإِن قَتَلتَهُ خَلَّيْنَا سبيلكَ، ثُمَّ أَودَعَهُ السِّجنَ مُقَيَّدًا مغلُولَةً يَدُهُ اليُمنَى إِلَى عُنُقِهِ، وَكَتَبَ الحَجَّاجُ إِلَى نَائِبِهِ بِكَسْكَرَ[2] أَن يَبعَثَ بِأَسَدٍ عَظِيمٍ ضَارٍ، وَقَد قَالَ جَحْدَرٌ هذا في مَحبَسِهِ أَشعَارًا يَتَحَزَّنُ فِيهَا عَلَى امرأته سليمى أم عمرو، حيث يقول:

(١) وادٍ أو حوضٌ عظيم يابس (ينظر: تهذيب اللغة ٥/ ١٤٩).
(٢) بلدة بالعراق قريبة من واسط (ينظر: معجم البلدان ٤/ ٤٦١).

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وإيانا فذاكَ بنا تَدَانِي
بَلَى وترى الهلالَ كما نراه وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ إِذَا عَلَانِي
إِذَا جَاوَزْتُمَا نَخَلَاتِ نجدٍ وأوديةِ اليمامةِ فانعِيَاني
وقُولَا جَحْدَرٌ أَمْسَى رَهِينًا يُحَاذِرُ وَقْعَ مَصْقولٍ يَمَانِي

فلَمَّا قَدِمَ الأَسدُ على الحَجَّاج أمر بِهِ فَجُوِّعَ ثَلاثَةَ أَيَّام، ثمَّ أُبرِزَ إِلَى الحائِرِ وَأَمرَ بِجَحدَرٍ فَأُخرِجَ فِي قُيُودِهِ وَيَدُه اليُمنَى مَغلُولَةٌ إلى عنقه، وَأُعطِيَ سَيفًا فِي يَدِهِ اليُسرَى وَخُلِّيَ بَينَهُ وَبَينَ الأَسَدِ وَجَلَسَ الحَجَّاجُ وَأَصحَابُهُ فِي مَكان مرتفع، وَأَقبَلَ جَحدَرٌ نَحوَ الأَسَدِ وَهُوَ يَقُولُ:

لَيثٌ ولَيثٌ فِي مَجَالٍ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو أَنَفٍ وَمَحْكِ
وَشِدَّةٍ فِي نَفْسِهِ وَفَتْكِ إِنْ يَكْشِفِ اللهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
فَهْوَ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكِ

فلَمَّا نَظَرَ إِلَيهِ الأَسَدُ زَأَرَ زَأرَةً شَدِيدَةً وَتَمَطَّى ونهض ووثب وزعق زعقةً دوت منها الجبال، وارتاع أهلُ الأرض، ثم أَقبَلَ نَحوَ جحدر، فَلَمَّا صَارَ مِنهُ عَلَى قَدْرِ رُمحٍ وَثَبَ الأَسَدُ عَلَى جَحدَرٍ وَثبَةً شَدِيدَةً، فَتَلَقَّاهُ جَحدَرٌ بِالسَّيفِ فضرَبه ضربةً أصابت عنقَه، فَخَرَّ الأَسَدُ كَأَنَّهُ خَيمَةٌ قد صَرَعَتهَا الرِّيحُ مِن شِدَّةِ الضَّربة، وَسَقَطَ جَحدَرٌ من شدَّةِ وَثبَة الأَسد وَشِدَّةِ مَوضِعِ القُيُودِ عَلَيهِ، فكَبرَّ الحَجَّاجُ وَكَبَّرَ أصحابُه، وأنشدَ جَحدَرٌ يَقُولُ:

يَا جُمْلُ إِنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ كَرِيهَتِي ... فِي يَوْمِ هولٍ مُسْدِفٍ وَعَجَاجِ

وَتَقَدُّمِي لليث أَرْسُفُ مُوثَقاً ... كَيْمَا أُسَاوِرُه على الأَحْرَاجِ

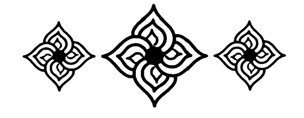
شَثْنٌ بَرَاثِنُهُ، كَأَنَّ نُيُوبَهُ ... زُرْقُ الْمَعَاوِلِ أَوْ شِبَاهُ زُجَاجِ

يَسْمُو بِنَاظِرَتَيْنِ تَحْسَبُ فِيهِمَا ... لَهَبًا أَحَدَّهُمَا شُعَاعُ سِرَاجِ

وَكَأَنَّمَا خِيطَتْ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ ... بَرْقَاءُ أو خِرَقاً مِنَ الدِّيبَاجِ

لَعَلِمْتِ أَنِّي ذُو حِفَاظٍ ماجِدٍ ... مِنْ نَسْلِ أقوامٍ ذوي أَبْرَاجِ

فَعِند ذَلِكَ خيَّره الحَجَّاجُ إن شَاءَ أَقام عِندَهُ، وَإِن شاءَ انطَلَقَ إِلَى بِلَادِه، فَاختَار المَقَامَ عِندَ الحَجَّاجِ، فَأَحسنَ جَائِزَته وَأَعطَاهُ أَموَالًا[1].



(١) البداية والنهاية ٩/ ١٤٦، والمستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ١/ ٤٨٠.

الخليفة المُعْتَضِد

بعد سنوات طِوالٍ عاشتها الخلافةُ العباسية بين عَبَثِ الغِلْمان الأتراك وتَدَخُّلِهم في شئون الحُكْم، وبعد مقتلِ عددٍ من خلفاء بني العباس تِبَاعًا على أيدي هؤلاء الغلمان، أَذِن اللهُ للخلافة العباسية أن تعودَ إلى هيبتها، حيث بُويع المعْتَمِدُ[1] بالخلافة سنة ٢٥٦هـ، حيث كانت خلافتُه إيذاناً بعودةِ هيبة الخلافة وتَخَلُّصِها من تَسَلُّط الأتراك عليها وعلى الخلفاء، ولم يكن الفضل في ذلك يرجع إلى المعتمد، فإنه كان منهمكاً في اللهو والعبث، بل كان يرجع في كل شيءٍ إلى أخيه طلحةَ المُوَفَّق[2]، الذي قام بأعباء الخلافة وأحاطها بقبضةٍ من حديد، وظل أمرُ الخلافة على ذلك حتى مات الموفق سنة ٢٧٨هـ، ومات من بعده الخليفة المعتمد مباشرةً سنة ٢٧٩هـ، وتَوَلَّى المعتضد[3] (ابن الموفق) الخلافة، وسار المعتضد بسيرة أبيه الموفق، فحافظ على هيبة الخلافة وقوتها، ولم يكن لقادة الأتراك في عهدِهِ أيُّ دورٍ يُذْكَر.

---

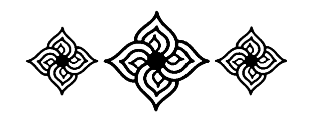
(١) هو أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم، الخليفة العباسي الخامس عشر، ولد سنة ٢٢٩هـ وتولى الخلافة سنة ٢٥٦هـ ومات سنة ٢٧٩هـ (ينظر: الديارات للشابشتي ص ٦٣ ٦٩).

(٢) طلحة (الموفق بالله) ابن جعفر (المتوكل على الله) ابن المعتصم، العباسي، أبو أحمد، أمير، من رجال السياسة والإدارة والحزم، لم يل الخلافة اسمًا، ولكنه تولاها فعلًا، ولد ببغداد، ومات بها سنة ٢٧٨هـ (ينظر: الأعلام ٣/ ٢٢٩).

(٣) هو أبو العباس أحمد بن طلحة بن جعفر، الخليفة العباسي السادس عشر، ولد سنة ٢٤٢هـ، وتولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ ومات سنة ٢٨٩هـ (ينظر: شذرات الذهب ٢/ ١٩٩).

وقد اشتهر المعتضد بالشجاعة وثَبَات الجَنَان، قال جُعَيْفٌ السمرقندي الحاجب: كُنْتُ مَعَ مَولَايَ الْمُعتَضِدِ فِي بَعْضِ مُتَصَيَّدَاتِهِ وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيري، إذ خَرَجَ عَلَينَا أَسَدٌ فَقَصَدَ نحونَا، فَقَالَ لِيَ المعتضد: يا جُعَيْف أَفِيكَ خيرٌ اليوم؟ -يعني هل تستطيع مواجهته - قلت: لا والله، قَالَ: وَلَا أَن تُمسِكَ فَرَسِي وَأَنزِلُ أَنَا؟ فقلت: أمَّا هذه فَبَلَى، قال: فنزل عن فرسه وَغَرَزَ أَطرَافَ ثِيَابِهِ فِي مِنطَقَتِهِ وَاسْتَلَّ سيْفَهُ وَرَمَى بِقِرَابِهِ إِلَيَّ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلى الأَسد، فاندفع الأسدُ نحوه يَهْدِرُ كالرعد، وقبل أن يصل إلى المعتضد بخطوات وثب -كعادة الأسود- وثبةً عظيمة، فضربه المعتضد بِالسَّيفِ فَقطع يَدَه، فَانشغَلَ الأَسَدُ بِيدِه وانصرف قليلًا عن المعتضد، فَشَدَّ عليه المعتضدُ فضربه ضَربَةً ثَانِيَةً عَلَى رأسه فَفَلَقَهَا، فَخَرَّ الأَسدُ صَرِيعًا، فَدَنَا مِنه فَمَسَحَ سَيْفَهُ في صُوفِهِ ثم أَقبَلَ إِلَيَّ فَأَغمَدَ سَيفَهُ في قِرَابِهِ، ثُمَّ ركب فرسَه فذهبنا إِلَى العَسكَرِ.

قَالَ: وَصَحِبتُهُ إِلى أَنْ مات فما سَمِعتُهُ ذَكَرَ ذلك لِأَحد، فما أَدرِي مِن أي شيءٍ أَعْجَبُ؟ مِن شَجاعتِه أَم مِن عَدَمِ احتِفَالِهِ بذلكَ حَيثُ لَم يَذكُرهُ لأَحدٍ، أَم مِن عَدَمِ عِتَابِهِ إِيَّاي حينَ ضَنِنْتُ بِنَفسِي عَنهُ، ووَاللهِ ما عَاتَبَنِي فِي ذَلِكَ قَطُّ[1].



(١) البداية والنهاية١١/ ١٠١، والمنتظم لابن الجوزي ٥/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٦٦.

الطُّفَيْلُ بن عامر

حُكِيَ عن الطفيل بن عامر[1] أنه قال: خرجت ذات يوم أريد الرياضة، وكنت رجلاً أحب الوحدة، فبينما أنا أسير إذْ ضَلَلْت الطريق الذي أردته، فسرت أياماً لا أدري أين أتوجه حتى نفذ زادي، فجعلتُ آكلُ الحشيشَ وورق الشجر حتى أشرفتُ على الهلاك ويئستُ من الحياة، فبينما أنا أسير إذْ أبصَرْتُ قطيعَ غنم في ناحية من الطريق فَمِلْتُ إليها، وإذا شابٌّ حسنُ الوجه فصيح اللسان، فقال لي: يا بنَ العم أين تريد؟ فقلت: أردتُ حاجةً لي من بعض المدن وما ظني إلا قد ضللت الطريق، فقال: أجل! إنَّ بينكم وبين الطريق مسيرةَ أيامٍ فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك، فنزلتُ فَرَمَى لفرسي حشيشاً وجاءَ إليَّ بثَرِيدٍ كثير ولبن، ثم قام إلى كبش فذبحه وأَجَّجَ ناراً وجعل يُكَبِّبُ لي ويطعمني حتى اكتفيت، فلما جَنَّنَا الليلُ قام وفرش لي وقال: قم فَارْمِ بنفسك فإنَّ النومَ أَذْهَبُ لتعبك وأرجع لنفسك، فقمت ووضعت رأسي، فبينما أنا نائم إذ أَقْبَلَتْ جاريةٌ لم تر عيناي مثلها قَط حُسناً وجمالاً، فقَصَدَت إلى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه ما يلقى من الوَجْدِ به، فامتنع عليَّ النوم لِحُسْنِ حديثهما، فلما كان في وقت السحر

(١) الطفيل بن عامر بن واثلة الكناني، أحد الشجعان، من وجوه قومه، كان هو وأبوه مع ابن الأشعث في ثورته على الحجاج، بالعراق، وقتل في وقعة منها تسمى (يوم الزاوية) سنة ٨٢هـ (ينظر: الكامل لابن الأثير ٤/ ١٨٠)، وقد روي هذا الخبر في أخبار النساء لابن الجوزي ص٦٥ لجميل بن معمر العذري، وروي في المستطرف ١/ ٤١٣ لجبلة بن الأسود، وكذلك في تزيين الأسواق في أخبار العشاق لداود الأنطاكي ص٨٩.

قامت إلى منزلها، فلما أصبحنا دنوتُ منه فقلت له: ممن الرجل؟ قال: أنا فلان بن فلان، فانتسب لي فعرفته فقلت له: ويحك! إن أباك لسيدُ قَوْمِه، فما حَمَلَكَ أن تكون في هذا المكان؟ فقال: أنا والله أخبرك، كنت عاشقاً لابنة عمي هذه التي رأيتها، وكانت هي أيضاً لي عاشقة، فشاع خبرُنا في الناس، فأتيت عمي فسألته أن يزوجنيها، فقال: يا بني، والله ما سألتَ شططًا، وما هي بَآثَر عندي منك، ولكنَّ الناسَ قد تحدثوا بشيءٍ، وعَمُّكَ يكره المقالة القبيحة، ولكن انْظُرْ غيرَها في قومك حتى يقوم عمُّك بالواجب لك، فقلت: لا حاجة لي فيما ذكرت، وتشفعتُ إليه بجماعةٍ من قومي فَرَدَّهم وزوجها رجلاً من ثقيفٍ له رياسة وقَدْر، فحملها إلى ههنا- وأشار إلى خِيام كثيرة بالقرب منا- فضاقت عليَّ الدنيا بِرَحْبِها وخرجتُ في أثرها، فلما رأتني فرحت فرحاً شديداً، فقلت لها: لا تخبري أحداً، ثم أتيت زوجها وقلت:

أنا رجل من الأَزْد أصبتُ دمًا وأنا خائف، وقد قصدتُك لِمَا أَعْرِفُ من رغبتك في اصطناع المعروف، ولي بَصَرٌ بالغنم إن رأيت أن تعطيني من غنمك شيئاً فأكون من جوارك وكنفك فأفعل، قال: نعم وكرامة، فأعطاني مائةَ شاة وقال لي: لا تَبْعُد، وكانت ابنةُ عمي تخرج إليَّ كل ليلة في الوقت الذي رأيت وتنصرف، فلما رأى حُسْنَ حال الغنم زادني هذه الغنم أيضًا، فرضيتُ من الدنيا بما ترى.

يقول الطفيل: فأقمت عنده أياماً، فبينما أنا نائم إذْ نبهني وقال: يا أخا بني عامر، قلت له: ما شأنك؟ قال: إن ابنةَ عمي قد أبطأَتْ ولم تكن هذه عادتُها، ووالله ما أظن ذلك إلّا لأمرٍ، فَحَدِّثْنِي لعلي أَتَسَلَّى، فجعلت أحدثه، فأنشأ يقول:

ما بَالُ مَيَّةَ لا تأتي كعادتِها ... هل هَاجَهَا طَرَبٌ أو صَدَّها شُغُلُ

لكنَّ قلبيَ لا يعنيه غيرُكُمْ ... حتى المَماتِ ولا لي غيرُكُمْ أملُ

لو تعلمينَ الـذي بِي مِـن فِـرَاقِـكُـمُ لَمَا اعْـتَـذَرْتِ ولا طابت لكِ العِلَلُ
نفسي فِـدَاؤُكِ قد أَحْلَلْتِ بي حرَقًا تكادُ من حَرِّها الأحشـاءُ تَنْفَصِلُ
لـو كـان عَـادِيَـةٌ منه على جَبَـلٍ لَـزَلَّ وانْهَـدَّ مِـنْ أَرْكَـانـه الجبلُ

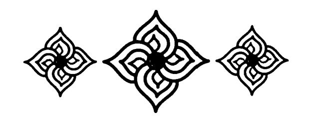
فو الله ما اكْتَحَل بغَمْضٍ حتى انفجر عمودُ الصبح، وقام ومر نحو الحي فأبطأَ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيءٌ، وجعل يبكي عليه، فقلت له: ما هذا؟ قال: هذه ابنة عمي افترَسَها السَّبُع فأكل بعضها، ووضعها بالقرب مني فأوجع والله قلبي، ثم تناوَلَ سيفه ومر نحو الحيِّ فأبطأ هُنَيْهَةً ثم أقبل إلي وعلى عاتقه ليثٌ كأنه حمار، فقلت له: ما هذا؟ قال: هذا هو السبع، قلت: وكيف عَلِمْتَه؟ قال: إني قَصَدْتُ الموضع الذي أصابها فيه وعلمتُ أنه سيعود إلى ما بقي منها، فجاء قاصداً إلى ذلك الموضع فعلمتُ أنه هو فحملت عليه فقلته، ثم قام فحَفَر في الأرض فأَمْعَن وأخرج ثوباً جديداً، وقال: يا أخا بني عامر إذا أنا مِتُّ فأَدْرِجْني معها في هذا الثوب، ثم ضَعْنَا في هذه الحفرة وأَهِلِ الترابَ واكتب هذين البيتين على قبرنا، وعليك السلام:

كنا على ظهرِها والعيشُ في مَهَل والـدهـرُ يجمعنا والـدارُ والـوطـنُ
فخَانَنَا الـدهـرُ في تفريقِ أُلْفَتِنَا والـيـومَ يجمعنا في بَطْنِها الكفَنُ

ثم التفت إلى الأسد وقال:

ألا أيهـا الـليـثُ المُـدِلُّ بنفسِهِ هَبِلْتَ لقد جَـرَّتْ يـداك لنا حُزْنا
وغـادَرْتَـنِـي فـرْداً وقـد كنتُ آلِفًا وصَيَّرْتَ آفـاقَ الـبلاد لنا سِجْنا
أَأَصْـحَـبُ دهـراً خانني بفرَاقِها مـعـاذَ إلهِـي أنْ أكـونَ لـه خِـدْنَـا

ثم قال: يا أخا بني عامر إذا فَرَغْتَ من شأننا فَصِحْ في دُبُرِ هذه الغنم فَرُدَّها إلى صاحبها، ثم قام إلى شجرة فخنق نفسه حتى مات، فقمت فأدرجتُهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما، ورَدَدْتُ الغنم إلى صاحبها، وسألني القومُ فأخبرتهم الخبر، فخرج جماعةٌ منهم فقالوا: والله لَنَنْحَرَنَّ عليه تعظيماً له، فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة للنحر، وتَسَامَعَ الناس فاجتمعوا إلينا فنُحِرَت ثلاثمائة ناقة، ثم انصرفنا[1].



(١) المحاسن والأضداد للجاحظ ص١٠٨.

أَبُو الْقَاسِم الْعَلَوِي

حَدث أَبُو القَاسِم بن الأعلم العلوِي الكُوفِي، الفيلسوف[1]، قَالَ: خرجت من بَغدَاد أُرِيد الكُوفَة، فَلَمَّا صرت فِيمَا بَينهَا وَبَين حمام أَعْيُن -وهي قَريَة قريبَة من الكُوفَة- أفضيت إِلَى أَجَمَة من شجر كثيف مُلْتَفٌّ هُنَاكَ، وكنت قد تقدَّمتُ أصحابي، وَأَنا رَاكب حمارًا، وورائي بمسافة قريبَة غُلَام لي مَمْلُوك رَاكب بغلًا، فسرنا حَتَّى أبعدنا عَن الرّفْقَة، فنظرت فرَأَيْت طريقًا دقيقةً فِي وسط الأجمة تُوصلُ إِلَيْهَا وتُخْرِجُ منها، فأردتُ النُّزُول إِلَيْهَا، فَوقف الْحمار تحتي ولم يتحرك، فضربته ضربًا شَدِيدًا فَلم يبرح مكانه، فَالتَفت لأتأمَّل قوائمه فَرَأَيْت أسدًا قَائِمًا، وَبَينه وَبَين قَوَائِم الحمار نَحْو ذِرَاع أَو أقل، وَإِذا الحمار قد شم رَائِحَته فأصابته رعدةٌ شَدِيدَة، ورَسَخَتْ قوائمه فِي الأَرْض فلم يقدر على الحركة، فَلم أَشُكّ فِي التّلَف، وَأَن الْأسد سيَمُد يَده فيجذبني من على الحمار، فغمضت عَيْني لِئَلَّا أرى كَيفَ أُصْبِحُ فِي مخالبه، وَأَقْبَلتُ أَتَشَهَّد وأقرأ، وَأَنا مَعَ ذَلِك أجِدُ عَقْلِي ثَابتًا ومُتَصَوِّرًا لِمنظر الْأسد، وَلم يُفِدْنِي التغميضُ شَيْئًا.

ثمَّ ذكرتُ فِي الحَال حِكَايَةً كنت أسمعها، أَن الْأسد لَا يفترس الإِنسَان وَهُوَ مواجِهُ لَهُ، فاستدرتُ وَفتحت عَيْني فِي عَيْنَيْهِ، وَأَقْبَلت أَتَشهد خَفِيًّا، والأسد فاتح فَاه، وَأَنا أتأمل

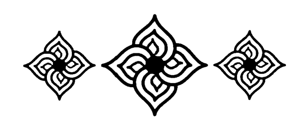
(١) علي بن الحسن العلويّ، أبو القاسم ابن الأعلم، عالم بالهيئة، من الأشراف، من أولاد جعفر الطيار، بغدادي المولد والمنشأ، تقدم عند عضد الدولة ابن بويه، وتوفي آيباً من الحج سنة ٣٧٥هـ(ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص١٥٧).

أَسنانه، وَتَصِلُ إِلَى أنفي مِن فَمه رَوَائِحُ مُنْتِنَة، فَإِنِّي لكذلك إِذْ لَحِقَنِي الصَّبِيُّ المَمْلُوك على البغلة، وَمَعَهُ رجل رَاكب دَابَّة، ووراءهما قومٌ مُشَاة، فحين رأى المَمْلُوك تِلْكَ الحَالة جزع جزعًا شَدِيدًا وَصَاح بِأَعلَى صَوته: يَا معاشر المُسلمين أدركونا، فقد افترس الأسد مولَايَ العَلَوِي، فحين سمع الأسد الصياح من وَرَائه انزعج، والتفت فَرَأى الصَّبِي قَرِيبًا إِلَيْهِ، فَتَنَاوَله من أَعلَى السرج، وانْفَلَتَ البَغْل وأصبح الصَّبِي فِي فَم الْأسد، فو الله لكأنه فأرة فِي فَم السِّنَّوْر، وَأَنا كالميت خوفًا، إِلَّا أَنِّي أَعِي مَا أرى من ذَلِك، وَأَقْبل الأسد يهجم على رَاكب الدَّابَّة وعلى المشاة وَالصَّبِيُّ فِي فَمه كالورقة، فَهَرَبُوا مِنهُ جميعًا، فدخل الأجمة، فَقلت فِي نَفسِي: قد فَدَاني الله عَزَّوَجَلَّ بمملوكي، وخَلَّصَ نَفسِي بِيَسِيرٍ من مَالِي، فَمَا وُقُوفِي هنا؟ فرميت بنفسي عَن الحمار، وفررت أعدو على الطريق، فتلقاني قومٌ قد جَاءُوا من الكُوفَة، وَرَأَوا حيرتي وفزعي، فسألوني عَن أَمرِي، فَأَخبَرتهم، فتقدموا يطْلبُونَ الأسد، وقَوِيَتْ نَفسِي وتشجعتُ فَزِدْتُ فِي الْعَدو، إِلَى أَن خرجت من الأجمة، ولحقني الرِّفاق الَّذين كنت فِيهِم وَدخلت الكُوفَة، وَكَانَ هَذَا الخَبَر يوم الثُّلَاثَاء غرَّة شهر المحرم سنة ٣٣٨هـ، فَصُمْتُ يومي، وعزمتُ أَن أَصومَ كل ثلاثاء حتى أموت، وَأَنا أصومه إِلَى الآن.

وَجَاءَنِي أَبُو عَليّ عمر بن يحيى العلوِي مهنئًا بالسلامة وبقدومي، وَكَانَ خبري قد شاع، فقَالَ لي فِي جملَة كَلَامه: كَيفَ خِفْتَ الْأسد؟ أَو مَا علمت أَن لحومنا معاشرَ بني فَاطِمَة مُحرمَة على السبَاع[1]؟ فَقلت لَهُ: مِثْلُ سيدِنَا- أَطَالَ الله بَقَاءَهُ- لَا يَقُول مثلَ هَذَا، وَمَا الَّذِي كَانَ يضمن لي، فربما يكون هَذَا الحَدِيث بَاطِلًا فيأكلني الأسد، وَكَيف كَانَت نَفسِي -مَعَ طبع البشرية- تطمئِن فِي مثل ذَلِك الوَقت إِلَى هَذَا الحَدِيث؟ قَالَ:

(١) ورد هذا الحديث في بحار الأنوار للمجلسي ٥/ ١٥٠، وهو أحد أهم كتب الشيعة، وذكره مكي بن أبي طالب القرطبي في الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ٥/ ٣٥٢٣ دون سند.

كَيفَ يكون هَذَا الحَدِيث بَاطِلًا مَعَ مَا رويناهُ من خبر زَينَب الكذابة مَعَ عَليّ بن مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ؟ قَالَ: فَقلت لَهُ: بلَى، قد رويت ذَلِك، وَلَكِن لم يخْطر فِي فكري مِن هَذَا شَيْءٍ فِي تِلكَ الحَال، قَالَ مؤلف الكتاب: فَقلت أَنا لأبي القَاسِم بن الأعلم، وَمَا خبر زَينَب الكذابة؟ فَإِنِّي لم أسمعهُ، قَالَ: هَذَا خبر مَشهُور عِند الشِّيعَة بِإِسنَاد لَهُم لَا أحفظه، وَذلك: أَن امرَأَة يُقَال لَهَا زَينَب ادَّعَت أَنهَا علوِيَّة، فجيء بهَا إِلَى عَليّ بن مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، فَدفع نَسبهَا، فخاطَبَتْه بِكَلَامٍ دَفعَت فِيهِ نسبَه، ونَسَبَتْه إِلَى مثل مَا نَسَبهَا إِليه من الادعاء، وَكَان ذَلِك بِحَضرَة السُّلطَان، فَقَالَ الرِّضَا: أَخْرُجُ أَنا وهذه المَرأَة إِلَى بركَة السبَاع، فَإِنِّي رويت عَن آبَائِي عَن النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَنَّ لُحُوم ولَدِ فَاطِمَة صلوَات الله عليها مُحرمَة على السبَاع، فَمن أَكَلَتْهُ السبَاع فَهُوَ دَعِيّ، فقالت المَرأَة: لَا أرْضَى بِهَذَا، وَدفعت الخَبَر، فأجبرها السُّلطَان على ذَلِك، فقالت: فلينزل قبلي، فَنزل الرِّضَا بِمحضرٍ مِن خَلْقٍ عَظِيم، فَلَمَّا رَأَتْهُ السبَاع أَقْعَت على أذنابها، فَدَنَا منها وَلم يزل يمسح رَأس كل وَاحِدٍ منها ويمر بِيَدِهِ إِلَى ذَنبه، والسبع يُبَصبِصُ لَهُ، حَتَّى أَتَى على آخرهَا، ثمَّ ولى فَصَعدَ من الْبِرْكَة، وكَرِهَت المرأَة النُّزُول وأَبَت، فأُجْبِرَت على ذَلِك، فحين نزلت وثَب عَلَيْهَا السبَاع، فافترسوها ومزقوها، فَعُرِفَت بِزَيْنَب الكذابة[1].



(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ١٧١- ١٧٤.

عمرو ذو الكَلْب

قال مُحَمَّد بْن القَاسِم الأنبَاريُّ: دَخَلَ عَمرو بن معدي كرب الزَّبِيديّ[1] عَلَى عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا، فَقال له: يَا أَبَا ثَور! أَخبرنِي بِأَعجَب مَا رَأَيت، فقال: إِنِّي أخبرك يَا أَمِير المُؤمنِينَ أَنِّي خرجت يَومًا أُرِيد حَيًّا من أَحيَاء العرب، حَتَّى إِذا ما كنت بوادٍ يُقَالُ لَهُ بطن شِرْيَان[2] إِذَا أَنَا بِرَجُل قد افترس أسدًا وقَدْ أَدخل رَأسه فِي جَوْفِه، وَهُوَ يَلِغُ فِي دَمِه كَمَا يَفْتَرِسُ الأسدُ النّاسَ والبهائم ويلغ فِي دِمَائِهم، فهالني ذَلِكَ وراعَني وظننته شَيْطَانًا، ثُمَّ عاتبتُ نفسي، فَصِحْتُ بِالرجلِ، فوَ الله مَا حَرَّكَهُ صياحي بِهِ، فصحت بِهِ صَيحَة أُخرَى فَلم يُبَال، فَصحت الثَّالِثَة فَرفع رَأسه وَنظر إِلَيَّ وَعَيناهُ كالجمرتين، ثُمَّ أعَاد رَأسه فِي جَوف الأسد احتقارًا لي، فوقفت أنظر إِلَيهِ تَعَجُّبًا مِنهُ، فَأَقبَلَت حَيَّةٌ طولُها شِبر فوجَدَته عَلَى طريقها فتعثرت بِهِ فلدغته لدغة فِي كتفه لأنه كَانَ باركًا عَلَى الْأسد، فصاح مِنهَا صَيحَة ثُمَّ أطرق فَلم أره يَتَحَرَّك كَمَا كَانَ قَبلَ ذَلِكَ، فدنوت مِنهُ فَإِذا سيفٌ لَهُ وقوسٌ موضوعان، وَفرسٌ مشدود، فَأَخذتُ سلاحه، فَلم يَتَحَرَّك، فجئت إليه ودنوت

(١) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، وفد على المدينة سنة٩هـ في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا، ارتد بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم عاد إلى الإسلام وشهد فتوح الشام والعراق، ومات سنة ٢١هـ (ينظر: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٣).

(٢) موضع ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان ٣/ ٣٤٠، ولم يحدد موضعه، وإنما أشار إلى أنه مذكور في قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب:

أنّ ذا الكلب عمرًا خيرهم حسبًا ... ببطن شريان يعوي حوله الذيب

مِنهُ وَأمسكتُ ذِرَاعَيه فانْقَطَعَتْ يدُه من الكَفِّ وخَرَجَتْ في يدي، فوقعتُ على الأرض رُعبًا، ثم قلت: إِن هَذَا للعجب، لَا أَبرَح حَتَّى أَعْلَمَ عِلْمَه عِندَ بَعض من يمر فأسأله، فَإِذا كلبٌ رابض نَاحيَة، فَأَقبلَتِ السِّبَاعُ والنسور فحماه الكَلْب، فَلَمَّا جَنَّنِي اللَّيل انصرفت وَتركته عَلَى هَيئته، فَمضى لذَلِك زمن، فَبينما أَنَا بسوق عكاظ فِي أيّام المَوْسِم فِي شدة من ازدحام النَّاس، إِذَا امرَأَة تَنْشُدُ الرَّجُلَ وتسأل عمن يعرفه، فَعرفتُ النَّعت وَالصّفة، فقلتُ: أَنَا صَاحب الرَّجُل، وَهَذَا سَيفه وقوسه، قَالَ: فَقَالَت: يَا عَمْرو! إِنَّهُ لَا يَجْمُلُ بمثلك الْكَذِب وَأَنت فَارسُ قَوْمك، فأسألكُ باللاتِ والعُزّى إِلَّا صَدَقْتَني، فخَبَّرْتها الخَبَر، فَقَالَت: صدقت، وَإِنَّما كَانَ يفعل ذَلِكَ لِأَن أسدًا مرّةً عَدَا عَلَى أَخٍ كَانَ لَهُ يُقَالُ لَهُ صَخْر فَأكله، فَآلَى عَلَى نَفسه أَلا يَلْقَى أسدًا إِلَّا افترسه وولغ فِي دَمه، وَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ كلب، فَسُمِّي عَمْرًا ذَا الْكَلْب، وَأَنا أُخته الجَنُوب، وبَكَتْه فِي شعر تَقول فِيهِ:

وكــلُّ حَــيٍّ وَإِن طــالَــتْ سَلامَتُهم ... يَــوْمًــا طريقُهمُ فِي الشَّرِّ مركُوب

أَبْـلِـغْ هُــذيلًا وخَصِّص فِي سَرَاتِهِــمُ ... عَنِّي مقالًا وبعضُ القَوْل تكذيبُ

بِــأَن ذَا الْكَلْب عَمْرًا خيرهُــم نَسَبًا ... بِبَطن شريــان يَـعْـوِي عِــنْـدَهُ الذِّيبُ

تمشي الــنــسورُ إِلَــيْــهِ وَهِــي لاهيةٌ ... مَشْيَ الــعَــذَارَى عَلَيْهِن الجَلابِيــبُ

الطاعنُ الطَّعْنَةَ الــنَّــجْلاءَ يتبعُها ... مُثْعَنْجِرٌ من نَجِيعِ الجَوْفِ أُثْعُوبُ[1]



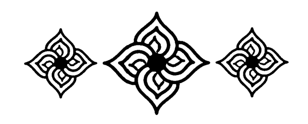
(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ص١٧٦، وقد وردت روايات أخرى مختلفة في كيفية موت عمر ذي الكلب، وهي متفرقة في بطون الكتب.

عُبَادَة المُخَنَّث نديم المتوكل

كان للخليفة المتوكل (ت٢٤٧هـ) نديمٌ صاحبُ نوادرٍ وظُرْفٍ يسمى عُبَادة، وبينما عبادة يتجول في قصر المتوكل إذ رَأى رُطَبَةً مطروحة فَأَكَب ليأخذها، فرأه ابْنٌ للمتَوكل صَغِير، فَأَشَارَ بإصبعه إِلَى دُبُرِ عُبَادة وَقَالَ: يَا عَم مَنْ فَتَح لَك هَذِه الكوة، فَقَالَ لَهُ عبَادَة: الَّذِي فتح لأمك ثِنْتَيْنِ، فَسَمعهُ المتَوَكل فَأمر بِضَرْب عُنُقه، فهرب وَلم يدر إِلَى أَيْن يتَوَجَّه، فَأخذ يهرب فِي الصَّحَارِي وَمَعَهُ طَبْلُه ونَايُه، فَلَمَّا أَمْعَن فِي الصَّحرَاء خَافَ أَن يُدْرِكهُ الطَّلَب فَرَأى غاراً مَفْتُوحًا فَدخل وسَدَّ بَاب الغار بِالحِجَارَةِ، فَلَما دخل إلى عمق الغار وجد فِيه أسداً عَظِيمًا رابضاً، فَفَزِعَ مِنهُ، وهمَّ الْأسدُ أَن يَثِبَ عَلَيْهِ، فَامتدت يَدُ عُبادة دون أن يشعر إلى الطبل وضرَبه، فَلَمَّا سَمعه الْأسد فزع من صَوته وهرب يُرِيد الخُرُوج، فَوجدَ بَاب الغَار مسدوداً فَرَبَض هُنَاكَ خَائفًا من صَوت الطبل، فَجعل عبَادَة تَارَة يضرب بالطبل وَتارَة يزمر بالناي خوفًا من الأسد، وَوَافَقَ ذَلِك قدوم الفتح بن خاقَان[1] وزير المتوكل من نزهة كَانَ خرج إِلَيْهَا، فَلَمَّا سمع صَوت الطبل والناي فِي الصَّحرَاء أَنْكَرَهُ ثمَّ تبعه حَتَّى وقف على بَاب الغَار، وَأمر أَن يُفتح، فَلَمَّا فتحوه خرج الأسد هَارِبًا على وَجهه، فَخرج عبَادَة وَهُوَ يبكي ويصرخ وَيَقُول: أيها الأمير إن هَذَا الأسد دَفعه إِلَيَّ أَمِير الْمُؤمنِينَ أُعَلِّمهُ ضَربَ الطبل والغناء بالناي، وها أنتم قد فتحتم باب الغار فهرب، فَقَال له الْفَتْح: لا تحزن، أَنا أُرْضِي أَمِير الْمُؤمنِينَ وأَعْتَذِرُ له، وَلَكَ عَليَّ ألف دِينَار، فَقال: أَخَاف وَالله أَن

(١) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غُرْطُوج، أبو محمد، وزير المتوكل، أديب شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء، فارسي الأصل، مات قتيلًا مع المتوكل سنة ٢٤٧هـ (ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/ ١١٦).

يضرب عنقِي، فَقَال الفَتْح: أَنا أَسْتَوْهِبُه دَمَك، فَقَالَ: إِنْ فعلتَ فقد رضيتُ، ثمَّ أَخذه مَعَه وأتى بِهِ المتَوَكل، فَلَمَّا دخل عليه قال: يَا أَمِير المُؤمنِينَ لي إِلَيك حاجة، قال: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: هَب لي دم عبَادَة، فَأَنا الَّذِي أذنبت وَلَيس هُوَ، فَقَالَ: مَا كَانَت نيتي إِلَّا أَن أضرب عُنُقه وَقد وهبته لَك، فَقبل الفَتْح يَده وَقال: أَنا الَّذِي أطلقت الأسد وَمَا لَهُ ذَنْب، فَلَمَّا سمع المتَوَكل ذكر الأسد سَأَلَ عَن أصل القِصَّة، فَأخبره الفَتْح بِمَا رأى وبها أخبره به عبادة من أَن أَمِير المُؤمنِينَ أعطَاهُ ذَلِك الأسد ليُعَلِّمَه الطبل والغناء، فَضَحِك المتَوَكلُ حَتَّى فَحَصَ بِرجلِهِ الأَرْض، وَقَالَ خَدَعَكَ وَالله يَا فتح، إِن أَصلَ الخبر كذا وكذا، فضحك الفتح وتعجب من فطنة عبادة وأَنجَزَ له الألف دينار الَّتِي وعده بهَا[1].



(١) سمط النجوم العوالي٣/ ٤٦٩- ٤٧٠.

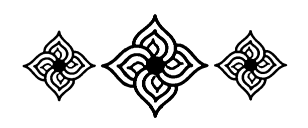
أسامة بن مُرْشِد

كان آل مُنْقِذ الكِنَانِيون يتوارثون حكم شَيْزَر[1] وما حولها، وظل الأمر فيهم حتى انْتهى الْأَمر إِلَى الْأَمِير أَبى المُرْهَف نصر بن عَليّ بن المُقَلّد بن نصر بن مَنْقِذ، فبقى بِهِ مُدَّةً طَوِيلَة إِلَى أَن مَاتَ بشيزر سنة ٤٩١هـ، وَكَانَ شجاعًا كَرِيمًا صوّامًا قوامًا، فَلَمَّا حَضَره المَوت اسْتخْلف أَخَاهُ الأَمِير أَبَا سَلامَة مرشد بن عَليّ، فَقَالَ أبو سلامة: وَالله لَا وليتُها، ولَأَخْرُجَنَّ من الدُّنْيَا كَمَا دَخَلتهَا، وَكَانَ عَالمًا بِالقُرآنِ وَالأَدب كثير الصّلاح، فوَلَّاها أخاه أَبَا العساكر سُلْطَان بن عَليّ، وَكَانَ أَصْغَر مِنْهُ، فاصطحبا أجمل صُحْبَة مُدَّةً من الزَّمَان، فَرُزِقَ أَبُو سَلامَة عِدَّة أَوْلَاد ذُكُور، فكبروا وسادوا، وَلم يُولد لِأَخِيهِ سُلْطَان وَلَدٌ ذكر إِلَى أَن كَبرَ فَجَاءَهُ أَوْلَاد، فَكَانَ كلما رأى صِغَر أَوْلَاده وَكبر أَوْلَاد أَخِيه وسيادتهم سَاءَهُ ذَلِك وحسده وحسدهم وخافهم على أَوْلَاده، وسعى المفسدون بَينهمَا فغيروا كلًّا مِنْهُمَا على أَخِيه.

وكَانَ سلطان يكتم الْأَمر بعض الشيء فِي حَيَاة الْأَمِير أبي سلامة، فَلَمَّا مَاتَ أبو سلامة سنة ٥٣١هـ، أظهر سلطان ما كان يخفيه من حقد على أبناء أخيه، وبَادَأَهم بالسوء، وتمادَت الأَيَّام بَينهم إِلَى أَن قَوِيَ عَلَيْهِم فَأَخرجهُمْ من شيزر، وكَانَ أعظم الأَسْبَاب فِي إخراجهم مَا روي عَن مؤيد الدولة أُسَامَة بن مرشد قَالَ: كنت من الشجَاعَة والإقدام على مَا قد

(١) بلدة شامية قرب المعرة تشتمل على قلعة عظيمة، فتحها المسلمون سنة ١٧هـ (ينظر: معجم البلدان ٣/ ٢٨٣).

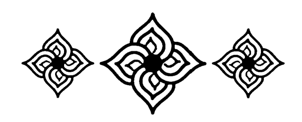
عَلِمَه النَّاس، فَبينما أَنا بشيزر وَإِذا قد أَتَانِي إِنسَان فَأَخْبرنِي أَن بِشَطِّ دِجْلَة أسدًا ضاريًا، فركبتُ فرسي وَأخذت سَيفي وسرت إِلَيْهِ لأقتله، وَلم أُعْلِم أحدًا من النَّاس لِئَلَّا أُمْنَع من ذَلِك، فَلَمَّا قَربتُ من الْأسد نزلت عَن فرسي وربطتُه ومشيت نَحوه، فَلَمَّا رَآنِي زَمْجَر واتَّسَعَت عيناه وقصدني، ثم وثب فضربته بِالسَّيْفِ على رَأسه فانفلق، ثمَّ أجهزت عَلَيْهِ وَأخذتُ رَأسه فِي مِخْلَاةِ فَرِسي وعدت إِلَى شيزر، وَدخلت على والدتي وألقيت الرَّأْس بَين يَديهَا وحدثتُها بالخبر، فَقَالَت: يَا بني تَجَهَّز لِلْخُرُوجِ من شيزر، فوَ الله لَا يُمَكِّنُكَ عمُّك من الْمقَام وَلَا أحدًا من إخْوَتك وَأَنْتُم على هَذِه الحَال من الإِقْدَام والجرأة، فَلَمَّا كَانَ الغَد أَمَرَ عمي بإخراجنا من عِنده وأَلْزَمَنا بِهِ إلزامًا لَا مُهْلَة فِيهِ، فتفرَّقنا فِي البِلَاد[1].



(١) عيون الروضتين ١/ ٣٥٥.

زَهْرُ الدولة بَخْتِيَار

كان في جند الأكراد بمدينة شَيْزَر رجل يقال له زهر الدولة بختيار القُبْرُصِي، سُمي بذلك لصِغَرِ خِلْقَته، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خيار المسلمين في الشجاعة والدين، وقد ظهر عندنا أسد، فحَمَل عليه، فاستقبله الأسد فنَفَرَ به الحصان فرَماه، فجاءه الأسد، فَرَفَع زهرُ الدولة رِجْلَه ولَقَّمَها الأسد، وبادَرْنَاه فقَتَلْنا الأسد وخلصناه وهو سالم، فقلنا له: يا زهر الدولة، ما معنى رَفْع رِجْلك إلى الأسد؟ قال رأيتُها أكثَرَ أعضاء جسمي كِسْوَة، ففيها الرَّان[1] والجَوْرَب والخُفّ، ففكرتُ أنه إن أمسك أضلاعي كسرها، وإن مسك رأسي شَجَّه، فقلت يَشْتَغِلُ برجلي إلى أن يُفَرِّجَ الله، فعَجِبْنَا من حُضُورِ عقلِه في ذلك الوقت العصيب الذي تزول فيه العقول[2].



(١) الران: كالخف إلا أنه لا قدم له، وهو أطول من الخف. (ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ١/ ١٢٠٢).

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص١٩٩.

إنقاذُ ابنِ الأحْمَر من فم الأسد

قال أسامة بن مُنْقِذ: كان في حصن الجِسْر رجل من أصحابنا من بني كِنانة يعرف بابن الأحمر، ركب فَرَسه من حصن الجسر يريد كَفَرْطَاب[1] لِشُغلٍ له، فاجتاز بقافلة عابرة على الطريق فرأوا الأسد، ومع ابن الأحمر حربَةٌ تَلْمَع، فصاح إليه أهل القافلة:يا صاحب الرمح البَرَّاق دونك الأسد، فحمَلَه الحياءُ من صِياحهم أنْ حَمَل على الأسد، فنفر به الفرس فوقع، فجاء الأسد فبرك عليه، وكان الأسد شبعان، فالْتَقَمَ وجهَه وجبهته فجرَح وَجْهَه، ثم أخذ الأسد يلحس الدم وهو باركٌ عليه لا يؤذيه، يقول ابن الأحمر عن هذا الموقف:ففتحت عيني فأبصرتُ فم الأسد، ثم جذبت نفسي من تحته ورفعتُ فخذه عني وخرجت، ثم تعلقتُ بشجرةٍ بالقرب منه وصعدت عليها، فرآني وجاء خلفي، فسبقتُ وطلعتُ على الشجرة، فنام الأسد تحت الشجرة واجتمع من الذَّرّ[2] شيءٌ عظيم على تلك الجراح، والذر يجتمع على جريح الأسد كما يجتمع الفأرُ على جريح النمر، قال: فرأيتُ الأسد قد قعدَ وأَنْصَبَ آذانَه كأنه يَتَسَمَّع، ثم قام يهرول هاربًا، فإذا قافلةٌ قد أَقْبَلَت على الطريق كأنه سمع حسها، فعرفوا ابنَ الأحمر وحملوه على بيته، وكان أثرُ أنيابِ السبع في جبهته وخَدَّيْه كَوَسْمِ النار، فسبحان المُسَلِّم[3].

(١) بلدة بين المعرّة ومدينة حلب في بريّة قاحلة (ينظر: معجم البلدان ٤/ ٤٧٠).
(٢) الذَّر: صغار النمل (ينظر: العين للخليل بن أحمد ٨/ ١٧٥).
(٣) الاعتبار لأسامة بن منقذ ص٨٤.

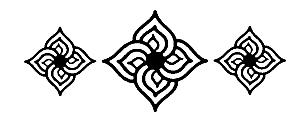
جَدَّةُ أسامة بن منقذ تنصحه

قال أسامة بن منقذ:خرجت يوماً من الأيام مع الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الصيد، وكان مشغوفاً بالصيد عنده من الشَّوَاهِين والصقور والفهود والكلاب ما لا يكاد يَجتمع عند غيره، ويَرْكَبُ في أربعين فارساً من أولاده ومماليكه كلٌّ منهم خبيرٌ بالصيد عارفٌ بالقَنص، وله بِشَيْزَر مَصِيدَان، يوماً يركب إلى غربيِّ البلد إلى الأشجار والأنهار فيتصيد الدُّرَّاج(1) وطير الماء والأرانب والغزلان ويقتل الخنازير، ويوماً يركب إلى الجبل قبليِّ البلد يتصيد الحَجَل والأرانب، فبينما نحن في الجبل يوماً وقد حانت صلاةُ العصر فنزل ونزلنا نصلي فُرَادى، وإذا غلامٌ قد جاء يركض وهو يصيح: هذا الأسد! هذا الأسد، فتَسَلَّلْت قبل الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكيلا يمنعني من قتال الأسد، وركبت ومعي رمحي، فحملت عليه فاستقبلني وهَدَر، فاضطرب بي الحصان ووقع الرمح من يدي لِثِقَلِه، وطَرَدَنِي الأسدُ شوطاً طويلاً، ثم رجع إلى سفح الجبل ووقف عليه، وهو من أعظم السباع، ضخمٌ هائل كأنه قَنْطَرة، وكلما دنوت منه نزل من الجبل فطَرَدَ الخيلَ وعاد إلى مكانه، وما ينزل نزلةً إلا ويؤثر في أصحابنا ويصيبُ منهم، ولقد رأيت غلامًا راكباً مِن غلمان عمي يقال له بُستُكِين يحاول أن يطردَ الأسد، فكَرَّ عليه الأسد فغرزَ أظفارَه في وِرْكِ حصَانه وخَرَّقَ بمخالِبه ثيابَه وخُفَّه وعاد إلى الجبل، فما كان لي فيه حيلة إلا أن صعدتُ فوقه في سفح الجبل، ثم حدرتُ حِصَاني وهو ناظر إلَى أعلى منتظر قدومي عليه، فطعنتُه فنفذَ الرمح

(1) طير من طيور العراق مزركش بالأبيض والأسود (ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٣٤١).

فيه، فتركته مغروسًا في أضلاعه، فتَقَلَّبَ الأسدُ إلى أسفل الجبل والرمحُ فيه حتى مات وانكسر الرمح، والوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ واقفٌ يرانا ومعه أولادُ أخيه وهم صبيان، وحَمَلْنَا الأسد ودخلنا البلد عشاءً، وإذا جَدَّتِي لأبي رَحِمَهَا ٱللَّهُ جاءتني في الليل وفي يدها شمعة، وهي عجوز كبيرةٌ قاربت من العمر مائة سنة، فما شككتُ أنها قد جاءت تهنئني بالسلامة وتُعَرِّفُنِي مَسَرَّتَهَا بما فعلت، فلقيتها وقَبَّلْتُ يدها فقالت لي بغيظ وغضب: يا بني ما يحملك على هذه المصائب التي تخاطر فيها بنفسك وحصانك وتكسر سلاحك ويزداد قلبُ عمِّك منكَ وحشة ونفوراً؟ قلت:يا سِتِّي إنما أخاطر بنفسي في هذا ومثله لأَتَقَرَّبَ إلى قلب عمي، قالت: لا والله ما يُقَرِّبُكَ هذا منه وإنما يزيدك منه بُعْداً ويزيده منك وَحْشَةً ونفوراً[1]، فعلمتُ أنها نَصَحَتْنِي في قولها وصدقتني، ولَعَمْرِي إنهنَّ أمهاتُ رجال.

ولقد كانت هذه العجوز رَحِمَهَا ٱللَّهُ من صالحي المسلمين من الدين والصوم والصلاة على أجمل طريقة، ولقد حضرتُها ليلة النصف من شعبان وهي تصلي عند والدي، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أحسن من يتلو كتاب الله تعالى، ووالدته تصلي بصلاته، فأشفَقَ عليها فقال: يا أمي لو جلستِ وصليتِ منِ قعود، قالت:يا بني بقي لي من العمر ما أعيش إلى ليلة مثل هذه الليلة؟ لا والله ما أجلس، وكان الوالد قد بلغ السبعين سنة، وهي قد شارفت المائة سنة رَحِمَهَا ٱللَّهُ[2].



(١) مر الحديث عن صنيع عمه به وبإخوته بعد وفاة أبيهم.

(٢) الاعتبار ١/ ١٢٥ ١٢٧.

صِلَةُ بن أَشْيَم

يذكر ابن الجوزي عن جعفر بن يزيد العَبْدَرِي عن أبيه، قال: خرجنا في غزوة إلى كَابُل[١] وفي الجيش صِلَةُ بنُ أَشْيَم[٢]، فنزل الناس قبيل الفجر، فقلت: لأنظرنَّ إلى عمله الليلةَ وأتحقق بما يَذْكُرُ الناس عنه من عبادته، فرأيته صلى العَتَمَة ثم أَضْحَى والتمسَ غفلةَ الناس، حتى إذا هدأت العيون وثبَ فدخل غَيْضَةً قريبة منه فيها شجر كثيف مُلْتَف، فدخلت في إثره، فتوضّأ ثم قام يصلي، فجاء أسدٌ فدنا منه، وصعدتُ أنا إلى شجرةٍ أنظرُ ما يصير من أمره، فو الله ما التفتَ ولا ارتاع من الأسد، فلما سجدَ قلت: الآن يفترسه الأسد، ثم جلسَ فَسَلَّم، ثم التفت إلى الأسد وقال: أيها السبُع، اطْلُبِ الرزقَ من مكان آخر، فولّى الأسد وإنَّ له زئيرًا يكاد يصدَع الجبل، وما زال كذلك يصلي إلى الصبح، ثم جلس وحمد الله تعالى بمحامِدَ لم أسمع بمثلها، ثم قال: «اللهم إني أسألك أن تجيرَني من النار، فليس مثلي يجترئ أن يسألَكَ الجنة»، ثم أصبح نشيطًا قويًّا كأنما بات على الحرير، وأصبحتُ وأنا بي من الضعف والرغبة في النوم ما الله عالم به[٣].

---

(١) مدينة عظيمة شرقي بلاد فارس، بين سجستان والهند (ينظر: معجم البلدان ٤/ ٤٢٦) وهي الآن عاصمة أفغانستان.

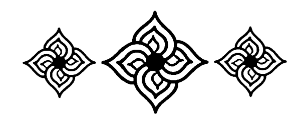
(٢) أبو الصهباء، صلة بن أشيم العدوي، تابعي عابد ثقة كثير الورع جليل القدر، من أهل الْبَصْرَة، قتل سنة خمس وَسبعين بكابل فِي أول ولَايَة الحجَّاج بن يُوسُف (ينظر: الثقات لابن حبان ٤/ ٣٨٣).

(٣) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار لموفق الدين الشافعي ١/ ٥٣٣.



أبو الخَيْر

قال إبراهيم الرُّقِّي: قصدت أبا الخير[1] أزوره، فصلَّى المغرب فلم يقرأ الفاتحةَ قراءةً مُتْقَنَة، فقلت في نفسي: ضاعَ سفري هباءً إذْ جئتُ هذا الذي ظننته مُتقِنًا، فلمّا سلَّمتُ خرجتُ إلى الخلاء خارج البنيان، فقصَدَني السَّبُع، فعدتُ إليه مهرولًا وقلت: يا أبا الخير إنَّ الأسد قصدني، فخرج وصاحَ عليه وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضِيفَاني؟ فتَنَحَّى السبع، ومضيتُ فتطهرت، فلما رجعتُ قال لي: اشتغلتُم بتقويم الظَّاهر فخِفْتُم الأسد، واشتغلنا بتقويم الباطن فخَافَنا الأسد[2].



(١) أبو الخير التيناتي، متصوف زاهد عابد مشهور، والتيناتي نسبة إلى تينات، وهي قرية شامية قريبة من بلدة المصيصة على ساحل بحر الشام، مات سنة ٣٩٤هـ (ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٦/ ١٧٣).

(٢) بستان العارفين للنووي ص٧٢، ومرشد الزوار ١/ ٤٠٠.

أسامة بن مُنْقِذ وبهاءُ الدولة

قال أسامة بن منقذ: شاهدتُ من الأسد ما لم أكن أظنه، وما كنت أعتقد أن الأسودَ كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان، وذلك أن سائسَ الخيل جاءنا يوماً يركضُ وقال: في أَجَمةِ تلِّ التُّلُول ثلاثة سباع، فركبنا وخرجنا إليها، وإذا لبؤةٌ خلفها أسدان، فدُرْنَا يمنةً ويسرةً في تلك الأجمة، فخرجت علينا اللبؤة فحمَلَتَ على الناس ففرقَتْهُم ثم وقَفَت، فحمل عليها أخي بهاء الدولة أبو المغيث منقذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطعنها فقتلها وتَكَسَّرَ رمحه فيها، ورجعنا إلى الأجَمَة فخرج علينا أحدُ السبعين فطَرَد الخيل، ووقفت أنا وأخي بهاء الدولة في طريقه عند عودته من طرْدِ الخيل، فإن الأسدَ إذا خرج من موضعٍ لا بدَّ له من الرجوع إليه، وجَعَلْنَا دُبُرَ خيلنا إليه، ورَدَدْنَا رماحنا نحوه ونحن نعتقد أنه يقصدنا فنَنْشِب الرماحَ فيه فنقتله، فإذا به قد عبرَ علينا كالريح وهو منطلقٌ إلى رجلٍ من أصحابنا يقال له سعد الله الشيباني، فقفزَ ثم ضرب فرَسَ سعدٍ بذراعه فرمَاها على الأرَض، فطعَنْتُه وسطَ أضلاعه فمات مكانه، ورجعنا إلى الأسد الآخر ومعنا نحو من عشرين راجلاً من الأَرْمِن الفرسان الرماة، فخرج السبع الأخر وهو أعظمُها خِلْقَة يمشي في زَهْو، فعارَضَهُ الجنود الأرمن بالسهام، وأنا واقفٌ مقابلُ الأرمن أنتظره يَحمِل عليهم ليأخذَ واحداً منهم فأَطْعَنه وهو يمشي، فكان كلما وَقَعَ به سهمٌ يَهْدِرُ ويُلَوِّحُ بذنبه، فأقول الآن يَحْمِل، فلا يحمل، ثم يعود يمشي، فإذا أصابه سهم يَهْدِر فأقول الآن يهجم، فلا يهجم، فما زال كذلك حتى وَقَعَ ميتاً من كثرة السهام، فرأيت من ذلك الأسد شيئاً ما ظننته[1].

---

(١) الاعتبار ص ١٠٦.

إبراهيم بن أَدْهَم

أخرج الحافظ أبو نُعَيْم الأصفهاني في حلية الأولياء قال: وَرَدَ إبراهيم بن أدهم المَصِّيصَة[1] فأتى منزلَ العالم العابد أبي إسحاق الفَزَاري فسأل عنه، فقيل له: قد خرج ولا ندري أين ذهب، فقال: أَعْلِمُوه إذا أتى أن أخاه إبراهيم سأل عنه، وأنا ذاهبٌ إلى مَرْجِ كذا وكذا أَرْعَى فَرَسي، فمضى إلى ذلك المرج فإذا الناس يرعُون دوابَّهم، فَرَعى حتى أمسى، فقالوا له: ضُمَّ فرَسَك إلى دوابنا فإن الأسودَ تأتينا ليلًا، فأَبَى وتَنَحَّى ناحيةً، فأوقدوا النيران حولَهم، فقال لهم: اذهبوا، فجلسوا يَرْمُقُون ما يكون منه ومن السباع، فقام إبراهيم يصلي وهم ينظرون، فلما كان في بعض الليل أتته أُسْدٌ ثلاثة يتلو بعضها بعضاً، فتقدم الأولُ إليه فشَمَّه ودارَ حولَه ثم تنحى ناحيةً فجلس، وفَعَلَ الثاني والثالث كفِعْلِ الأول، ولم يزَلْ إبراهيم يصلي ليلتَه قائماً حتى إذا كان السَّحَرُ قال للأُسُود: ما جاء بكم؟ تريدون أنْ تأكلوني! امْضُوا، فقامت الأسد فذهَبَت، فلما كان الغد جاء الفزاري إلى أولئك فسألهم فقال: أجاءكم رجلٌ؟ قالوا: أتانا رجل مجنون، وأخبروه بقصته ودَلُّوه عليه، فقال: أو تدرون من هو؟ قالوا: لا قال: هو إبراهيم بن أدهم، فمضَوا معه إليه فسَلَّمَ وسَلَّموا عليه ثم انصرف به الفزاري إلى منزله[2].

---

(١) مدينة على شاطئ جَيْحَان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس (ينظر: معجم البلدان٥/ ١٤٥).

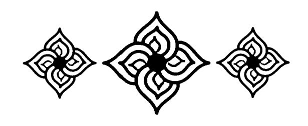
(٢) فصل الخطاب ص٩٥٦.

سعيد بن جُبَيْر

لما أَسْرَفَ الحجاج الثقفي في ظلمه وتَتَبَّعَ العلماء يؤذيهم ويقتلهم كان أكثرَ المنكرين عليه سعيدُ بن جبير، وكان الحجاج يعلم ذلك ويَبْذُل النفيسَ ليقبضَ عليه، حيث أرسل إِلَيْهِ قائدًا من أهل الشام من خاصة أصحابه يسمى المُتَلَمِّس بن الأَحوص، ومعه عشرون رجلًا من أهل الشام من خاصة أصحابه، فبينما هم يطلبونه إذا هُم براهبٍ فِي صومعةٍ لَهُ، فسألوه عنه، فَقَالَ الراهب: صفوه لي، فوصفوه لَهُ، فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجدًا يناجي بأعلى صوته، فدنوا منه فسلموا عليه، فرفع رأسه فأتمَّ بقية صلاته، ثُمَّ ردَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، فَقَالُوا: إنا رُسُلُ الحجاج إليك فأَجِبْه، قال: ولا بد من الاجابة؟ قالوا: لا بد، فحمدَ الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثُمَّ قام فمشى معهم حَتَّى انتهى إِلَى دَيْر الراهب، فَقَالَ الراهب: يَا معشر الفرسان هل أصبتم صاحبكم؟ قَالُوا: نعم، فَقَالَ لهم: اصعدوا الدير فإن السباعَ تحوم حول الدير، فعَجِّلوا الدخول قبل المساء، ففعلوا ذَلِكَ وأَبَى سَعِيد أن يدخل الدير، فَقَالُوا: ما نراك إلا وأنتَ تريد الهرَب منا، قال: لا، ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدًا، قَالُوا: فإنا لا ندعك، فإن السباع تقتلك، قال سَعِيد: لا ضَيرَ إن معي ربي فيصرفها عني ويجعلها حرسًا حولي تحرسني من كل سوءٍ إن شاء الله، قَالُوا: فأنت من الأنبياء؟ قال: ما أنا من الأنبياء، ولكن عبدٌ من عبيد الله خاطئٌ مذنب، ولا أبرحُ مكاني حَتَّى أُصْبِحَ إن شاء الله، فرَضوا بذلك وتركوه، فَقَالَ لهم الراهب: اصعدوا وَأَوتِرُوا أقواسكم لتُنَفِّرُوا السباع عَنْ هَذَا العبد الصالح، فلما صعدوا وأوتروا أقواسهم



إذا هم بلبؤةٍ قد أقبلت، فلما دنت من سَعِيد تحَكَّكَت بِهِ وتمسحت بِهِ، ثُمَّ ربَضَت قريبًا منه، وأقبل الأسدُ فصنع مثل ذَلِكَ، فلما رأى الراهب ذَلِكَ وأصبحوا نزل إِلَيْهِ فسأله عَنْ شرائع دينه وسنن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففسر لَهُ سَعِيد ذَلِكَ كله، فأسلم الراهب وحسنَ إسلامه، وأقبل القوم على سَعِيد يعتذرون إِلَيْهِ ويقبلون يديه ورجليه، ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل يتبركونَ به ويقولون: يَا سَعِيد، لقد حَلَّفَنا الحجاج بالطلاق والعِتَاق إنْ نحنُ رأيناك لا ندَعك حَتَّى نُشْخِصَك إِلَيْهِ، فمُرنا بما شئت، قال: امضوا لأمركم، فإني لائذٌ بخالقي ولا راد لقضائه، فساروا حَتَّى بَلَّغُوه الحجاج فقتله[1].



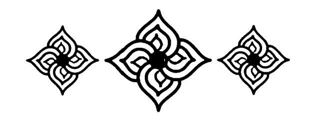
(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٩١.

حديث إبراهيم بن الخَضِر

حَدثَ إِبْرَاهِيم بن الخضر - وَكَانَ أحد أُمَنَاء القَاضِي بِبَغْدَاد، وكان يَخْلُفُ الْقُضَاة الْغَائبين بِحَضْرَة قَاضِي الْقُضَاة وَغَيرهم- قَالَ: حَدثنِي صديق لي أَثِق بِهِ، قَالَ: خرجت إِلَى الصحراء فِي أَيَّام الفتنة بين الحنابلة وأتباع المذاهب الأخرى في بغداد، وكان معي جَمَاعَة مُتَخَفِّين، فَلَمَّا صرنا فِي أجمة بها شجر كثيف قَالَ لي رَفِيق فيهم: يَا فلَان، إِن نَفسِي تُحَدِّثنِي أَن السَّبع يخرج فيفترسني من دون الناس، فَإِنْ حَدَث ذَلِك فَخذ حماري وَمَا عَلَيْهِ فرده إِلَى عيالي، فَقلت: هَذَا استشعارٌ رَدِيء، وكلام يجب أَن تتعوذ بِالله مِنْهُ، وتُضْرِبَ عَن الْفِكر فِيهِ، فَمَا مضى على هَذَا إِلَّا شَيْءٌ يسير حَتَّى خرج الأسد، فحين رَآهُ الرجل سقط عَن حِمَاره رعبًا، فَأَخذه الأسد بين فكيه وَدخل بِهِ الأجمة، فأخذت حمارَه وخرجتُ إلى الطريق، وأسرعت مَعَ القَافِلَة حتى رجعنا إِلَى بَغْدَاد، فاسترحت فِي بَيْتِي أَيَّامًا، ثمَّ أخذتُ الحمار وَجِئْت بِهِ إِلَى منزله، لأسلمه إِلَى عِيَاله، فدققت البَاب، فَخرج إِلَيّ الرجل الذي أَكَلَه الأسد، فحين رَأَيْته طَار عَقْلِي وَشَكَكْت فِي عينيّ، فعانَقَني وَبكى وبكيت، فَقلت: حَدِّثنِي حَدِيثَك، فَقَالَ: إِن السَّبع سَاعَة أَخَذَنِي جرني إِلَى الأجمة ليأكلني، ثمَّ سَمِعت صَوت شَيْء، وَرَأَيْت الأسد قد فَزِعَ وأَنصتَ ثم خَلَّاني وَمضى، ففتحت عَيْني، فَإِذا الصوت الَّذِي سَمِعته صَوت خِنْزِير، وَإِذا السَّبع لما رَآهُ تركني وَمضى إلى الخنزير فصادَه وبرك عَلَيْهِ يفترسه وَأَنا أشاهده، إِلَى أَن فرغ مِنْهُ، ثمَّ خرج من الأجمة وَغَابَ عني، فسَكَنَت نفسي قليلًا وتأملتُ حالتي، فَوجدتُ مخالب الأسد قد وصلت إِلَى فَخذي



وصُولًا هيِّنًا، وبدأَتْ قوتي تعود إليّ، فَقلت: لأي شَيءٍ جلوسي هَاهُنَا؟ فَقُمْت أَمْشِي فِي الأجمة أبحث عن الطَّرِيق، فَإِذا بِجَيفِ نَاسٍ وبَقرٍ وغنم وَعِظَامٍ باليات، وآثارِ من قد قَتَلَهم الْأسد، فَمَا زلت أتخطاهم حَتَّى انتَهَيْت إِلَى رجلٍ قد أكلَ الأسدُ بعضَ جسده وَبَقِي أَكْثَره، وَهُوَ ما يزال طريًّا، وَفِي وَسطه حزام قد تَثَقَّبَ بعضُه وَظَهَرَت مِنْهُ دَنَانِير، فتقدمت فجمعت الدنانير وَقطعت الحزام وَأخذت جَمِيع مَا فِيهِ، وقَوِيَت نَفسِي، وأسرعتُ فِي المَشْي، وَطلبتُ الطريق فَوصلتُ إِلَيْهَا، واستأجرتُ حمارًا وعدت إِلَى بَغدَاد، وَلم أَمْضِ إِلَى شيءٍ إلا إلى بيتي، لِأَنِّي خشيتُ أَن تسبقوني فتَذْكُروا خبري لأهلي فَيصير عِندهم مأتم، فسبقتُكم، وَأَنا أعالج فَخذي، فلله المنةُ والحمد[1].



(١) الفرج بعد الشدة ٤/ ١٣٥ - ١٣٧.

رَاكِبُ الْأسد

كان أَبُو جَعْفَر أَصْبَغ بن أَحْمد حاجبًا لأبي مُحَمَّد المُهَلَّبِي(١) رَحِمَهُ اللَّهُ قبل أن يتولى المهلبي الوزارة، فَلَمَّا تولى الوزارة كَانَ يرسله إلى العمال يستحثهم لأداء الأموال، فيقول ابن أصبغ عن ذلك: كنت بشيراز مَعَ أبي الحسن عَليّ بن خلف بن طناب، وَهُوَ يتَوَلَّى عمالتها يَوْمئِذٍ، إذ أرسل إليه الوزير المهلبي عاملًا يستحثه على أداء الأموال، وَكَانَ المرسَل أحد العمَّال الأكابر، وَقد أرسل المهلبي يطلب من علي بن خلف إكرامَه وتبجيلَه، فَأَوْلَمَ له ابنُ خلفٍ أولَ يَوْمٍ وشاركَه طَعَامه وَشَرَابه، فَامْتنعَ العامل من مؤاكلته، وَذَكَرَ أَن لَهُ عذرًا، فَقَالَ ابن خلف: لَا بُدَّ أَن تَأْكُل، فَأَكَلَ بأطراف أَصَابِعه وَلم يُخرِج يَده من كُمِّه، فَلَمَّا كَانَ فِي غَدٍ قَالَ عَليُّ بن خلف لحاشيته: لِيَدْعُه كلَّ يَوْمٍ وَاحِدٌ مِنْكُم، فَكَانُوا يَدعُونَهُ، وَيدعونَ بَعضهم بَعْضًا، فَكَانَ يأكل على الصورة نفسها، فَقَالُوا: لَعَلَّ بِهِ بَرَصًا أَو جُذَامًا، إلى أن جاء الدور على أصبغ بن أحمد، يقول أصبغ: فدعوته ودعوت الحَاشِيَة، وَجَلَسْنَا نَأْكُل، وَهُوَ يَأْكُل مَعنا على هَذِه الصُّورَة، فَسَأَلته إِخْرَاج يَده والانبساط فِي الأكل، فَامتنعَ عَن إخرَاج يَده، فَقلت لَهُ: أخرجها على أَي شَيْءٍ كَانَ بهَا، فَإِنَّا نرضى بِهِ، قَالَ: فكَشَفَها، فَإِذا فِيهَا وَفِي ذراعه أَكثر من خمسين ضَرْبَة، بَعْضهَا جاف مُنْدَمِل، وَبَعضهَا فِيهِ بَقِيَّة لم تندمل، وَعَلَيهَا أدوية ودهانات، وَهِي على أقبح منظر، فَأكل مَعنا غير محتشم، وَقُدِّمَ الشَّرَاب

(١) الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المطيع، ومات سنة ٣٥٢هـ (ينظر: المنتظم ٧/ ٩).

فشربنا، فَلَمَّا أَخَذَ مِنهُ الشَّرَاب، سألناه عَن سَبَب تِلكَ الضربات، فَقَالَ: هُوَ أمر طريف أَخَاف أَن لَا أُصَدَّق فِيهِ، فَقلت: لَا بُد أَن تتفضل وتخبرنا بذلك، فَقَالَ: كنت عَام أول قَائِمًا بِحَضْرَة الوَزير، فَسَلَّمَ إِلَيَّ كتابًا ومنشورًا إِلَى عَامل دمشق، وَأَمرَنِي بالشخوص إِلَيهِ، وإرهاقِهِ بالمطالبة بِحمْل الأَمْوَال، وطلب مني أن أَخْرُجَ على طَرِيق السَّمَاوَة لأتعجل، وَكتب إِلَى عامل مدينة هِيت[1] ليقوم بشأني ويمولني، فَلَمَّا دخلت هيت استدعى العَامِل جَمَاعَة من عدَّة من أَحيَاء العَرَب وسلمني إِلَيْهِم ليعينوني، وَأَعطَاهُم مَالًا على ذَلِك، وَأَشْهَد عَلَيهِم بتَسَلُّمي، وتشدد معهم فِي العناية بأمرِي، وَكَانَت هُنَاكَ قافلة تُرِيدُ الخُرُوج مُنذُ مُدَّة ولكنهم يخافون البَرِيَّة ووحوشها، فسألوني أَن أُدْخِلَهم في زُمْرَة الحرس والأعوان ليسافروا في كنفهم على أن يعطوني مقابل ذلك مالًا لي وللحرس، فَفعلت ذَلِك، فصرنا قافلةً عَظِيمَة، وَكَانَ معي من غلماني مِمَّن يحمل السِّلَاح نَحْو عشرين غُلَامًا، وَفِي حَمَّالِي القَافِلَة والتجار جَمَاعَة يحملون السِّلَاح أَيضًا، فرحلنا عَن هيت، وسرنا فِي البَرِيَّة ثَلَاثَة أَيَّام بلياليها، فَبينما نَحن نسير إِذْ لاحت لنا خيل، فَقلت للأعراب الذين أرادوا السفر معنا: مَا هَذِه الخَيل؟ فَمضى مِنهُم قوم إِلَيهِم ثمَّ عَادوا منهزمين وقَالُوا: هَؤُلَاءِ قوم من بني فلَان بَينَنَا وَبينهم شَرٌّ وقتال، وهم يطلبوننا، وَلَا ثبات لنا مَعَهم، وَلَا يمكننا أن نُشْرِكَكُم في حربنا فينالكم أذى، وركضوا منصرفين، وَبَقينَا نحن متَحَيِّرين، فَلم أَشك أَنهم كَانُوا من أهلهم، وَأَنَّهُمْ فعلوا ذَلِك بمواطأةٍ علينا لينهبونا، فَجمعت القَافِلَة، وشجعت أَهلهَا وشجعت غلماني، وضممت بَعْضهَا إِلَى بعض، وأمرتهم بِحمْل السِّلَاح، والتجهز للحَرب، فصرنا حول القَافِلَة مُتَسَانِدين إِلَيهَا كالدائرة، وَقلت لمن معي: لَو كَانَ هَؤُلَاءِ يَأْخُذُونَ أَمْوَالنَا وَيدعونَ جِمالَنا لننجو عَلَيهَا كَانَ هَذَا أسهل، وَلَكِن الجمال وَالدَّوَاب أول

---

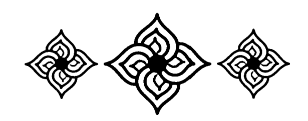
(١) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة (ينظر: معجم البلدان ٥/ ٤١٢).

مَا تُؤْخَذ، ونتلف نَحن فِي البَرِيَّة ضَيعَة وعطشًا، فاعملوا على أَن نُقَاتِل، فَإِن هزمناهم سلمنَا، وَإِن قُتِلنَا كَانَ أسهل من المَوْت بالعطش، فَقَالُوا: نَفْعل، وغَشِيَنا الْقَوْم فقاتلناهم من انتصاف النَّهَار إِلَى أَن حجز اللَّيْل بَيْننَا، وَلم يقدروا علينا، وقَتَلْنا عدَّةً من خيلهم، وجرحنا مِنْهُم جمَاعَة، وَمَا ظفروا منا بِعَوْرَة، وَبَاتُوا بِالْقربِ منا حَنِقِين علينا، وتفرق النَّاس للْأَكل وَالصَّلَاة، وَاجْتَهَدت بهم أَن يجتمعوا، ويبيتوا تَحت السِّلَاح، فخالفوني، وَكَانُوا قد كَلُّوا وتعبوا، ونام أَكْثَرهم، فغشيَتنا الْخَيل، فَلم يكن عندنَا مقاومة وَلَا امْتنَاع، فوضعوا فِينَا السيوف، وَكنت أَنا المَطْلُوب خَاصَّة، لما شاهدوه من تدبيري الْقَوْم برأيي، وَعَلمُوا أَنِّي رَئِيس القَافِلَة، فقطعوني بِالسُّيُوفِ، ولحقتني هَذِه الجِرَاحَات كلهَا، وَفِي بدني أضعافها، قَالَ: وَكشف لنا عَن أَكثر جسده، فَإِذا بِهِ أَمر عَظِيم هالنا، وَلم نره فِي بشر قطّ، قَالَ: وَكَانَ فِي أَجَلِي تَأْخِير، فرميتُ نَفسِي بَين القَتْلَى، وأنا لَا أَشك فِي موتي، وَسَاق اللصوص الجمال والأمتعة وَالْأَسرَى، فَلَمَّا كَانَ بعد سَاعَة أفقت، فَوجدت فِي نَفسِي قُوَّة، والعطش قد اشتَدَّ بِي، فَلم أزل أتحامل، حَتَّى قُمت أطلب فِي القَافِلَة راحلةً قد أفلتت أشرب مِنْهَا فَلم أجد شَيْئا، وَرَأَيت القَتْلَى والمجروحين الَّذين هم فِي آخر رَمق، وَسمعت من أنينهم مَا أَضْعَف نَفسِي، وأيقنت بالهلاك، وَقلت: غَايَة مَا أعيش إِلَى أَن تطلع الشَّمس، فتحاملتُ أطلب شَجَرَة أَو شيئًا أجعله ظلًّا لي من الشَّمْس إِذا طلعت، فَإِذا قدمي قد عثرت فِي الظلام بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فوقعت فَإِذا أَنا منبطحٌ ومُمَدَّدٌ عَلَيْهِ بِطُولِي كأنما هو فراش على مقدار طولي، فثَارَ وتحرَّكَ من تحتي، فتَشَبَّثْتُ به وعانقته وأنا أَحْسَبه رجلًا من الْأَعْـرَاب أو دابة أركبها، فَإِذا هُوَ أسد، فحين علمت ذَلِك طَار عَقْلِي، وَقلت: إن استَرْخَيْتُ ونزلت من عليه قَتَلَني، فعانقت رقبتَه بيَدي ونمت على ظَهره، وألصقت بَطْني بظهره، وَجعلت رجْلي تَحت خصيتيه، وَكَانَت دمائي تجْرِي من كثرة الجراح، فلما انتابني ذَلِك الفَزع الْعَظِيم انقطع الدَّم، وسَدَّ شَعْرُ الْأسد أفواه أَكثر الجِرَاحَات فَصَارَ

عونًا على انْقِطَاع الدَّم، وَحصَلَ للأسد مني أفظع مِمَّا حصل عَلَيّ مِنْهُ وَأعظم، حيث شمله الرعب فهو لا يدري ما الذي التصق بظهره، وَجعل يجْرِي تحتي كَمَا تجري الفرس تَحت الرَّاكِب القَوِي، وَأَنا أُحِسُّ برُوحي تخرج، وأعضائي تتقصف من شدَّة جَرْيه، وَلم أَشك أَنه يقْصد أَجَمة بِالقربِ فيلقيني إِلَى لبؤته فتفترسني، فَجعلت أضبط نَفسِي مَعَ ذَلِك وأؤمل الْفرج، وأُدَافِع الْمَوْت بما يَشغل بالي عنه، وَكلما هَمَّ الأسد أَن يقف رفستُ خصيتيه برجلي فيطير، وَأَنا أدعو الله عَزَّوَجَلَّ، وَأَرْجُو الحَيَاة مرّة، وَمرَّة آيَسُ من نَفسِي، إِلَى أَن ضَرَبَنِي نسيم السحر، فَقَوِيَت نَفسِي، وَأَقْبل الْفجْر يضيء، فتذكرت طُلُوع الشَّمْس فَجَزِعت وخفت، وقلت الآن يراني ويعرف أن ما فوق ظهره آدمي فيفترسني، فدعوت الله تَعَالَى، وتضرعت إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ بأسرع من أَن سَمِعت صَوتًا ضَعِيفًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ، ثمَّ أخذ الصوت يرتفع شيئًا فشيئًا، فإذا هو يشبه صَوْت نَاعُورَة[1]، والأسد آخذٌ فِي الجرِي، وَقَوِيَ الصَّوْت فتيقنت أَنه ناعورة، ثمَّ صعد الأسد إِلَى تَلٍّ فنظرت فَرَأَيْت بَيَاض مَاء الفُرَات وَهُوَ جَارٍ، وناعورة تَدُور، وأخذ الأسد يمشي على شاطئ الفُرَات بِرِفْق، إِلَى أَن وجد سَرْبًا ضَحْلًا، فَنزل مِنْه إِلَى المَاء، وَأَقْبل يسبح ليَبْعُدَ، فَقلت لنَفْسِي: مَا قعودي، لَئِن لم أتخلص هُنَا فلا خلاص لي أبدًا، فَمَا زلت أرْفق بِهِ، حَتَّى تخلصت وَسَقَطت عَنهُ، وسبحت مع الماء وَأَقْبل هُوَ يشق المَاء عرضًا مبتعدًا عني، فَمَا سبحت إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى وَقعت عَيْني على جَزِيرَة فقصدتها وَقد بَطَلَت قوتي، وَذهب عَقْلِي، فطرحت نَفسِي عَلَيْهَا كالميت، فَلم أحس إِلَّا بِحَرِّ الشَّمْس قد أَنْبَهَني، فَرَجَعت أطلب شَجَرَة رَأَيْتهَا فِي الجزيرة لأستظل بهَا من الشَّمْس، فَرَأَيْت الْأسد رابضًا على شاطئ الفُرَات حِيَال الجزيرة من الناحية الأخرى، فَقَلَّ فزعي مِنْهُ، وأقمت مستظلًّا بِالشَّجَرَةِ أشْرب من ذَلِك المَاء إِلَى العَصر، فَإِذا أَنا بزَوْرَق

(١) آلة يستسقى بها الماء ويُخرَج من الأنهار (ينظر: المخصص لابن سيدة ٢/ ٤٦٣).

منحدر، فَصِحْتُ بهم فوقفوا فِي وسط المَاء، فَقلت: يَا قوم، احْمِلُونِي مَعكُم وارحموني، فَقَالُوا: أَنت جاسوس اللُّصُوص، فأريتهم جِرَاحاتي، وَحلفت لَهُم أَنه مَا فِي الجزيرة بعلمي أحدٌ سواي، وأومأت لَهُم إِلَى الأسد، وَقلت لَهُم: وَإِن تجاوزتموني كُنْتُم أَنتُم قد قتلتموني، فَالله الله فِي أَمْرِي، فوقفوا وأتوا فحملوني، فَلَمَّا دخلت الزورق ذهب عَقْلِي فَمَا أَفَقْت إِلَّا فِي اليَوْم الثَّانِي، فَإِذا عَليّ ثِيَاب نظاف، وَقد غُسلَت جراحاتي، وَجُعل فِيهَا الزَّيْت والأدوية، فَسَأَلَنِي أهل الزورق عَن حَالي، فحدثتهم بخبري، ووصلنا إِلَى هيت، فأَنْفَذْت إِلَى العَامِل مَن عَرَّفَه خبري، فَجَاءَنِي من حَملَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: مَا ظَنَنْت أَنَّك أَفْلَت، فَالحَمد لله على السَّلامَة، وَقَالَ لي: كَيفَ هَذَا الَّذِي جرى لَك؟ فَحَدَّثته الحَدِيث من أَوله إِلَى آخِره، فتعجب عجبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: بَين الموضع الَّذِي قطع اللصوص عليكم الطَّرِيق فيه، وَبَين الموضع الَّذِي حملك أهل الزورق مِنْهُ مَسَافَة أَرْبَعِينَ فرسخًا على الأقل، فأقمت عِنده أَيَامًا، ثمَّ أَعْطَانِي نَفَقَة وثيابًا وزورقًا، فَجِئْت إِلَى بَغْدَاد، فَمَكَثْتُ أُعَالج جراحاتي عشرَة أشهر حَتَّى صرت هَكَذَا، ثمَّ خرجت وَقد افْتَقَرت وأَنْفَقْتُ جَمِيع مَا كَانَ فِي بَيْتِي، فَلَمَّا قُمتُ بَين يَدي الوَزير المهلبي رَقَّ لي، وَأطلق لي مَالًا، وبعثني إِلَيْكُم[1].

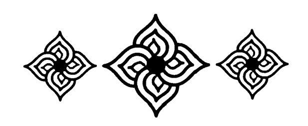


(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ١٣٩- ١٤٥.

قَاتِلُ الشِّبْل

قال أَبُو بكر مُحَمَّد بن سهل الشَّاهِد الوَاسِطِيّ القَاضِي: أَخبرنِي وكيلان كَانَا فِي ضيعتي بنواحي بغداد، قَالَا: خرجنَا مَعَ عُمَّالٍ عندنَا إِلَى أَجَمة نَقْطَعُ قَصَبًا، فَرَأَيْنَا شِبْلَ أسدٍ صغير كأنه هِرَّة، فَقَتَلَه أحد قُطَّاع القصب، فَقَالَ البَاقُونَ: قَتَلْتَنَا أيها الأحمق، السَّاعَة يَجِيء السَّبع واللبؤة، فَإِذا لم يريا الشبل طلبَانا، وَنحن نبيت فِي الصَّحرَاء بَين القصب، فنكون فريسة لهما، قَالَ: فَمَا كَانَ بأسرع من أَن سمعنَا صَوت السَّبع، فطِرْنا على وُجُوهنَا، واجتمعنا فِي دَارٍ خراب خَارج الأجمة، وعَلَوْنا سطحَها، وَكَانَ فِيهَا غرفَة عَلَيهَا بَاب كُنَّا نأوي إِلَيهَا لَيلًا، فَلَمَّا رأى السَّبع وَلَده قَتِيلًا قصَدَنا، ثم هجم على الدار وقفز فَصَارَ فِي صحن الدَّار الخراب، وأخذ يقفز ليُدْرِكَنا فوق السطح، فَمَا قَدرَ على ذَلِك، فولَّى وصعدَ رَبْوَةً فِي الصَّحرَاء وَصَاح صيحةً قطعت قلوبنا، فَجَاءَتْهُ اللبؤة، فدخلت صحن الدار ثم أخذت تقفز لِتَنَالَنا فَمَا قدرت، فاجتمعا على الربوة وصاحا، فجاءهما عدَّةٌ من السبَاع، فجعلوا يقفزون ليصلوا إلينا فَمَا استطاعوا، فَلم يزَالُوا كَذَلِك حَتَّى اجتمع بضعَة عشر سَبُعًا، وَكلما جَاءَ وَاحِد حاولَ أَن يقفز إِلَيْنَا فَلَا يبلغنَا، وَنحن كالموتى خوفًا أَن يصل إِلَيْنَا وَاحِد مِنهُم، فبينما نَحن كَذَلِك إِذ اجْتَمَعتِ السبَاعُ كلهَا كالحلقة، وَجعلت أفواهها فِي الأَرْض، وصاحت صَيْحَة وَاحِدَة، فَرَأَيْنَا حُفْرَةً قد احْتُفِرَت فِي التُّرَاب مِن أَنْفَاسِها، ورَكِبَنَا من الهول والفزع ما الله به عليم، فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَة حَتَّى جَاءَ سبعٌ أسودٌ هزيل، ساقط الشّعْر، فَلَقِيَتْه السبَاع كلُّهَا، وبَصْبَصَت بَين يَدَيْهِ وَحَوله وخَضَعَت له، وَجَاء يَقْدُمُهَا وَهِي خَلْفه،

ثم جعل يَتَفَرَّسُ المكان وكأنه يضع خُطَّة، حَتَّى رآنا فِي الغرفة التي فوق السطح، وَرَأى الموضع، ثمَّ جَمَعَ نَفسَه وقفز، فَإِذا هُوَ بَين يَدي الغرفة التي نحن فيها، وَكُنَّا قد أغلقنا البَاب، فَاجْتَمَعْنَا كلنا خَلف الباب لنمنعه عَن الدُّخُول، فَلم يزل يدْفع الْبَاب بمؤخرته حَتَّى كسر بعض ألواحه وَأَدْخَلَ دُبُرَه إِلَيْنَا، فَقام أَحدنَا إِلَى ذَيله فَقَطعه بمنجلٍ كَانَ مَعنا، فصاح صَيْحَة مُنكرَة وهرب، وَرمى بِنَفسِهِ إِلَى الأَرْض، فَلم يزل يَخْمِشُ السبَاعَ وينهشها ويقطعها بمخالبه حَتَّى قتل مِنْهَا غير وَاحِد، وتهاربت السبَاع البَاقِيَة من بَين يَدَيْهِ، وهامَ فِي الصَّحرَاء لا يدري أين يذهب، ونزلنا نَحن لمَّا لم يَبْقَ مِن السباع شَيءٌ، فلَحِقْنَا بالقَرْية، وخَبَّرْناهم خبرنَا[1].



(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ١٥٣.

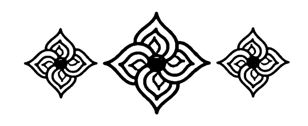
الحالف بالطلاق

رُوي عن مَرْوَان بن شُعَيْب العَدوي أنه قال: كنت في قرية قريبَة من تَل هُوَارا وَمعي قوم من أهل تلك القرية وَنحن نشرب، فتفاخَرْنا إِلَى أَن انتهينا إِلَى تَجْرِيد السيوف، فحَجَزَ بَيْنَنَا مَشَايِخُ القرْيَة، وَاشتد غضبي فَحَلَفت بِالطَّلَاق أَن لَا أَبِيتَ ببلدتهم، فَخرجتُ مِنْهَا أُرِيد منزلي بتل هوارا، وَمَعِي سَيفي ودَرَقَتِي[1]، وَكَانَ ذَلِك فِي اللَّيْل، فسرت فِي الطَّرِيق وحدي، حتى بَلغتُ أجمةً لَا بُد من سلوكها، فَلَمَّا سرت فِيهَا قَلِيلًا سَمِعت صياحًا شَدِيدًا مِن ورائي، فجردت سَيفي وَرجعت أطلب الصَّوْت، فَوجدت الأسد قد افترس رجلًا وَهُوَ الَّذِي صَاح، ورأيته فِي فَم الْأسد بثيابه كأنه جَوْزَة في فم فأر، فَصِحْتُ بالأسد لعله يترك الرجل، فلما سمع صوتي التفت إِليَّ برهةً وهو يتأملني، ثم رمى بِالرجلِ وَرجع إِلَيّ، فلما اقترب كَشَّر عن أنيابه وتَمَطَّى وأقبل يهتز كأنه جبل، فرَاوَغْتُه وقاتلته سَاعَة مرة أَكِرُّ عليه ومرة يَكِرُّ عليّ، ثمَّ وثب عَليَّ وثبةً شَدِيدَة، فارتميت على الأَرْضِ وجَمَعْتُ نَفسِي تَحْتَ دَرَقَتِي، فَلِشِدَّةِ وَثْبَتِه تجَاوَزَني فَصَارَ ورائي، فأسرعت الوُثُوب نَحوه قبل أن يعتدل ووضعت السَّيْف فِي فَمه، وَكَانَ سَيْفًا مَاضِيًا، فَدخل فِي فَمه وَخرج من لبته، فَخر صَرِيعًا يضطرب، فأقبلت عليه بضربات كَثِيرَة حَتَّى قتلته، وعدتُ إِلَى الرجل فَوَجَدته يتنفس وَلَا يعقل، فَحَملته إِلَى الطريق، وَكَانَت لَيلَة مُقْمِرَة، وتأملتُ الرجل فَإِذا هُوَ تَاجر من تل هوارا أعرفهُ، فَلم تَطِبْ نَفسِي بِتَركِهِ، فَجَعَلته عِنْد الطريق، وعُدْتُ فَأخذت رَأس

---

(١) الدَّرَقَة: درع مصنوع من الجلد (ينظر: العين للخليل ٥/ ١١٥).

السَّبع، وَحَمَلته وَحملت الرجل، وَكَانَ الْأسد فِي خلال قِتالي إِيَّاه قد ضرب فَخذي بِكَفِّه، فأحسست بِهِ أثناء القتال كغرْزَةِ الإبرة لانشغالي بما كنت فِيهِ من الهول والرعب، فَلَمَّا جعلت أَمْشِي حَامِلًا رَأس الأسد وَالرجل، أحسست بالألم، وَرَأَيْت الدَّم يجرِي، وقُوَّتِي تَضْعُف، فَصَبَرت نَفسِي حَتَّى بلغت تل هوارا وَقد طلع الصباح، فَأنْكر أهل القرْيَة حَالي وَحَال الجرْح، فسألوني عَن خبري، فألقيت الرَّجُلَ وَالرَّأس، ففهموا الخبر لَمَّا حدثتهم به، وفَتَّشُوا الرجل فوجدوا فِي بدنه خدوشًا يسيرَة فَأَخَذُوهُ، وقمت لأَمْشِي إِلَى بَيتِي فَلم أقدر حَتَّى حملوني، وَمَكَثت فِي بَيتِي زَمَانًا، وَكنت أعالج نَفسِي من تِلْكَ الجراح مُدَّة، وعُولِجَ الرجل فَبَرَأ قبْلي بأيام، وَهُوَ حَيٌّ إِلَى الآن، وكلما رآني يُسَمِّيني مولَايَ ومُعْتِقِي، بينما جراحي أنا لصعوبتها تنتَقِضُ عَليّ فِي أغلب الأَوْقَات، فَلا أعلم سَببًا لسُكْرِنا وعَرْبَدَتِنا وخُصُومَتنا في ذلك اليوم إِلَّا أَنَّ الله قَدَّر أن أكون سَببًا لنجَاة ذَلِك الرجل[1].

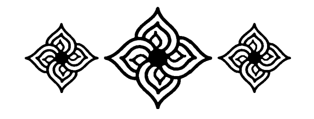


(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ١٩٧.

قاضي القضاةِ أبو السَّائِب

قال قاضي القضاة أبو السائب: سافرتُ من هَمَذان أُرِيد الْعرَاق، وَأَنا فَقير، وزرت قبر الحُسَيْن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَلَمَّا انصرفت أُرِيد قصر ابن هُبَيْرَة، قيل لي: إِن هذه الأَرْض تطوف فيها السباع، وأشاروا عَليَّ أَن أَلْحق بقرية فِيهَا حصن دَلُّوني على طريقها، ونصحوني أن آوي إِلَيْهَا قبل المسَاء، وَكنتُ مَاشِيًا على مهلٍ فأسرعت المَشْي إِلَى أَن وَافَيْتُ القرْيَة، فَوجدت بَاب الحصن مغلقًا، فدققت الْبَاب فَلم يُفْتَح لي، وتوسلتُ للقائمين بحراسته بِمن انصرفتُ مِن زيارته، فَقَالُوا: قد أَتَانَا مُنْذُ أَيَّام مَن ذَكَر مثلَ مَا ذكرت، فأدخلناه وآويناه فَدَلَّ علينا اللُّصُوص وَفتح لَهُم بَاب الْحصن لَيْلًا وأدخلهم فسَلَبُونا، وَلَكِن الْحَق بذلك المَسْجِد، وَكُن فِيهِ لِئَلَّا تُمْسِي فيأتيك السَّبع، فصرت إِلَى المَسْجِد، فَدخلت فِيهِ وَجَلَست، فَلم يَمْضِ وقت حتى جَاءَ رجل على حمَار، فَدخل المَسْجِد، وَشَدَّ حِمَارَه فِي حلقة البَاب، وَدخل إِلَيّ، وكانَ مَعَه كوز فِيهِ مَاء، وَخُرْجٌ فيه أشياء، فَأخْرَج مِنْ خُرْجِه سِرَاجًا فأصلحه، ثمَّ أخرج قَدَّاحَة فقَدَحَ وأوقد، وَأخرج خبزه، وأخرجت خبزي، واجتمعنا على الأكل، فَما شعرنَا إِلَّا والسبع قد وثب إلى ساحة المَسْجِد، فَلَمَّا رَآهُ الحمار فزع ودخل إِلَى صحن المسجد الَّذِي كُنَّا فِيهِ وهو ما يزال مربوطًا في غلق الباب، فَدخل السَّبع وَرَاءه، فَخرج الحْمار وجذب بَاب المْسجد بالحبل فأغلقه من الخارج علينا وعَلى السَّبع، وصار الباب مغلقًا والحمار خارج المسجد وصرنا نحن والسبع محبوسِين فِيهِ، فَوَقَعْنا في شرٍّ مَوْقع، وعَرَفنا أَن السَّبع لن يقترب منا بِسَبَب السراج، وَأَنه إِذا انطفأ السراج أَكَلَنَا، أَو أَخَذَنَا، وظللنا هكذا ننظر

إلى السراج مرة وإلى الأسد مرة ونحن نموت رعبًا، وَلم يَطُل الْأَمر حتى فَنِيَ مَا كَانَ فِي السراج من الدُّهْن، وانطفأ، وصرنا فِي الظُّلْمَة والسبع مَعنا، وكان الظلام شديدًا، حتى أننا لم نكن نعلم مكان السبع إذا تحرك إلا من سماعنا لصوت نَفَسِه، وجعل الحمار يَرُوثُ لشدةِ فزعه حتى ملأ المسجد نَتْنًا، وَمضى اللَّيْل وَنحن على حَالنَا، ثمَّ سمعنَا صَوت أَذَان الفجر من دَاخل الْحِصن، وبَدا ضوء الصُّبْح، فرأيناه من شقوق الْبَاب، وَجَاء الْمُؤَذّن من الحصن فَدخل المَسْجِد ليؤذن لصلاة الفجر، فَلَمَّا رأى رَوْثَ الحمار لعَنَ وَشَتَم صاحب الحمار، وَحَلَّ الحبلَ مِن عُنُقِ الحمار ومِن حلقة الباب، فَطار الحمار وكأنه يسبح في الهواء من الفزع لِعِلْمِه بِمَا قد أَفْلَت مِنْهُ، وَفتح الْمُؤَذّن بَاب المسجد ينظر مَن فِيهِ، فما أن انفتح الباب حتى وَثَبَ السَّبع على المؤذن فضربه ضربة واحدة فقتله، وَحَمَله إِلَى الأجمة وذهب، وقمنا نَحن، وانصرفنا سَالِمين، فسبحان من نَجَّانا من هذا الحال[1].



(١) الفرج بعد الشدة ٤/ ١٨٦.

أبو الهَيْجَاء بن حَمْدَان

روى الكاتب محمد بن عبد الله بن المَرْزُبَان[1]، قال: حدّثني شيخ من شيوخ النَّخَّاسين من أَجِلَّاء ببغداد قال: كنت أُعَامِلُ أبا الهيجاء، عبد الله بن حمدان[2]في بيع وشراء الجواري، فكان يشتري مني ولا يبيع شيئًا يشتريه أبدًا، فإمَّا أن يَهَبَه أو يعتقه، فجاء يومًا إلى حُجرتي -ولم تكن تلك عادته- فوجدته وهو مستعجل يريد الخروج إلى الصحراء لقتال أَعْرَابٍ بَلَغَه أنّهم عاثوا في الطريق، وكان هو القائم بأمر تلك النواحي، فقال: بِعْنِي الساعة جارية، فعرضت عليه عِدَّة جوار، فاختار مُوَلَّدةً منهنّ، وحملها على بغل، فلما كان بعد شهور أَقَلَّ من سِتَّة، جاءني بها رجل من الجند يريد أن يبيعها، فقلت لها: أليس كان الأمير أبو الهيجاء اشتراكِ منِّي؟ فقالت: بلى، ولكنّه وهبَني لهذا، قال: فَلَمْ أَشْرَع في أمرِ بيْعِها حتى أرسلتُ إلى أبي الهيجاء وسألته عن خبرها، لئلا تكون قد هربت، فلما أعلمني أنّه وهبها شرعتُ في بيعها في الحال، فتعذَّر البيع، وأقامت عندي أيّامًا، فسألتها عن أخبار أبي الهيجاء وأمرِه في داره، فأخبرَتْنِي بأشياء من ذلك، فكان من طريف ما أخبرتني

(١) محمَّد بن خلف بن المرزبان بن بسام، أبو بكر البغدادي، مؤرخ، مترجم، كاتب، عالم بالأدب، له تصانيف بديعة في الأدب وغيره، مات سنة ٣٠٩هـ (ينظر: النجوم الزاهرة لابن تغرى ٣/ ٢٠٣).

(٢) عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي، أمير من القادة المقدمين في العصر العباسي، ولاه الخليفة المكتفي بالله الموصل وأعمالها سنة ٢٩٣هـ فأقام إلى أن عزله المقتدر سنة ٣٠١هـ، فقدم بغداد، فخلع عليه المقتدر وأعاده، ثم قبض عليه ثم خلاه وأكرمه، قتل في فتنة خلع المقتدر سنة ٣١٧هـ (ينظر: تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٢٩).

به أن قالت: أخرَجني أبو الهيجاء في العَمَّارِية[1] من عندِك لما اشتراني، وسِرنا يومنا وليلتنا إلى قريبٍ من انتصاف الليل، فأَتْعَبَنِي السير وأَجْهَدَني، فحَطَّ العمّارية في الصحراء، ثم ضُرِبت له خيام، ولأصحابه خيامٌ أخرى قريبة، فصرنا في عسكر، وأُشعِلت النيران، ونُصب له سرير في خيمة له واستدعاني، فجئت وهو على فراشه، فلاَعَبَني ساعةً ثم نزع سراويله، وجلس منّي مجلس الرجل من المرأة، فوَقَعَتْ صيحةٌ عظيمة وارتفع صياح الناس، فنهض عنِّي مسرعًا، -ولم يكن أَوْلَج - وضرب بيده إلى تحت الفراش، وإذا سيف مُجرَّد، فأخذه وخرج بلا سراويل، وصاح: أنا أبو الهيجاء، وسألهم عن سبب الصيحة فقالوا: سبُعٌ أطاف بالخيام، فخرج يعدو ومعه خَلْقٌ مِن غلمانه وأصحابه، وأهاجوا السَّبع وطلبوه، وناصبوه الحرب، وناصَبهم، وأنا أسمع الصياح وزئير الأسد وقد تَلِفْتُ فَزعًا، واشتد الكَرُّ والفَر والصياح، فمرةً يَشدُّون على السبع ومرة يشد عليهم، وأبو الهيجاء أمامهم دون سراويل يلوح بسيفه، وصَمَّمَ الأسد على كسر الناس فزَمْجَر وجاء يعدو كأنه طُنُّ قَصَب فلم يَثْبُت له أحد، وتفرق الناس كلٌّ على وجهه، فخرج أبو الهيجاء من بين الجماعة وأصبح في طريق الأسد، فعَدَل الأسد إليه ووثبَ كالريح، فاستقبله أبو الهيجاء بسيفه وضربه ضربةً واحدة فَشَجَّ بها رأسه، ثم ضرَبه أخرى فقطع رأسه، ثم حمل رأسه وجاءني وهو في يده، فلما رأيته صِحْتُ، فرَمى بالرأس وغسل يده، ثم جاءني فطَرَحَني، وإذا أَيْرُه قائمٌ والله كما كان في وقت نهوضه، ما تَغَيَّر منه شيء، ثم جَامَعَني، ثم نهضتُ، فما رأيت قلبًا أثْبَتَ مِن قلبه[2].

---

(١) مَحْمَل كبير مُظَلَّل يُجعل على البعير من كلا الجانبين (ينظر: معجم الألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم ٣/ ٤٥٦).

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، أبو علي التنوخي ٣/ ٧٠، ٧١.

المَمْلُوك المَنْحُوس

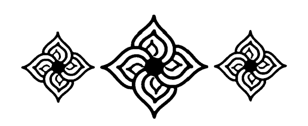
يروَى عن رجل من أهل الأنبار، قَالَ: خرجت إِلَى ضَيْعَةٍ لي فِي ظَاهر الأنبار رَاكِبًا دَابَّة لي، وَمَعِي مَمْلُوك لي أسود فِي نِهَايَة الشجَاعَة، فَلَمَّا صرنا فِي بعض الطَّرِيق بِالقربِ من الموضع الَّذِي أَنا طَالبه، إِذْ ظَهَرَت سَحَابَة فأمطرت، وَكَانَ المسَاء قد أدركنا، فمِلنا إِلَى بيت قديم مهجور مخصص للمسافرين فلجأنا إِلَيْه، فقويَ المَطَر حَتَّى مَنَعَنَا من الحَرَكَة، فَأَشَارَ الغُلَام عَليَّ بالمبيت، فَقلت لَهُ: نَخَاف اللُّصُوص وَيلَك، فَقَالَ لي: تخَاف وَأَنا مَعَك؟ قلت: فالأسد؟ قَالَ: نجعل الدَّابَّة دَاخل قُبَّةَ البيت، وَأَنتَ تَلِيهَا، وَأَنا عِند البَاب، وَأَرْبط وَسَطِي بالحبل الَّذِي مَعنا، وَأَربط طَرَفه بِرِجْلِك، حَتَّى لَا يأخذني النّوم، فَإِن جَاءَ الأسد أَخَذَنِي أنا وترَكَك، وَمَا زَالَ يُحَسِّن لي ذَلِك الرَّأي حَتَّى أطعته، ومِلْنَا إِلَى جوف البيت وَفعلنا مَا قَالَ.

فوَالله مَا مَضَت قِطْعَةٌ من اللَّيل حَتَّى جَاءَ الأَسد، فنظَرْنا فإذا أسدٌ ساقط الشعر هائل المنظر، فلما رأيناه بَطَلَتْ حركتُنا وكأنما أصابنا شلل بأطرافنا، أنا والغلام والدابة، فاقترب منا وهجم على الغلام فَأطبق فَكَّه على عنقه فقَتله، وأنا بجانبه كأنني ميت رُعبًا، ثم جَرَّ الغلامَ وجَرَّ رِجْلِي المشدودة مَعَه فِي الحَبل، فَلم يزل يَجُرُّني على الشوك وَالحِجَارَة والغلام في فمه ورجلي مشدودة في رجل الغلام إِلَى أَن صَار بِي إِلَى أَجَمَته، وَأَنا لَا أَعقل شَيْئًا من أَمْري، وَلَا أُحِس بِأَكْثَرَ مَا يَجْري من شدة الفزع، ولم أستطع والله أن أَسْتَجْمِعَ من عقلي ولو جُزءًا يسيرًا يُمَكِّنُنِي من حَلِّ الحَبْل من رِجْلِي، ثمَّ رمى بالغلام في الأجمة وَمَا زَالَ يَأْكُل



مِنْهُ وأنا أسمع تكسير عظام الغلام وتقطيع لحمه وكأنني في حلم، وَلَيْسَ فِيَّ مِن علامات الحَيَاة غير النّظر فَقَط، حَتَّى شَبعَ وَترك مَا تبقى مِنْهُ، ثمَّ مضى فَنَامَ بِالْقربِ من مَكَانِنَا.

وَبقيتُ بعضَ الوقت على تِلكَ الحَال، ثمَّ سكن رَوْعي وَرجَعَتْ إِلَيّ نَفسِي، لطولِ مُكْثِ الأسد فِي نَومه، فحَلَلَتْ رجْلي من الحَبل، وَقمت أمشي على أَرْبَعٍ فَعَثَرَت رجلي بِشَيءٍ لَا أَدرِي مَا هُوَ، فَأَخَذتُه، فَإِذا حِزَام ثقيل، فشددتُه على وسطي، وَخرجت من الأجمة وَقد قَارب الصُّبْح أَن يُسْفِر، ورجعتُ إِلَى البيت القديم الَّذي فِيه دَابَّتي، فَإِذا هِيَ واقفة بِحَالِهَا، فأخرجتها وركبتها وانصرفت إِلَى منزلي، وَفتحتُ الحزام الذي وجدتُه فَوجدت فِيهِ جملَةً من الدَنَانِير، فحمدتُ الله تَعَالَى على السَّلامَة، وَبَقِي الرعبُ فِي قلبِي والتألم فِي بدني مُدَّةً طويلة[1].



(١) الفرج بعد الشدة ٤/ ١٩٠.

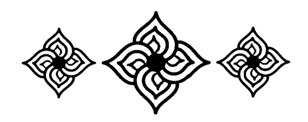
بُغَا التُّرْكِي

كَانَ عَبْد الله بْن طَاهِر[١] قَدْ أَهْدى للخليفة المعتصم فرَسَين ذَكَرَ أنَّ خُرَاسَان لَمْ تُخْرِج مثلَهما، فَسَأَلَهُ بُغَا[٢] أَن يحملهُ عَلَى أَحدهمَا فَأبى وَقَالَ: تَخَيَّر غيرَهمَا مَا شِئْت فخُذه، قَالَ: فخرجنا وَلم يَأْخُذ بغا شَيئًا، فَلَمّا كُنَّا بطَبَرِسْتان عَرَض لَهُ قَوْمٌ من أَهلهَا، فَقَالُوا: أَعَزَّ الله الْأَمِير، إن فِي بَعض الغِياض سَبُعًا قَد اسْتَكْلَب عَلَى النَّاس وأفناهم وأفنى أنعامهم، فَقَالَ: إِذَا عزمتُ على الرحيل غَدًا فكُونوا مَعي حَتَّى تَدُلوني عَلَى مَوْضِعه، قَالَ: فَلَمّا رحلنا مِن غَد حضر جمَاعَة مِنْهُم ودَلُّوه على مكان الأسد، فَانْفَرد مَعَهم فِي عشرين فَارِسًا من غلمانه، وَمَعَهُ قوسه ونُشَّابَتَان فِي حِزامه، قَالَ: فصاروا بِهِ إِلَى الغيضة التي فيها الأسد، فثار الأسد فِي وَجهه، فإذا سبعٌ عظيم الهامة يقارب الفَرَسَ عُلُوًّا، وجعل يزأرُ حتى وَجِلَتْ منه القلوب، فلما رآه الفرسان هاجوا واختلطت أحوالُهم ونَفَرت خيولهم، قَالَ: فحَرَّك بغا فرسه من بَين يَدَيْهِ وحادَ عن الأسد كأنه هارب منه وتركه مُنْشغلًا مع بقية الفرسان، وَأخذ نُشَّابَة من النشابتين اللتين معه فَرَمَاهُ فِي دبره، فَدخل السهْم فِيهَا إِلَى آخره حتى كاد يختفي، وَركب السَّبع رَأسه وجَعلَ يتَخبط، فعَاد بغا إِلَيْهِ وقد بلغ الغَضَب بالسبع مبلغَه وهم يسمعون صوته داخل الغيضة ولا يرونه، فَمَا أَجْتَرَأ أحد عَلَى النُّزُول إِلَيْهِ حَتَّى نزل

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي في عهدي المأمون والمعتصم، مات سنة ٢٣٠هـ (ينظر: الطبري ١١/ ١٣).

(٢) بغا الكبير، أبو موسى، القائد التركي، أكثر قواد الأتراك بلاء في الحروب، عاش حتى خلافة المستعين وتوفي سنة ٢٤٨هـ (ينظر: تاريخ دمشق ١٠/ ٣٧٢).

بغا فجعل يمشي بحذرٍ في الغيضة وينظر هنا وهناك فَوَجَدَهُ مَيتًا، قَالَ: فَقِسْنَاه بالشِّبْر فَكَانَ مِن رَأسه إِلَى رَأس ذَنَبِه سِتَّة عشر شبْرًا، ووجدناه أَجْرَد الشَّعْر إِلَّا رأس ذيله، فكتبنا بِخَبَرِهِ إِلَى المعتصم، فلَحِقَنا جوابُ كِتَابنَا بعد مدة يذكر فِيهِ أَنَّهُ قَدْ تفاءَل بقتل السَّبع، وَرَجا أَن يكون مِن عَلَامَات الظفر بِبَابِكِ الخُرَّمِيّ[1]، وَأَنه قَدْ وجَّه إِلَى بُغا بالفرسين اللَّذين كَانَ طلب أَحدهما فَمَنعه، وبِسَبْعِ خِلَعٍ مِن خَاصَّة خِلَعِه وثيابه، وَخمْسمائَة ألف دِرْهَم صلَةَ لَهُ وَجَزَاءً عَلَى قَتله السَّبع[2].



(١) أحد أشهر الخارجين على الخلافة العباسية، اعتقد مذهب الباطنية وعاث في الأرض فسادًا، وتسبب في خراب بلدان ومقتل آلاف من المسلمين، ظفر به المعتصم فقتله سنة ٢٢٢هـ (ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ١٠/ ٣٩).

(٢) الجليس الصالح ص١٧١.

إبراهيم بن أَدْهَم

أخرج الحافظ أبو نُعَيمٍ في حلية الأولياء عن خلف بن تميم، قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم[1] في سفرٍ له فأتاه الناس، فقالوا: إن الأسدَ قد وقف على طريقنا، قال: فأتاه، فقال: يا أبا الحارث، إن كنتَ أُمِرْتَ فينا بشيءٍ فامْضِ لِمَا أمرت به، وإن لم تكن أمرت فينا بشيءٍ فَتَنَحَّ عن طريقنا، قال: فمضى الأسد وهو يُهَمْهِمُ، فقال لنا إبراهيم بن أدهم: وما عَلَى أحدكم إذا أصبحَ وإذا أمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركُنِكَ الذي لا يُرَام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا تُهْلِكْنَا وأنت الرجاء، قال إبراهيم: إني لأقولها على ثيابي ونفقتي فما أفقدُ منها شيئاً[2].



(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي، أبو إسحاق، زاهد عابد مشهور، تفقه ورحل إلى بغداد والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، له أخبار كثيرة في الزهد والتقوى والصلاح، مات سنة ١٦١هـ (ينظر: الوافي بالوفيات ٥/ ٢٠٩).

(٢) بحر الدموع لابن الجوزي ص١٠٥.

ابن بُنَان وأحمد بن طولون

قال أبو علي أحمد بن محمد الرَّوذْبَاري ت٣٢٢هـ: قَدِمْتُ إلى مصر لأرى أبا الحسين ابن بنان[١] وآخذَ عنه وأُحَقِّقَ ما سمعتُ من خبرِه مع ابن طولون، فلما لقيتُه لقيت رجلًا يَتَلَأْلأ فيه نورُه ويَعْمَلُ فيه سرُّه، فهَمَمْت مرةً أن أسأله عن خبرِه مع ابن طولون فقَطَعَتْنِي هيبتُه، فقلت: أَحْتَالُ بسؤاله عن معنى كلمة شيخ الرَّيِّ: «لا أَذَاقَكَ اللهُ طَعْمَ نَفْسِك»[٢]؛ وبينما أهيئ في نفسي كلامًا أُجْرِي فيه هذه العبارة، جاء رجل فقال للشيخ: لي على فلانٍ مائة دينار، وقد ضاعتِ الوثيقةُ التي كتب فيها الدين، وأخشى أن يُنْكِر إذا هو عَلِمَ بضياعها، فادْعُ الله لي وله أن يُظْفِرَني بدَيْني وأن يُثَبِّتَه على الحق، فقال الشيخ: إني رجل قد كَبِرْتُ وأنا أحب الحلوى، فاذهب فاشْتَرِ لي رطلًا منها حتى أدعو لك، فذهب الرجل فاشترى الحلوى ووضعها له البائع في ورقة فإذا تلك الورقة هي الوثيقة الضائعة، وجاء إلى الشيخ فأخبره، فقال له: خذ الحلوى فأَطْعِمْها صِبْيَانَك، لا أذاقنا الله طعمَ أَنْفُسِنَا فيما

(١) من كبار أهل التصوف والزهد، من أهل مصر، كان يبيع شقاق الصوف، صحب الجنيد، ومات في الصحراء وحيدًا في أواخر القرن الثالث (ينظر: مختصر تاريخ دمشق لجمال الدين بن منظور ٢٨/ ٢٣٦) وابن طولون المذكور في الخبر هو أحمد بن طولون، أبو العباس، الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور، تركي مستعرب، كان شجاعًا جوادًا، يباشر الأمور بنفسه، موصوفًا بالشدة على خصومه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه، مات سنة ٢٧٠هـ (ينظر: تاريخ ابن الأثير ٧/ ١٣٦).

(٢) قائل العبارة هو يُوسُف بن الحُسَيْن، شيخ مدينة الري والجبال فِي وقته، كَانَ نسيج وحده فِي إسقاط التصنع، وَكَانَ عالمًا أديبًا، صحب ذا النون المصري وأبا سَعِيد الخراز، مَات سنة ٣٠٤هـ (ينظر: الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ١/ ٩٥).

نشتهي، ثم إنه التفتَ إليّ وقال: لو أن شجرةً اشْتَهَت غيرَ ما به صِحَّةُ وُجُودِهَا وكمالُ منفعتها فأُذِيقَتْ طَعْمَ نفسِها لأكلت نفسها وذَوَتْ.

قال أبو علي: فلم تبق بي حاجة إلى سؤال الشيخ عن خبره مع ابن طولون، وكنت كأني أرى بعينَيْ رأسي كلَّ ما سمعت، بَيْدَ أني لم أنصرف حتى لقيت أبا جعفرٍ القاضي أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِي، ذاك الذي يُحَدِّثُ بكتبِ أبيه كلِّها مِن حِفْظِه، وهي واحدٌ وعشرون مصنفًا فيها الكبير والصغير، فقال لي: لعلك بلغتَ حاجتَك من خبر بُنان مع ابن طولون، فقد زعمتَ أنك ما جئتَ إلى مصر إلا من أجله؟،قلت: إنه تَوَاضَعَ فلم يخبرني، وهِبْتُه فلم أسأله، قال: تعالَ أحدثْك الحديث:

كانت أمُّ أحمدَ بن طولون جارية تركية، وكان طولون أبوه مملوكًا حَمَلَه نوح بن أسد عاملُ بُخَارَى إلى المأمون في جملة ما كان مؤتمنًا عليه من المال والرقيق والبَرَاذِين وغير ذلك، فوُلد أحمد في موضع يَشْعر فيه بالذِّلَّة التي يحاول تغطيتها بالطُّغيان، وكانت هذه طبيعته إلى آخر عمره، فذهب بهمته مذهبًا بعيدًا، ونشأ مِن أول أمرِه على أن يُتِمَّ هذا النقص وأن يكونَ أكبرَ مِن أَصْلِه، فطَلَبَ الفروسية والعلم والحديث، وصَحِبَ الزهاد وأهل الورع، وتميزَ على الأتراك وطمحَ إلى المعالي، وظل يَرْقَى بنفسه، وهو في ذلك يكبر ولا يزال يكبر، كأنما يريد أن ينقطع من أصله ويلتحق بالأمراء، فلما التحق بهم ظلَّ يكبر ليلحقَ بالمُلوك، فلما بلغ هؤلاء كانت نيتُه على ما يعلم الله، وكان كأنه يملك عقلين لرجلين مختلفين، فله يَدٌ مع الملائكة ويدُه الأخرى مع الشياطين، فهو الذي بَنَى المَارِسْتَان وأنفق عليه وأقام فيه الأطباء، وشرطَ إذا جيء بالعليل أن تُنْزَعَ ثيابُه وتُحفَظ عند أمين المارستان، ثم يُلْبَس ثيابًا ويُفْرَش له ويُغْدَى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يَبْرَأ، ولم يكن هذا معمولًا به قبلَ إمارته، وهو أول من نظر في المظالم من أمراء مصر،

وكان يُكْثِرُ من صدقاته كلما كَثُرَت نعمةُ الله عليه، ومَرَاتِبُه لذلك في كل أسبوع ثلاثة آلاف دينار سوى مطابخه التي أقيمت في كل يوم في داره وغيرها، يذبح فيها البقرَ والكِبَاش ويَغْرِفُ للناس، ولكل مسكين أربعةُ أرغفة يكون في اثنين منها حلوى، وينادي: مَن أحب أن يحضرَ دار الأمير فليحضر، وتُفْتح الأبواب ويدخل الناس وهو في المجلس ينظر إلى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون، فيَسُرُّه ذلك ويحمد الله على نعمته، وكان راتبُ مطبخه في كل يوم ألف دينار، وهو الذي فتح أنطاكِيَّة في سنة ٢٦٥هـ.

ومع كل ذلك فإنه كان رجلًا طائشَ السيف، يَجُور ويَعْسِف، وقد أُحْصِيَ مَن قتَلَهم صبرًا أو ماتوا في سجنه فكانوا ثمانية عشر ألفًا، ولما ذهبَ شيخُك أبو الحسن ابن بنان يعنفه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، طاشَ عقلُه فأمر بإلقائه إلى الأسد، وهو الخبر الذي طار في الدنيا حتى بلغك في بغداد.

قال: وكنتُ حاضرًا ذلك اليوم، فجيءَ بالأسد من قصر ابنه خِمَارَوَيْه، وكان خمارويه هذا مشغوفًا بالصيد، لا يكاد يَسمع بسبعٍ في غَيْضَةٍ أو بطن وادٍ إلا قَصَده ومعه رجال عليهم لُبُود، فيدخلون إلى الأسد ويتناولونه بأيديهم مِن غَابِه عَنْوَةً وهو حي، فيضعونه في أقفاص من خشب محكمة الصنع يسع الواحد منها السبع وهو قائم.

وكان الأسد الذي اختاره للشيخ أغلظَ ما عندهم، جسيمًا، ضاريًا، عَارِمَ الوحشية، ضخم العضل، شديد عَصَبِ الخَلْقِ فَرَّاسًا، واسع الشِّدْق، يَلُوحُ شِدْقُه مِن سَعَتِه ورَوْعَتِه كفتحة القبر يُنْبِئُ أنَّ جوفَه مقبرة، ويَظْهَرُ وجهه خارجًا مِن لبْدَتِه يكاد يَنْقَذِف على من يراه فيأكله، وأجلسوا الشيخ في قاعة وأشرفوا عليه ينظرون، ثم فتحوا باب القَفَص من أعلاه فانفتح، وهَيَّجُوا الأسد وجعلوا يَزْجُرُونه، فانطلق يزمجر ويزأر زئيرًا تَنْشَقُّ له المَرَائِر، ويَتَوَهَّم من يسمعه أنه الرعد وراءه الصاعقة، ثم انكمشَ الوحش في نفسه

واقْشَعَرَّ، ثم تمطى كالمنجنيق يقذف الصخرة، فما بقي من أَجَلِ ابن بنان إلا طرفةُ عين، ورأيناه على ذلك ساكنًا مُطْرِقًا لا ينظر إلى الأسد ولا يَحْفِلُ به، وما منا إلا من كاد ينشق حِجَابُ قلبه من الفَزع والرعب والإشفاق على الرجل، وما هي إلا لحظات عاشها السبعُ في وحشيته ثم عاد كالهِرّ، فأقْعَى على ذنبه، ثم لصق بالأرض هُنَيْهَةً يفترش ذراعيه، ثم نهض نهضة أخرى كأنه أسدٌ غير الأسد الذي رأيناه، فمشى مُتَرَفِّقًا ثقيلَ الخَطْوِ تسمع لمفاصله قَعْقَعَةً من شدته وجسامته، وأقبل على الشيخ وطَفِقَ يحتك به ويَلْحَظه ويَشُمّه كما يصنع الكلب مع صاحبه الذي يأنس به، وكأنه يُعلن أن هذه ليست مُصَاوَلَةً بين الرجل التقي والأسد، ولكنها مبارزة بين إرادة ابن طولون وإرادة الله، وأدرك أنه لو أكل الضوءَ والهواء والحجر والحديد لكان ذلك أقربَ وأيسرَ من أن يأكل هذا الرجل المتمثل في رُوحَانِيته، الذي لا يُحِسُّ لصورة الأسد معنًى ولا قيمة، ولا يرى فيه إلا حياةً خاضعةً مُسَخَّرَةً للقوة العظمى التي هو مؤمنٌ بها ومتوكل عليها، ورأى الأسدُ رجلًا يخاف الله فخاف منه.

قال: وانصرفنا عن النظر في السبع إلى النظر في وجه الشيخ، فإذا هو سَاهِمٌ مفكر، ثم رفعوه وجعل كل منا يظن ظنًّا في تفكيره، فمِن قائلٍ: إن الخوفَ أَذْهَلَه عن نفسه وأَذْهَبَ عقلَه، وقائل: إنه الانصراف بعقله إلى الموت والتفكر فيه، وأَكْثَرْنا في ذلك وتجارَيْنا فيه، حتى سأله ابن طولون: ما الذي كان في قلبك وفيمَ كنت تفكر؟ فقال الشيخ: لم يكن عليَّ بأس، وإنما كنت أفكرُ في لُعَابِ الأسد، أهو طاهرٌ أم نَجِس[1].

ويتكرر الموقف نفسه مع خمارويه بن أحمد بن طولون، وكأنه يريد أن يثبت أن حادثة بنان مع أبيه كانت صدفةً لا غير، وأن الأسدَ إنما انصرف عنه لِعَارِضٍ عَرَضَ له لا لأن

---

(١) وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي ٣/ ٣٨ ٤٢.

الرجل من أولياء الله، وسبب ذلك أنَّ خمارويه بن أحمد بن طولون كان قد اتَّخذَ له وزيرًا نصرانيًّا، وكان هذا الوزير قد تَفَانَى في خدمة خمارويه، وبالَغَ في جمع الأموال وتحصيلها، فأكرَمَه خمارويه على ذلك وزاد في إكرامه، وخلعَ عليه في بعض الأيام خلعةً جميلة، وحَمَلَه على فرس عظيمٍ جميل، وأمر أربابَ الدولة بالمُضِيِّ في صحبته إلى داره، فركبَ باحتفالٍ زائدٍ وبَهْرَجَةٍ عظيمة، فلما مَرَّ على باب دار بنان - وكانت في ناحية الصَّفا- سمع بنانُ الضوضاء، فقال: ما هذا؟ فأُخْبِرَ بالخبر، فقام مسرعًا إلى باب داره، فلما رأى النصراني قال: أعوذ بالله، يُحْمَلُ كافر بالله تعالى على رءوس المسلمين في هذا الزِّيِّ والتعظيم؟! وتَقَدَّمَ إلى النصراني وقال: انْزِلْ يا عدوّ الله وعدوَّ الإسلام، فترجَّل وقال: يا سيدي، ما عن اختياري ركبتُ، ولكن أمرني الأمير بذلك، ثم مضى راجلًا وتفرَّقَ موكبُه، وبلَغ خمارويه ذلك فاستشاط غضبًا وقال: عليَّ ببنان، فأحضر، وقد جلس خمارويه في مَنْظَرَةٍ مُشْرِفَة على قاعة، وأرسل فيها سبعًا عظيمًا كبيرًا، فأدخل بنان على السَّبع، ثم قال له خمارويه: يا بنان، ما حملك على أن فعلتَ بوزيري ما فعلت؟! قال: أنت حملتني على ذلك إذ تجاهلت أَمْرَ الله تعالى بإذلاله وتحقيره، فقال- وقد أَلْقَى الله هيبتَه في قلبه -: يا شيخ، لا تَعُدْ إلى مثلِ ذلك، فقال بنان: إنْ عُدْتُم عدنا، وأقبل السبعُ إلى بنان فجعل يدور حوله ويُبَصْبِصُ له ويلحسه بلسانه، وبنان يُنَحِّيه عنه بكمِّ جُبَّتِه، والناس لا يعقلون من العجب.

فقال له خمارويه لَمَّا شاهد ذلك منه: ألكَ حاجة؟ قال: نعم، ألَّا تبعث إليَّ حتى آتيك، ثم خرج رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

---

(١) مرشد الزوار ١/ ٤٤٥.



مُعِين الدين والأسدُ والخَرُوف

قال أسامة بن مُنْقِذ: كان بمدينة دمشق جروُ أسدٍ قد رباه سَبَّاعٌ معه حتى كبر وصار يَطْرُدُ الخيل، وتَأَذّى الناس به، فقيل للأمير معين الدين[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنا عنده: هذا السبع قد آذى الناس والخيلُ تنفر منه وهو في الطريق، وكان الأسد يربضُ على مَصْطَبَة بالقرب من دار معين الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النهار والليل، فقال معين الدين: قولوا للسَبَّاع يجيء به، ثم قال لخادمه: أَخْرِجْ مِن ذبائح المطبخ خروفاً إلى قاعة الدار حتى نُبْصِرَ كيف يَكْسِرُه السبعُ ويفترسه، فأخرج الخادم خروفاً إلى قاعة الدار، ودخل السباع ومعه السبع، فساعةَ رآه الخروف وقد أطلَقَه السَبَّاع مِن قيوده التي في رقبته حمَلَ عليه الخروفُ فنطحه فانهزم السبع، وأخذ يدور حول البركة خوفًا والخروف خلفه يطرده وينطحه، ونحن قد غَلَبَنا الضحك عليه، فقال الأمير معين الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا السبع منحوس، أَخْرِجُوه واذبحوه واسلخوه وهاتوا جلده، فذبحوه وسلَخُوه وأَعْتَقَ ذلك الخروف من الذبح[2].

---

(١) الأمير معين الدين أُنَرْ الطُّغْتكِيني، أمير دمشق على عهد الأيوبيين، وكان عاقلًا، خيّرًا، حَسَن السّيرة والدّيانة، موصوفًا بالرّأي والشّجاعة، مُحِبًّا للعلماء والصّالحين، كثير الصَّدَقة والبرّ، وقد تزوَّج الملك نور الدين محمود بْن زنكي بابنته عصْمة الدّين خاتون في حياته، توفي سنة ٥٤٤هـ ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي ١١/ ٨٥٢).

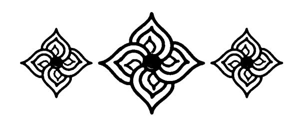
(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ ص١٠٦.

هَلَكَ صَاحبُ الدَّيْن وَسَلِمَ الْغَرِيم

وَحدَّث قَاضِي الْقُضَاة أَبُو السَّائِب عتبَة بن عبيد الله الهمذاني، قَالَ: كَانَ رجل من أهل أذربيجان لَهُ على رجل دين، فهرب المَدين وطالت غيبتُه، فلقي صَاحبُ الدَّين المَدِينَ بعد مُدَّة فِي الصَّحرَاء مُنْفَردًا، فَقبض عَلَيْهِ وطالبه بالمال، فَحلف لَهُ بِالله تَعَالَى أَنه مُعْسِر، وَسَأَلَهُ الِانتِظَار، وَقَالَ لَهُ: لَو أَنِّي أكثر النَّاس مالًا مَا تمكنت هُنَا فِي البيداء من دفع شَيْء إِلَيك، فَأبى عَلَيْهِ، وَأخرج قيدًا كَانَ مَعَه ليقيده حَتَّى لَا يهرب، فتضرع المدين إِلَيهِ وَسَأَلَهُ أَن لَا يفعل وَبكى، فَلم يَنْفَعهُ ذَلِك، واجتمع عليه هو وغلمانه فقيدوه بالقيد، وَمَشى به إِلَى قَرْيَة بِقرب الموضع الَّذِي التقيا فِيهِ، فجاءها مسَاءً وَقد أغلق أَهلُهَا بَاب سورها، فاجتهدا فِي أن يفتح الناس لَهما، فَأبى أهل القرْيَة ذَلِك عَلَيْهِمَا، فباتا فِي مَسجِد خراب على بَاب القريَة، وَأَدْخَلَ صَاحبُ الدَّين رجله فِي حَلقَةٍ مِن حلقتي القَيْد الذي قَيَّدَ به المدينَ لينتبهَ إِذا أَرَادَ الهَرَب، فلما ذهب جزءٌ من الليل جَاء سبع عظيم كالفيل، فجعل يدور حول المسجد، ثم انقَبَضَ وقفزَ فصار داخل المسجد وهما نائمان، فلم يلبث إلا هُنَيْهَة حتى بَرَكَ على صاحب الدين فافترسه، ثم أطبقَ على عنقه وجره فانجر المدينُ مَعَه لأنه مربوط به في رجله في الحلقة نفسها، فَلم يزل السبع يجره مسافة طويلة حتى وصل إلى خارج البلدة، ثم برك عليه إِلَى أَن فرغ من أكله، وشبع وَانْصَرف، وَترك المَدِين مربوطًا بصاحب الدين وَقد تَجَرَّح بدنُه وهو ميتٌ رُعبًا،



وَبَقِيَتْ ركُبَةُ الْمدين فِي القَيْد مربوطة مع جزءٍ مِن رُكْبَةِ صاحب الدين، فحملَ المدينُ ما تبقى مِن ركبة صاحب الدين مَعَ قَيده إِلَى أهل القرْيَة، وَأَخْبَرَهم الخَبَر، فحلوا قَيدَه وَسَار لحَال سَبيله[1].



(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ١٥٤.

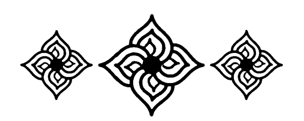
الخليفةُ الأَمِين

كان محمد الأمين[1] في نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال، إلا أنه كان عاجزَ الرأي ضعيفَ التدبير، غيرَ مُفَكِّرٍ في أمره، وحُكي أنه أخرج يومًا أصحابَ اللُّبُود والحِرَاب على البغال - وهم الذين كانوا يصطادون السباع - إلى سَبُعٍ كان بَلَغَهم خبرُه بناحيةٍ خارج بغداد، فاحتالوا على السبُع إلى أن أتوا به في قفص من خشب، فَحُطَّ بباب القصر وأُدْخل، فأدخلوه في صحن القصر والأمين ينظر، فقال: خَلُّوا عنه وافتحوا باب القفص، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنه سبع هائلٌ أسودُ وَحْشِي، فقال: خَلُّوا عنه، ففتحوا بابَ القفص، فخرج سبعٌ أسود له شعر عظيم مثل الثور، فزَأَرَ وضرَبَ بذنبه إلى الأرض، فتَهَارَبَ الناس كلٌّ على وجهه، وغُلِّقَت الأبواب في من كل ناحية، وبقي الأمين وحدَه جالساً في موضعه غيرَ مُكْتَرِث بالأسد، فقصدَه الأسد حتى دنا منه، فضربَ الأمين بيده إلى وسادة أَرْمِينِيَّة مصنوعةٍ من الجلد، فاحتمَى بها من الأسد وجعلها كالدِّرْع، ومَدَّ السبع يده إلى الوِسَادَة فعَلِقَتْ أظفارُه بها، فجذَبها الأمين وتحرك في خفةٍ وقَبَض على أَصْلِ ذيل الأسد ثم قبض على خِصْيَتَيْه، ثم عصرَهُما عصرًا شديدًا ودفع بالسبع إلى الخلف فوقع السبع ميتاً على مؤخرته، وهرع الناسُ إلى الأمين فإذا أصابعُ يدِه ومفصلُ

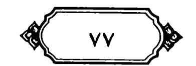
(١) محمد بن هارون الرشيد ابن المهدي ابن المنصور، الخليفة العباسي السادس، ولد في رصافة بغداد سنة ٩٧هـ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣هـ بعهد منه، وقتل سنة ١٩٨هـ (الطبري ١٠/ ١٢٤).



الرُّسْغ قد خُلِعَتْ وتَحَرَّكَتْ عن مواضعها، فأتوا بمُجَبِّرٍ عظامٍ فرَدَّ أصابِعَه إلى مواضعها، وجلسَ كأنه لم يَعْمَلْ شيئاً، فشَقُّوا بطن الأسد فإذا مرارتُه قد أنْشَقَّتْ عن كَبِدِه من شدة الغيظ والألم[1].



(١) مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢٥.



محمد السَّمِين

كان السمين أستاذًا للجُنَيْد، مشهورًا بالتعبد والزهد والتوكل، وكان دائمًا يجاهد نفسَه في مسألة التوكل على الله واليقين بِقَدَرِه، وكان يُوْرِدُ نفسَه مواردَ خطيرة مُتَّكِلًا على يقينه بالله، قَالَ الجنيد: قَالَ لي مُحَمَّد السمين: كنت فِي طريق الكوفة بقرب الصحراء والطريق منقطع، فرأيت علي الطريق جَمَلًا قد سقط ومات وعليه سبعةٌ أَوْ ثمانيةٌ من السباع تَتَنَاهَشُ لحمه، يحمل بعضُها عَلَى بعض، ويطرُدُ بعضُها بعضًا، فلما أن رأيتهم كأنَّ نفسي اضطرَبَتْ وخافت، وكانوا عَلَى قارعة الطريق، فقالت لي نفسي: مِلْ يمينًا أَوْ شِمالًا لتنجو منهم، فاستحييتُ أَنِّي أُعَلِّمُ الناس اليقين والتوكل ثم أخافُ من هذه الكلاب، فأَبَيْتُ إلا أنْ أمُرَّ عَلَى قارعة الطريق بجانب السباع، فحملت نفسي عَلَى أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأني واحدٌ منهم، ثم رجعتُ إِلَى نفسي لأنظر هل زالَ الفزعُ وسوءُ الظن بالله منها أم أنها كما هي، فَإِذَا الرَّوْعُ قائم فيها، فأبيتُ أن أبرحَ مكاني وهذه الصفاتُ قائمةٌ في نفسي، فقعدت بين الأسود، وهم ينهشون اللحم ولا ينظر أحدهم إليّ وكأني غير موجود، ثم نظرتُ بعد قعودي فَإِذَا الروع ما يزال في نفسي، فأبيت أن أبرح وهذه صفتي، فوضعتُ جنبي فنمت مضطجعًا فتَغَشَّاني النوم فنمت وأنا عَلَى تلك الهيئة والسباع بجواري فِي المكان الذي كانوا عَلَيْهِ، فمضى بي وقتٌ وأنا نائم، فاستيقظت فَإِذَا السباع قد تفرقَت ولم يبق منها شيء، واذا الذي كنتُ أجده في نفسي قد زال، فقمت وأنا عَلَى تلك الهيئة فانصرفت[1].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١/ ٢٧١.

بِشْرُ بن عَوَانَة العَبْدِي

كان بشر بن عوانة صعلوكًا يُغِيرُ ويسلب وينتقل يمنةً ويَسرة، فعَشِقَ ابنةَ عمٍّ له يقال لها فاطمة، فلما خطبها من عمه قال عمه: إنّي آلَيْتُ أَن لاَ أُزَوِّجَ ابنَتي هَذه إلاَّ ممَّن يَسوق إلَيهَا أَلفَ نَاقَةٍ مَهراً، وَلا أَرضَاهَا إلاَّ من نُوق خزَاعَةَ، وَغَرَضُ العَمِّ كَانَ أَن يَسلكَ بِشْرٌ الطَّريقَ بَينَه وَبَينَ خزَاعَةَ فَيَفتَرسَه الأَسَد؛ لأَنَّ العَرَبَ قَد كَانَت تَحَامَت عَن ذَلكَ الطَّريق وخافته، فقد كانَ فيه أَسَدٌ يسَمَّى (دَاذ)، وَحَيَّةٌ تُدعَى (شجَاع)، يَقول فيهمَا الشاعر:

أَفْــتَــكُ مِــنْ دَاذٍ وَمِــنْ شُـجَـاعٍ   إنْ يَــكُ دَاذٌ سَـيِّـدَ الـسِّـبَـاعِ

فَــإِنَّهَــا سَــيِّــدَةُ الأَفَــاعِــي

ثُمَّ إنَّ بِشْراً سلكَ ذَلِكَ الطريقَ، فَمَا نَصَفَهُ حَتَّى لَقِيَه الأَسَدَ، فنَفَرَ به مُهْرُهُ، فَنَزَلَ بشْرٌ عنه وَعَقَرَهُ، ثم تَرَجَّل واخْتَرَطَ سَيْفَهُ ومشى على قدميه إِلَى الأَسَدِ، فلما رآه الأسد لم يُمْهِلْهُ حتى اندفع نحوه، فاعْتَرَضَهُ بشرٌ بسيفه فمالَ عنه الأسد، فانتظره بشر في المرة الثانية وقد عَرَفَ طريقةَ وُثُوبه، وكان بشرٌ ثابتَ الجنَان مُعْتَادًا على الفَتْك، فجاء السبع يَهْدِرُ فلما اقترب من بشر وثب، فتلقاه بشر بسيفه فوَقَع السيف في أضلاعه، فخرَّ الأسدُ كالصخرة ميتًا، فقطعَ بشرٌ رأسه ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ الأَسَدِ عَلى قَميصِهِ إِلَى ابنَةِ عَمِّهِ:

أَفَــاطِـمُ لَــوْ شَـهِـدْتِ بِبَطْنِ خَبْتٍ   وَقَــدْ لاَقَـى الهِـزَبْـرُ أَخَــاكِ بِشْرَا

إِذاً لَــرَأَيْــتِ لَـيْـثـاً زَارَ لَـيْـثـاً   هِــزَبْــراً أَغْـلَـبًـا لاَقَــى هِــزَبْـرَا

تَبَهْنَسَ إِذْ تَقاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي ... مُحَاذَرَةً، فَقُلْتُ: عُقِرْتَ مُهْرَا

أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الأَرْضِ؛ إِنِّي ... رَأَيْتُ الأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا

وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصالاً ... مُحَدَّدَةً وَوَجْهاً مُكْفَهِراً

يُكَفْكِفُ غِيلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ ... وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى

يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نابٍ ... وَبِاللَّحَظاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرَا

وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الحَدِّ أَبْقَى ... بِمَضْرِبِهِ قِراعُ المَوتِ أُثْرَا

أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلَتْ ظُبَاهُ ... بِكَاظِمَةٍ غَدَاةَ لَقِيتَ عَمْرَا

وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى ... مُصَاوَلَةً فَكَيفَ يَخَافُ ذُعْرَا؟!

وَأَنْتَ تَرُومُ لِلأَشْبَالِ قُوتاً ... وَأَطْلُبُ لابْنَةِ الأَعْمامِ مَهْرَا

فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُوَلِّي ... وَيَجْعَلَ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرَا؟

نَصَحْتُكَ فَالْتَمِسْ يا لَيْثُ غَيْرِي ... طَعَاماً؛ إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرَّا

فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الغِشَّ نُصْحِي ... وَخالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرَا

مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ راما ... مَرَاماً كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرَا

هَزَزْتُ لَهُ الحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي ... سَلَلْتُ بِهِ لَدَى الظَّلْماءِ فَجْرَا

وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ أَرَتْهُ ... بِأَنْ كَذَبَتْهُ مَا مَنَّتْهُ غَدْرَا

وَأَطْلَقْتُ المُهَنَّدَ مِنْ يَمِينِي ... فَقَدَّ لَهُ مِنَ الأَضْلاعِ عَشْرَا

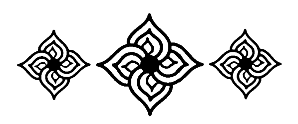
فَخَرَّ مُجَدَّلاً بِدَمٍ كَأَنِّي ... هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرَّا

وَقُـلْـتُ لَـهُ: يَـعِـزُّ عَلَيَّ أَنِّي قَـتَـلْـتُ مُنَاسِبِي جَـلَـداً وَفَـخْـرَا؟
وَلَـكِـنْ رُمْـتَ شَـيْـئاً لَمْ يَـرُمْـهُ سِـوَاكَ، فَلَمْ أُطِـقْ يا لَـيْـثُ صَبْرَا
تُحَـاوِلُ أَنْ تُـعَـلِّـمَـنِـي فِـرَاراً! لَعَمْرُ أَبِـيـكَ قَـدْ حَـاوَلْـتَ نُـكْـرَا!
فَلاَ تَجْـزَعْ؛ فَـقَـدْ لاقَـيْـتَ حُـرًّا يُحَـاذِرُ أَنْ يُـعَـابَ؛ فَـمُـتَّ حُـرًّا
فَـإِنْ تَـكُ قَـدْ قُتِلْتَ فَلَيْسَ عَـاراً فَـقَـدْ لاقَـيْـتَ ذا طَـرَفَيْنِ حُـرًّا

فَلَمَّا بَلَغَت الأَبيَاتُ عَمَّه نَدمَ عَلَى ما مَنَعَه تَزويجَهَا وَخَشيَ أَن تَغتَالَه الحيَّة، فَقامَ في أثره، وَبلغَه وَقَد مَلكَتَه سَوْرَة الحَيَّة، فَلَمَّا رَأى عَمَّه أَخذَته الشجاعة، فَجَعل يَدَه في فَم الحيَّة وحَكَّمَ سَيفَه فيهَا فشقها، فَلَمَّا قَتل الحيَّةَ قَالَ عَمّه: إنيّ عَرَّضتُكَ طَمَعاً في أَمرٍ قَد ثَنَى الله عنَاني عَنه، فارْجِع لأَزَوّجَكَ ابنَتي، فَلَمَّا رَجع جَعلَ بشرٌ يَملأ فَمه فَخراً، ولم يترك مجلسًا إلا وقص خبره مع الأسد والحية، وذات يوم طَلَعَ شاب أَمرَد كَشقّ القَمَر على فَرَسه مدَجَّجاً في سلاَحه يطلب المبارزة، فَقَالَ بشرٌ: يَا عَمّ إني أَسمَع حِسَّ شيء، وَخَرَجَ فَإذَا بغلامٍ عَلى مقربة منه، فَقالَ لبشر: ثكلَتكَ أمّكَ يا بشر! أَن قَتَلتَ دودَةً وَبهيمةً تملأ فمك فَخراً؟ إنْ سلَّمتَ عمَّكَ إليَّ أسيرًا فأنت في أمان، وإلا قتلتُك، فَقَالَ بشرٌ: مَن أَنتَ لا أَم لكَ؟؟ قَالَ: أنا اليَوم الأَسوَد والمَوت الأَحمَر، فَقالَ بشرٌ: ثكلَتكَ مَن ولدتك، فَقَالَ: يَا بشر وَمَنْ وَلَدتك، وَكَرَّ كلٌّ وَاحدٍ منهمَا علَى صاحبه، فَلَم يَتمكَّن بشرٌ من طعنِه ولو مرة، بينما طعن الغلاَمُ عشرينَ طَعنَةً في بدنِ بشرٍ، وكان كلما اقترب الرمحُ من بدن بشر يكف عنه الغلامُ إبقاءً عَلَيه، ثمَّ قَالَ الغلام: يَا بشر كَيفَ تَرَى؟ أَلَيسَ لَو أَردتُ لأَطعَمتُكَ أَنيَابَ الرّمح؟ ثمَّ أَلقَى الغلام رمحَه واستَلَّ سَيفَه فَضربَ بشراً عشرينَ ضربةً بعَرض السَّيف، وَلَم يَتَمَكَّن بشرٌ من ضربة وَاحدَةٍ، ثمَّ قَالَ: يَا بشر سَلِّم عَمَّكَ وَاذهَب في أَمانٍ، قَالَ: نَعَم،



وَلَكن بشَريطَة أَن تقولَ من أَنت، فقالَ: أَنَا ابنُكَ، فقالَ: يَا سبحَانَ الله مَا تزوجت نجيبةً قَطّ فَمِن أين لي بمثلك؟؟ فَقَالَ: أَنَا ابنُكَ من امرأة بِتَّ معها ليلة وهجرتها، فحَلَفَ بشرٌ لاَ رَكِبَ حِصاناً، وَلا تَزَوَّجَ حَصَاناً، ثُمَّ زَوَّجَ ابْنَةَ عَمِهِ لابْنِهِ[1].



(١) مقامات بديع الزمان الهمذاني ص٤٤٧ ٤٧١، والحماسة البصرية لابن أبي الفرج البصري ١/ ١٠٤، ومنتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون البغدادي ص٣٧٩، وهناك من يرى أنه هذه القصة من مخترعات بديع الزمان.

وَصْفُ الأسدِ في مجلس عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان في خلافته -وكان نصرانيًّا- فقال له عثمان: بلغني أنك تجيد وصف الأسد، فقال له: لقد رأيت منه منظرًا وشهدت منه مَخْبَرًا لا يزال ذِكْرُه يتجدد على قلبي، فقال لهُ عُثْمَانُ: وَأَنَّى كان ذَلكَ؟ قال: خَرَجْتُ في صُيَّابَةٍ[1] أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْئَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، تَرْتَمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَائِهَا[2]، وَنَحْنُ نُرِيدُ الحَارِثَ بْنَ أَبِي شِمْرٍ الغَسَّانِيَّ مَلِكَ الشَّام، فَاخْرَوَّطَ[3] بِنَا المسِيرُ فِي حَمَارَّةِ القَيْظِ[4]، حَتَّى إِذَا عُصِبَتِ الأَفْوَاهُ[5]، وَذَبُلَتِ الشِّفَاهُ، وَشَالَتِ المِيَاهُ[6]، وَأَذْكَتِ الجَوْزَاءُ الْمِعْزَاءَ[7]، وَذَابَ الصَّيْهَدُ[8]، وَصَرَّ الجُنْدُبُ[9]، وَضَافَ الْعُصْفُورُ الضَّبَّ فِي وَجَارِهُ[10]،

(١) الصُّيَّابة: سَرَاةُ الْقَوْمِ ووجهاؤهم (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣١).

(٢) الأَكْسَاءُ: الْمَآخِيرُ، يَصِفُهَا بِشِدَّةِ الْعَدْوِ وَالسَّيْرِ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣١).

(٣) يُقَالُ: اخْرَوَّطَ بِهِمُ الطَّرِيقُ وَالسَّفَرُ، إِذَا امْتَدَّ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣١).

(٤) حَمَارَّةُ الْقَيْظِ: شِدَّةُ حَرِّهِ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣١).

(٥) عَصَبَتِ الأَفْوَاهُ: تَعْصِبُ عُصُوبًا، وَهُوَ وَسَخٌ يَجْتَمِعُ عَلَى الأَسْنَانِ مِنْ غُبَارٍ، أَوْ شِدَّةِ عَطَشٍ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣١).

(٦) شَالَتِ المِيَاهُ: نَشِفَتْ وَقَلَّتْ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣١).

(٧) إذا طلعت الجوزاء سَحَرًا اشتد الحر حتى تؤثر الشمس فيما غَلُظَ مِنَ الأَرْضِ (الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣٢).

(٨) الصَّيْهَدُ: حَرُّ الشَّمْسِ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣٢).

(٩) إِنَّ الجُنْدُبَ يَرْمَضُ، فَيَحْتَرِقُ، فَيَسْتَغِيثُ بِالطَّيَرَانِ، فَتضرب رِجْلاهُ فِي جَنَاحَيْهِ، فَيُسْمَعُ لِذَلِكَ صَوْتٌ، وَلَيْسَ ذلك صَوْتُهُ الذي يخرج مِنْ فِيهِ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٣).

(١٠) مِنْ قَوْلِكَ ضِفْتُ فُلَانًا إِذَا مِلْتَ إِلَيْهِ، يعني دخل العصفور جحر الضب ليحتمي من الحر (غريب الحديث للهروي١/ ١٣٨).

وَقَالَ قَائِلُنَا: أَيُّهَا الرَّكْبُ غَوِّرُوا بِنَا فِي ضَوْجِ[1] هَذَا الْوَادِي، وَإِذَا وَادٍ قد بدا كَثِيرُ الدَّغَلِ، دَائِمُ الْغَلَلِ[2]، أشجارُهُ مُغِنَّةٌ، وَأَطْيَارُهُ مُرِنَّةٌ، فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتٍ كَنَهْبُلَاتٍ[3]، فَأَصَبْنَا مِنْ فُضَلَاتِ الزَّادِ، وَأَتْبَعْنَاهَا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ، فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا ذَلِكَ، إِذْ صَرَّ أَقْصَى الْخَيْلِ أُذُنَيْهِ، وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ، فَوَ اللهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ، ثُمَّ حَمْحَمَ فَبَالَ، فَأَرْزَمَ[4]، ثُمَّ فَعَلَ فِعْلَهُ ما يَلِيهِ من الخيل وَاحِدًا فَوَاحِدًا، فَتَصَعْصَعَتِ[5] الرِّكَابُ، وَتَكَعْكَعْتِ[6] الْخَيْلُ، وَتَقَهْقَرَتِ الْبِغَالُ، فَمِنْ نَافِرٍ بِحِمَالِهِ، وَنَاهِضٍ بِعِقَالِهِ، فَعَلِمْنَا أَنْ قَدْ أُتِينَا، وَأَنَّهُ السَّبُعُ، فَفَزِعَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ، فَسَلَّهُ مِنْ جِرَابِه، ثُمَّ وَقَفْنَا زَرْدَقًا[7] فَأَقْبَلَ يَتَظَالَعُ[8] مِنْ بَغْيِهِ كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ[9]، أَوْ فِي هَجَارٍ[10]، لِصَدْرِهِ نَحِيطٌ[11]، وَلِبَلَاعِيمِهِ غَطِيطٌ، وَلِطَرْفِهِ وَمِيضٌ، وَلِأَرْسَاغِهِ نَقِيضٌ، كَأَنَّهُ يَخْبِطُ هَشِيمًا، أَوْ يَطَأُ ضَرِيمًا[12]، فَإِذَا هَامَةٌ كَالْمِجَنِّ، وَخَدٌّ كَالْمِسَنِّ، وَعَيْنَانِ سَجْرَاوَانِ[13]، كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَقِدَانِ، وَقَصَرَةٌ رَبِلَةٌ[14]،

---

(١) الضَّوْجُ: منعطف الْوَادي (ينظر: جمهرة اللغة ١/ ٤٨٠).

(٢) الغلل: الماء الظاهر الجاري (ينظر: الجراثيم لابن قتيبة ٢/ ١٢).

(٣) الكَنَهْبَل: شجر عظيم (ينظر: تهذيب اللغة ٦/ ٢٨٤).

(٤) أَرْزَمَ البعير والفرس: اشتد إعياؤه (ينظر: أساس البلاغة ١/ ٣٥١).

(٥) تَصَعْصَعت: جالت وتفرقت (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٤٩).

(٦) تَكَعْكَعَ عن الأمر: أي احتبس وجَبُن عنه (ينظر: شمس العلوم للحميري ٩/ ٥٧٣٣).

(٧) يقَالَ وقف الْقَوْم زَرْدَقًا: أَي صفًّا (ينظر: المخصص لابن سيدة ٣/ ٢١٦).

(٨) ظَلَعت الدابة: غمزت برجلها كأن فيها داء (ينظر: العين ٢/ ٨٦).

(٩) كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ: أَيْ يَمِيلُ عَلَى أَحَدِ شِقَّيْهِ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٠).

(١٠) الهِجَارُ: حَبْلٌ يُشَدُّ به رسْغ الدابة إِلَى الْعُنُقِ (ينظر: العين٢/ ٥٥٠).

(١١) النَّحِيطُ: هُوَ الزَّفِيرُ ((ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٢).

(١٢) الضريم: اسم للحريق، أو الصريم وهو أرض سوداء لا تنبت (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٣).

(١٣) السَّجْرُ: أَنْ يَكُونَ سَوَادُ الْعَيْنِ مُشْرَبًا بِحُمْرَة (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٥).

(١٤) وَالْـقَصَرَةُ: أَصْلُ الْعُنُقِ، وَالرَّبِلَةُ وَالْمُتَرَبِّـلَـةُ: الْكَثِيرَةُ اللَّحْمِ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٥).

وَلِهْزِمَةٌ رَهِلَةٌ[١]، وَكَتِدٌ مُغْبَطٌ[٢]، وَزَوْرٌ مُفْرَطٌ[٣]، وَسَاعِدٌ مَجْدُولٌ، وَعَضُدٌ مَفْتُولٌ، وَكَفٌّ شَثْنَةُ الْبَرَاثِنَ[٤] إِلَى مَخَالِبَ كَالْمَحَاجِنِ، فَضَرَبَ بِيَدَيْهِ فَأَرْهَجَ[٥]، وَكَشَرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابٍ كَالْمَعَاوِلِ مَصْقُولَةٍ غَيْرِ مَقْلُولَةٍ[٦]، وَفَمٍ أَشْدَقَ كَالْغَارِ الْأَخْوَقِ[٧]، ثُمَّ تَمَطَّى فَأَشْرَعَ بِيَدَيْهِ، وَحَفَزَ وَرِكَيْهِ بِرِجْلَيْهِ، حَتَّى صَارَ طُولُهُ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ أَقْعَى فَاقْشَعَرَّ، ثُمَّ مَثَّلَ فَاكْفَهَرَّ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَأَرَّ[٨]، فَلَا وَالَّذِي بَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَوَّلِ أَخٍ لَنَا مِنْ بَنِي فَزَارَةَ، وَكَانَ ضَخْمَ الْجُزَارَةِ[٩]، فَوَقَصَهُ وَقْصَةً ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً، فَقَضْقَضَ[١٠] مَتْنَهُ، فَجَعَلَ يَلَغُ فِي دَمِهِ، فَذَمَّرْتُ أَصْحَابِي، فَبَعْدَ لَأْيٍ[١١] مَا اسْتَقْدَمُوا، فَكَرَّ مُقْشَعِرًّا بِزُبْرَةٍ[١٢]، كَأَنَّ بِهَا شَيْهَمًا حَوْلِيًّا[١٣]،

---

(١) اللِّهْزِمَةُ: مَا تَحْتَ الْأُذُنِ مِنْ أَعْلَى اللَّحى، وَالرَّهَلُ: سعة جلدها، يريد أن جلدها يموج هنا وهناك، وذلك مما يمدح به (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٥).

(٢) الْكَتِدُ: مَا بَيْنَ أعلى الظهر إِلَى مُنْتَصَفِ الْكَاهِلِ مِنَ الظَّهْرِ، والمُغْبَط: المرتفع (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٥).

(٣) وَالزَّوْرُ: الْوَسَطُ مِنَ الصَّدْرِ، وَمُقَدَّمُهُ، وَجَمْعُهُ أَزْوَارٌ، وَالْمُفْرَطُ: الْمُرْتَفِعُ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٦).

(٤) الشثن: الغليظ، والبراثن: بِمَنْزِلَةِ الْأَصَابِعِ مِنْ يَدَيِ الْإِنْسَانِ وَرِجْلَيْهِ ((ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٨).

(٥) أَرْهَجَ: أثارَ الغبار (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٨).

(٦) المَقْلُول: المنكَمِش في نفسه (ينظر: مجمل اللغة لابن فارس ص٧٣٠).

(٧) الأَخْوَق: الواسع (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٥٩).

(٨) الإِزْبِئْرَارُ: الِانْتِفَاشُ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٦٤).

(٩) الْجُزَارَةُ: الْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ وَالْعُنُقُ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٦٥).

(١٠) القَضْقَضَة: الكَسْر (ينظر: جمهرة اللغة ١/ ٢١١).

(١١) بعد لَأْي: أي بعد بُطءٍ واحتباسٍ وتَرَدُّد (ينظر: الجراثيم لابن قتيبة ١/ ٢٥٥).

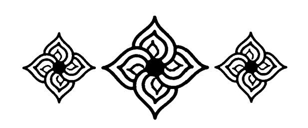
(١٢) الزُّبْرَةُ مِنَ الْكَاهِلِ: الشَّعْرَةُ الْمُجْتَمِعَةُ، وَكُلُّ شَعْرٍ يَكُونُ كَذَلِكَ مُجْتَمِعًا مِنَ الْوَبَرِ فَهُوَ زُبْرَةٌ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٦٩).

(١٣) الشَّيْهَمُ: مَا عَظُمَ شَوْكُهُ مِنْ ذُكْرَانِ الْقَنَافِذِ، والحَوْلِيّ: مَا أَتَمَّ من عمره سنة (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٦٩) وهو يريد وصف شَعْره بأنه مُنْتَفِش مرتفع.



فَاخْتَلَجَ رَجُلًا أَعْجَزَ ذَا حَوَايَا[١]، فَنَفَضَهُ نَفْضَةً تَزَايَلَتْ[٢] مَفَاصِلُهُ، ثُمَّ نَهَمَ فَفرْفَرَ[٣]، ثُمَّ زَفَرَ فَبَرْبَرَ، ثُمَّ زَأَرَ فَجَرْجَرَ[٤]، ثُمَّ لَحَظَ، فَوَ اللهِ لَخِلْتُ الْبَرْقَ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ، مِنْ عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِه، فَأُرْعِشَتِ الْأَيْدِي، وَاصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ، وَأَطَّتِ[٥] الْأَضْلَاعُ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ، وَحَمَّجَتِ[٦] الْعُيُونُ، وَلَحِفَتِ[٧] الْبُطُونُ، وَانْخَزَلَتِ الْمُتُونُ[٨]، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ، فَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اسْكُتْ قَطَعَ اللهُ لِسَانَكَ، فَقَدْ أَرْعَبْتَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، ولقد وَصَفْتَه حتى كأني أَنْظُرُ إليه يريد يُوَاثِبُنِي[٩].

انتهت الرسالة بحمد الله وتوفيقه



---

(١) اخْتَلَجَ: جَذب، والأَعْجَز: عظيم العَجِيزة، والحَوَايا: ما تحويه البطن، يعني أنه رجل بَطِين (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٦٩).

(٢) تَزَايَلَت: تباينت وتفرقت (ينظر: مجمل اللغة لابن فارس ٢/ ٥٧٠).

(٣) النَّهِيمُ: صَوْتٌ فَوْقَ الزَّفِيرِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَسَدِ: نَهَّام، وفَرْفَر: نَفَض رأسه (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٧٠).

(٤) الْبَرْبَرَةُ وَالْجَرْجَرَةُ: الْجَلَبَة وَالصِّيَاح (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٧٠).

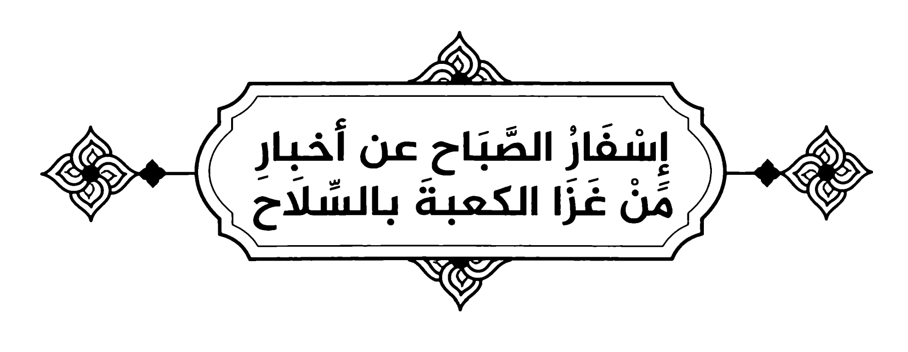
(٥) أَطَّت: أَحْدَثت صوتًا لاحتكاك بعضها ببعض (ينظر: العين ٧/ ٤٧٠).

(٦) التَّحْمِيجُ: الحَمْلَقة وشِدَّةُ النَّظَرِ (ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٧٢).

(٧) لَحِفَتِ البطونُ:اضطربَت من الخوف ((ينظر: الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ٢/ ٥٧٣).

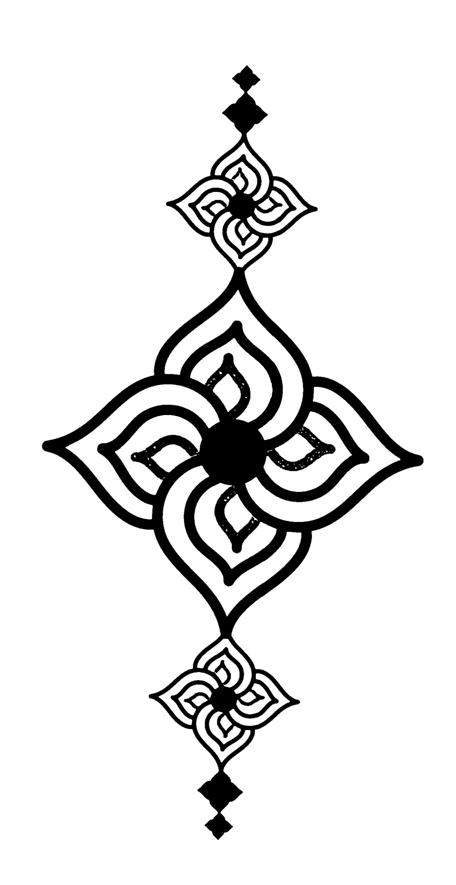
(٨) انْخَزَلَ عنه: أي ارتد وضَعُف (ينظر أساس البلاغة للزمخشري ١/ ٢٤٤).

(٩) المحاسن والأضداد ص١١٤.



إِسْفَارُ الصَّبَاحِ عن أَخْبَارِ مَنْ غَزَا الكعبةَ بالسِّلَاحِ





أَبْرَهَةُ الأَشْرَمُ الحَبَشِي

كَانَ النَّجَاشِيُّ ملكُ الحبشة هو صاحب الأمر والنهي في اليمن، فجاءته كُتُبُ نصارى اليمن يشكون اسْتِذْلَالَهم واستضعافَهم ويطلبون نصرتَه، فوَجَّهَ أميرًا من النابهين يسمى أَرْيَاطَ فِي أَرْبَعَةِ آلافٍ من خيرة جنده إِلَى الْيَمَنِ نصرةً للنصارى، فَدخلها أرياط وَملَكَهَا، ولكنه أساء السيرة فَأَعْطَى الْمُلُوكَ وقربهم وَاستَذَلَّ الفقرَاءَ وظلمهم، فَقَامَ رَجلٌ منَ الحبشَةِ يُقَالُ له أَبرَهَةُ الأَشْرَمُ أَبُو يَكْسُومَ، فَدَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وخلْعِ طاعة أرياط، فَأجابوهُ، فَقَتَلَ أَرياطَ وَغَلبَ عَلى اليمنِ[1].

وكان أبرهة قد صنعَ ما صنعَ بغيرِ عِلْمِ النجاشي مَلكِ الحبشة، فلما بلغَه ذلك غضب غضبًا شديدًا، وقال: عَدَا على أمِيري فقتَلَه بغير أَمْري، ثم حلفَ ألا يَدَعَ أبرهةَ حتى يطأ بلادَه ويجُزَّ ناصيته، فلما بلغ ذلك أبرهةَ حلَقَ رأسَه، ثم ملأ جِرَابًا من ترابِ اليمن، ثم بعث به إلى النجاشي، وكتب إليه: أيها الملك، إنما كانَ أرياطُ عبدَك، وأنا عبدُك، فاختلفنا في أمرك، وكل ذلك في طاعتك، إلا أنِّي كنت أقوى منه على أمرِ الحبشة، وأَضْبَطُ لها وَأَسْوَس، وقد حلقتُ رأسي كله حين بلغني قَسَم الملك، وبعثتُ إليه بجرابٍ من ترابِ أرضِ اليمن ليضَعَه تحتَ قدميه فيبرّ قَسَمَه، فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه، وكتب إليه: أَنِ اثْبُتْ على عملك بأرض اليمن، حتى يأتيك أمري[2].

(١) الطبري ٢/ ١٣٠.
(٢) الطبري ٢/ ١٣١، والبداية والنهاية ٢/ ١٦٩.

فثبت أبرهة في ملك اليمن، وبينما هو يطوف ذات مرة حول مملكته إذ رَأَى النَّاسَ يَتَجَهزونَ أَيَّامَ المَوسِمِ لِلحجِّ إِلَى البَيتِ الحَرامِ، فَسأَل: أَينَ يَذهَبُ النَّاسُ؟ فَقَالُوا: يَحُجُّونَ إِلَى بَيت اللهِ بِمَكةَ، قَالَ: مِمَّ هُوَ؟ قَالُوا: مِن حِجارَةٍ، قَالَ: فما كِسْوَتُه؟ قالوا: ما يأتي هنا من الثياب اليمانية، قَالَ: وَالمَسِيحِ لَأَبنِيَنَّ لَكُم خَيرًا منه، فبنى لهم بيتًا، عمله بالرخام الأَبيَضِ وَالأَحمَرِ وَالأَصفَرِ وَالأَسوَدِ، وَحلَّاهُ بِالذهَبِ وَالفِضَّةِ، وَحَفَّهُ بِالجَوهَرِ، وَجَعَلَ لَهُ أَبوَابًا عليهَا صَفَائحُ الذَّهَبِ وَمسامِيرُ الذَّهَبِ، وَفَصَلَ بَينهَا بِالجَوهَرِ، وَجَعَلَ فِيهَا يَاقُوتَةً حَمراءَ عَظيمةً، وَجَعلَ لَهَا حُجَّابًا، وكان يُوقِد نيرانَه بالطِّيب، ويلطخ جُدُرَه بِالمِسكِ، فَيَسْوَدّ حَتَّى يَغِيبَ الجَوهَرُ تحت المسك[1].

ثم إن أبرهةَ كتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيتَ لك أيها الملك كنيسةً لم يُبنَ مثلُها لِمَلِكٍ كانَ قبلك، ولستُ بمُنتَهٍ حتى أصرفَ إليها حَاجَّ العرب، ثم أَمَرَ النَّاسَ فَحَجُّوهُ، فَحَجَّهُ كَثِيرٌ مِن قبائِلِ العَربِ سِنِينَ، وَمَكثَ فِيهِ رِجالٌ يَتعَبَّدُونَ وَيتَأَلَّهُونَ، وَنَسَكُوا لَهُ[2].

فلما شاعَ أمرُ هذه الكنيسةِ وما عَزَمَ عليه أبرهة مِن صَرْفِ الناس إليه عنوةً غضب رجل من العرب فذهب إلى ذلك البيت في لَيلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي فلَم يَرَ أَحَدًا من الحرس يَتَحَرَّكُ، فَقَامَ فَجَاءَ بِعَذِرَةٍ فَلَطَّخَ بِهَا قِبلَتَهُ، وَجَمَعَ جِيَفًا فَأَلقَاهَا فِيهِ، ثم خرج هاربًا إلى قومه، فأُخبِرَ بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعهُ رجلٌ من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لَمَّا سمع من قولك: أَصرِفُ إليه حاجَّ العرب، فغضب عند ذلك أبرهة وَقَالَ: إِنَّمَا فَعَلَتْ هذا العَرَبُ غَضَبًا لِبَيتِهِم، لَأَنقُضَنَّهُ حَجَرًا حَجَرًا، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه[3].

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف للعمري ص٩٠.
(٢) المنتظم لابن الجوزي ٢/ ١٢٢.
(٣) الطبري ١/ ٤٤٠، والمنتظم ٢/ ١٢٢.

ثم إن أبرهة تَوَّجَ مُحَمَّد بنَ خزاعي، وأَمَّرَه على مُضَر، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حج كنيسته التي سماها القُلَّيْس، فسار مُحَمَّد بن خزاعي حتى إذا نزل ببعض أرض بني كِنَانة- وقد بلغ أهلَ تِهامة أَمرُه وما جاء له- بعثوا إليه رجلًا مِن هذيل، يقال له عروة بن حِياض المِلَاصِي، فرماه بسهمٍ فقتله، وكان مع مُحَمَّد بن خزاعي أخوه قيس، فهرب قيسٌ حين قُتِلَ أخوه فلحق بأبرهة فأخبره بقَتلِه، فزاد ذلك أبرهةَ غضبًا وحنقًا، وحلف لَيَغْزُوَنَّ بني كنانة ولَيَهْدِمَنَّ البيت[1].

وَكَتَبَ أبرهة إِلَى النَّجاشِيِّ يُخبِرُهُ بِذلكَ، وَيَسأَلُهُ أَن يَبعَثَ إِلَيهِ بِفيلِهِ مَحمُودٍ- وَكَان فِيلًا لَم يُرَ مِثلُه فِي الأَرضِ عِظَمًا وَجِسمًا وَقوةً- فَبَعَث به إِلَيهِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيهِ الفِيلُ سارَ أَبرَهَةُ بِالناس وسمِعَتِ العربُ بذلك فأَعْظَمُوه، وفزعوا منه، ورأوا جهادَه حقًّا عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام، فخرجَ له رجلٌ كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له (ذُو نَفَر)، فدعا قومَه ومَن أجابه منهم من سائرِ العرب إلى حربِ أبرهةَ وجهادِه عن بيت الله وما يريد من هدمِه وخَرَابه، فأجابه مَن أجابه إلى ذلك، فخرجَ إلى أبرهة فقاتَله، فهُزِمَ ذو نفر وأصحابُه، وأُخِذَ ذو نفرٍ أسيرًا، فأُتِيَ به أبرهة، فلما أراد قَتْلَه قَالَ له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معكَ خيرًا لك مِن قَتِلي، فحَبَسَه عندَه في وَثَاقٍ- وكان أبرهة رجلًا حَلِيمًا- ثم مضى أبرهةُ على وَجهِهِ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عَرَضَ له نُفَيْلُ بنُ حبيبٍ الخَثْعَمِي في قَبِيلَتَيْ خَثْعَم (شَهْرَان ونَاهِس) ومن تَبِعَه مِن قبائل العرب، فقاتَلَه فهزَمَه أبرهةُ، وأُخِذَ نُفَيْلٌ أسيرًا، فأُتي به، فلما هم بقتله قَالَ له نفيل: أيها الملك، لا تقتلني فإني دَلِيلُك بأرض العرب، وهاتان يدَاي لك على قبيلتي خثعم (شهران وناهس) بالسمع والطاعة، فأعفاه وخَلَّى سبيلَه، وخرجَ به معه

(١) تاريخ مكة ص٩٠.

يدُلُّه على الطريق، وفي الطريق تَآمَرَ العربيان نُفيل بن حبيب وذو نفر ومن معهما وقالا: يذهبون إلى بيت الله الّذي ليس له في الأرضِ بيتٌ غيرُه لِهَدْمِه؟! دعونا نخدعه ونشغلُه بثَقِيفٍ وبَيْتِها[١] عسى أن يجدَ عندَهم ما يكره، فَمالَا به إلى الطائف[٢].

يقول عمير أبي رُزَيْن الثقفي: كنا نرعى غنمًا قريبًا من الطائف، فما شعرنا ولا شَعرَ مَن بها من أهلِها إلا والأَشْرَمُ أبرهةُ قد جاءَهم ضُحى، معهم الفِيَلَةُ والدَّهْمَاء من الناس، فخرجَ إليه أبو مسعودٍ في رجالٍ مِن ثقيف فقالوا: أيها الملك، إنكَ خرجتَ لأمرٍ تريده، فامْضِ للَّذِي تريد، إنما البيتُ الّذي تحج إليه العرب بمكةَ لا هنا، وكان أبو مسعود فَطِنًا، فأَهْدَى له خمرًا وزبيبًا وقال له: إنما نحن عبيدُك، سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف، ونحن نبعثُ معكَ من يَدُلك، وإنما خَدَعَكَ مَن معك، فدعا ذا نَفَرٍ ونُفَيلًا فقال: قَدِمْتُما بي إلى هنا؟ فقالا: هؤلاءِ عدوٌّ وأولئك عدو، فقال: إني لم أُرِدْ هؤلاء، إنما أردت أنْ أهدمَ البيتَ الّذي يحج إليه العرب وأَغِيظَهم مما صنعوا بِكَنِيسَتي[٣].

فتجاوز عن ثقيف، وبعثوا معه رجلًا منهم يدعى أبا رِغَالٍ[٤]، فخرج أبرهةُ ومعه أبو رِغَالٍ حتى أنزله طريق المُغَمَّس قريبًا من مكة، فلما أنزله به ماتَ أبو رِغَال هنالك[٥].

---

(١) كان لثقيف بيت يعظمونه ويحجون إليه وينذرون له النذور، وهو ما فيه صنمهم (اللات) فأراد هذان العربيان أن يصرفا أبرهة عن بيت الله ويوهمانه أن بيت ثقيف (اللات) هو المقصود.

(٢) الطبري ٢/ ١٣٣.

(٣) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع للمقريزي ٤/ ٧٤.

(٤) قَسِيَّ بن منبه بن النبيت بن يَقْدُم، من بني إياد، أبو رغال، كانت ثقيف تعيَّر به لكونه دل الأحباش على طريق البيت، قال حسان بن ثابت:

إذا الثقفيُّ فاخَرَكُم فقُولوا ... هَلُمَّ نَعُدُّ شَأنَ أبي رِغَالِ

(ينظر: مروج الذهب ١/ ٢١٧).

(٥) المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب ص٧٦.

وسمعت به قريشٌ فخرجوا وتركوا مَكَّة، فلم يبق بها أحدٌ يُذْكَر إلا خاف على نفسه إلا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فقد كانا يُطْعِمَان الناسَ كل يوم، وأرسل أبرهةُ جنودَه فأخذوا إبلَ الناس وأغنامَهم، فكان مما أخذوا إبلًا لقريشٍ بناحيةٍ فيها مائتا ناقةٍ لعبد المطلب، ثم أرسل أبرهةُ رسولًا فقال: انظر مَن بقيَ بمكة، فأَتَى فنظرَ ثم رجع إليه فقال: وجدتُ بها الناسَ كلَّهُم ولم أَجِدْ أَحَدًا، قال: وكيف ذلك؟ قال: وجدت رجلًا لم أَرَ مثلَ طُولِه وجَمَاله، ووجدت رجلًا لم أر مِثْلَ قِصَرِه، والجميلُ هو عبد المطلب والقصير عمرو بن عائذ، قال: فاذهب وَاتِنِي بالطويل، فذهب فأتى بعبد المطلب[1]، وَكَانَ نُفَيْلُ الخثعمي صَدِيقًا لِعَبد المطَّلبِ، فَكلَّمَ نُفَيلٌ أَبْرَهَةَ فَقَالَ: أيها المَلِكُ، قَد أَتاكَ سَيِّدُ العرب وَأَفضَلهُم قَدرًا، وَأَقدَمهُم شَرَفًا، يَحمِلُ عَلَى الجِيَادِ، وَيُعطِي الأَموَالَ، وَيُطعِمُ ما هَبَّتِ الرِّيح، فَأَمر أَبرَهَةُ بإدخاله[2]، فلما دخل عليه أَعْجَبَهُ وَهَابَه وأمر له بمنبرٍ فجلسَ عليه، فلما كلَّمَهُ وسأله ازداد به عجبًا، ثم قال له: سَلْنِي ما أحببتَ، فقال عبد المطلب: إنكَ أَخَذْتَ إبلًا لِي فردها عليَّ، فقال أبرهة: والله لقد زَهِدْتُ فيكَ بعدَ عَجَبٍ بك، قال عبد المطلب: ولِمَ ذاك أيها الملك؟ قال: جئتُ أَهْدِمُ شَرَفَكَ وحُرْمَتَك وكعبةَ آبائِك فتركتَ أن تسألني الكفَّ عنها وسألتني الإبلَ؟!، قال: أمَا واللهِ إن البيتَ أحبُّ إليَّ وأعظمُ عندي من مالي، وإني أنا رَبُّ إبلي، وإنَّ للبيتِ ربًّا سيمنَعُه، قال: ما كان ليمنعه مني، قال عبد المطلب: أنتَ وذَاكَ[3]، فأَمَرَ أبرهةُ بإبلِهِ فَرُدَّت عليه.

وقيل إن عبد المطلب انطلقَ ومعه بعضُ بَنِيه حتى أتى عسكرَ أبرهةَ فسأَلَ عن ذِي نفر -وكان له صديقًا- حتى دُل عليه، وهو في محْبَسِه، فقال له: يا ذا نفر، هل عندكَ حيلةٌ

(١) المنمق في أخبار قريش ص٧٦.

(٢) الطبري ٢/ ١٣٨.

(٣) أخبار مكة للأزرقي ص٢٢٣.

فيما نَزَلَ بنا؟ فقال له ذو نفر: وما حيلةُ رجلٍ أسيرٍ بيدَي مَلِكٍ ينتظر أن يقتلَه غُدُوًّا أو عَشيًّا، ما عندي غَنَاءٌ في شيءٍ مما نزلَ بك إلا أن أُنَيْسًا سائسَ الفيل صديقٌ لي، فسأرسل إليه فأُوْصِيه بك، وأُعْظِمُ عليه حقك، وأسأله أن يستأذنَ لك على المَلِكِ فتكلمُه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير إن قَدِرَ على ذلك، قَالَ: فابعثْ إليه، فبعثَ ذو نفر إلى أُنَيْس، فجاء به، فقال: يا أنيس، إن عبدَ المطلب سيد قريش، وصاحب عِيرِ مكة، يُطْعُم الناسَ بالسهل، والوحوشَ في رءوسِ الجبال، وقد أصابَ له الملكُ مائتي بعيرٍ فاسْتَأْذِن له عليه، وانْفَعْهُ عندَه بما استطعتَ، قَالَ: أَفْعَلُ، فكَلَّمَ أنيسٌ أبرهةَ فقال: أيها الملك، هذا سيدُ قريشٍ ببابِكَ يستأذنُ عليك، وهو صاحب عِيرِ مكة، يُطْعِمُ الناسَ بالسهل، والوحوشَ في رءوس الجبال، فأْذَنْ له عليك، فيُكَلِّمك بحاجته وأَحْسِنْ إليه، قَالَ: فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلًا عظيمًا وسيمًا جسيمًا، فلما رآه أبرهةُ أَجَلَّه وأكرمه أن يجلسَ تَحْتَه، وكَرِهَ أن تَرَاهُ الحبشةُ يُجلِسُهُ معه على سريرِ مُلكِهِ، فنزلَ أبرهةُ عن سريره، فجلس على بَسَاطِهِ وأجلسَهُ معه عليه إلى جنبه، ثم قَالَ لترجمانه: قل له ما حاجتُك إلى الملك، فسأله الترجمان، فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يَرُدَّ عَلَيَّ مائتي بعيرٍ أَصَابها لي، فلما قَالَ له ذلك، قَالَ أبرهةُ لترجمانه: قل له قد كنتَ أعجَبْتَنِي حين رأيتُك، ثم زَهِدْتُ فيكَ حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعيرٍ قد أصبتُها لك وتَتْرُكُ بيتًا هو دينُك ودينُ آبائك قد جئتُ لهدْمِهِ لا تكلمني فيه؟! فقال له عبد المطلب: إني أنا رَبُّ الإبل، وإن للبيتِ ربًّا سَيَمْنَعُه، قَالَ: ما كان لِيَمْنَعَه مني، قَالَ: أنتَ وذاك، ارْدُدْ إليَّ إبِلِي، فَرَدَّ إليه إبِلَه(١).

ورجع عبدُ المطلب إلى مكةَ فأمرَ الناس بالخروجِ إلى الجبال والاعتصامِ بها، ثم أَمْسَكَ بحَلقَةِ الكعبة وقال:

---

(١) الطبري ٢/ ١٣٤، والمنتظم ٢/ ١٢٥.

لَاهُمَّ إِنَّ العَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رحالَكْ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَكْ
جَرُّوا جُمُوعَ بِلادِهِم والفيلَ كي يَسْبُوا عِيَالَك
عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيدِهِم جَهْلًا وما رَقَبُوا جَلَالَك
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقِبْلَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

ثم أَرْسَلَ عبدُ المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلقَ هو ومَن معه من قريشٍ إلى قمم الجبال فتَحَرَّزُوا فيها ينتظرونَ ما أَبْرَهَةُ فاعلٌ بمكةَ إذا دخلها، فلما أصبحَ أبرهةُ تَهَيَّأَ لدخول مكة، وهَيَّأَ فيلَه، وعَبَّأَ جيشَه، وكان اسم الفيل محمودًا، وأبرهة مُجْمِعٌ لِهَدمِ البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وَجَّهُوا الفيلَ أقبلَ نُفَيلُ بن حبيب الخثعمي حتى قام إلى جنبه، ثم أخَذَ بأُذُنِه، فقال: ابْرُكْ محمودُ أو ارْجِعْ رَاشِدًا من حيث جئتَ، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أُذُنَه، فبَرَكَ الفيلُ وخرَجَ نفيل بن حبيب يَشْتَدَّ حتى صَعَدَ في الجبل، وضربوا الفيلَ ليقومَ فأَبَى، وضربوا في رأسه بالسياط ليقوم فأبى، فأدْخَلُوا المَحَاجِنَ[1] في مَرَاقِه[2] فنَخَسُوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعًا إلى اليمن فقام يُهَرْوِل، ووجهوه إلى الشام ففعلَ مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى الكعبةِ فبَرَك، وأرسل الله عليهم طَيْرًا من البحر أمثالَ الخَطَاطِيف، وَرَأَى أَهلُ مكة الطَّيرَ قَد أَقبَلَتْ من ناحيَةِ البَحرِ، فقال عَبد المُطَّلب: إِنَّ هَذِهِ لَطَيرٌ غَرِيبَةٌ[3].

---

(١) المِحْجَنُ: عَصًا معقوفة الرَّأْسِ كالصَّولَجَان (ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ١/ ٣٤٧).
(٢) المَرَاقُّ: أُصُول الفَخِذين من ناحية البطن (ينظر: المخصص لابن سيدة ١/ ١٧٧).
(٣) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي ص٢٧٣.

فلما رأى الأحباشُ الطير قَالَ قائلهم ساخرًا: مَا يُعْجِبُكُمْ مِن طَيرِ حَمَالٍ جَنَّبَهَا اللَّيلُ إِلَى مَسَاكِنِهَا[١]، فأقبَلَتِ الطيرُ مع كل طائرٍ منها ثلاثةُ أحجارٍ يحملها، حجرٌ في مِنْقَارِه، وحجران في رجليه مثل الحمّص والعَدَس، لا تصيبُ منهم أحدًا إلا هَلَك، وليس كلهم أصابَت، فَكانت الحِجَارَة تَقَعُ فِي رَأسِ الرجلِ فَتَخرجُ مِن جَوفِهِ، وَكَان فِيهِم أَخوَانِ مِن كِندةَ، أَمَّا أَحدهُما ففارَقَ القَومَ قَبلَ ذلكَ، وَأَمَّا الآخرُ فَلحقَ بِأَخيهِ حينَ رَأَى مَا رَأَى، فَبَينما هُوَ يُحَدِّثُهُ عَنهَا إِذ رَأَى طَيرًا مِنهَا فقَالَ: كَانَ هَذَا منها، فَدَنَا منه الطَّيرُ فَضربهُ بِحجرٍ فَمَاتَ[٢].

وخرجوا هَارِبِينَ يَبتَدِرُون الطريقَ الذي منه جَاءوا، ويسألونَ عن نُفَيل بن حبيب لِيَدُلَّهم على الطريقِ إلى اليمن، فلما جاءَ الغدُ أصبحَ عبدُ المطلب ومنْ مَعَهُ على جِبَالِهِم فلم يَرَوا أحدًا يَغْشَاهُم من الأحباش، فبعث ابنه عبدَ الله على فَرَسٍ له سريعٍ ينظر ما لَقوا، فإذا القومُ هَلْكَى جميعًا، فرجع يَسْتَحِثُّ فرَسَه كاشفًا عن فخِذه، فلما رأى ذلك أبوهُ قال: إن ابنِي أَفْرَسُ العَرب، وما كشَفَ عن فخذهِ إلا بشيرًا أو نذيرًا، فلما دنا مِنهم بحيث يُسْمِعُهُم الصوت قالوا: ما وراءك؟ قال: هَلَكُوا جميعًا، فخرج عبد المطلب وأصحابُه فأخذُوا أموالَهم، فكانت أموالُ بني عبد المطلب من ذلكَ المال[٣].

فخرج بقيةُ الأحباشِ يتَسَاقَطُون بكلِّ طريق، ويَهْلِكُونَ على كلِّ مَنْهَل، وأصيبَ أبرهةُ في جسده، وخرجوا به معهم تَسْقُطُ أَنَامِلُه أُنْمُلَةً أنملة، كلما سقطت منه أنملة تَبِعَها قيحٌ ودم، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انْصَدَعَ صدرُه عن قلبه

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ١٤٤.
(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ١٤٤.
(٣) إمتاع الأسماع ٤/ ٧١.

فيما يزعمون، وبالغ ابن إسحاق فقَالَ: حَدَّثَنِي يَعقوبُ بنُ عُتبَة أَنَّهُ حَدَّثَ أن أول مَا رُئِيَتِ الحَصْبَةُ وَالجُدَرِيُّ بِأَرضِ العرب ذَلِكَ العامُ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا رُئِيَ بها مَرَائِرُ الشَّجرِ الحَرمَلِ وَالحَنْظَلِ وَالعُشَرِ ذلك العامُ[1].

وَقَالَ الكَلبِيّ: لما أهلكهم الله بِالحِجَارَةِ لم يفلت مِنهُم إِلَّا أَبرَهَة، فَسَار وطائرٌ يطير فَوقَه وَلم يشْعر بِهِ حَتَّى دخل على النَّجَاشِيّ فَأخبرهُ بِمَا أَصَابَهُم، فَلَمَّا استتم كَلَامه رَمَاه الطَّائِر فَسقط مَيتًا، فَأَرَى اللهُ النَّجَاشِيَّ كَيفَ كَانَ هَلَاكُ أَصحَابه[2].

وكَانَ أَصحَاب الفِيل سِتِّينَ ألفًا لم يرجع مِنهُم إِلَّا أَمِيرُهم، رَجعَ وَمَعه شرذمةٌ قليلة، فَلَمَّا أَخبَرُوا بِمَا رَأَوْا أُهلِكُوا، فَلَمَّا هلكَ مُزِّقَت الحَبَشَةُ كل مُمَزَّقٍ وأَقفرَ مَا حول هَذِه الكَنِيسَة فَلم يَعْمُرْها أحد، وَكَثُرت حولهَا السبَاع والحيات، وَكَانَ كل من أَرَادَ أَن يَأْخُذ شَيئًا مِن ذهبها أو جوهرها أَصَابَته الجِنّ، فَبَقيت من ذَلِك العَهد بِمَا فِيهَا من العدَد والخشب المرصع بِالذَّهَب والآلات المُفَضَّضَة الَّتِي تَسَاوِي قناطيرَ من المَال، لَا يَستَطِيع أحد أَن يَأْخُذ مِنهَا شَيئًا إِلَى زمن أبي العَبَّاس السفاح، الخليفة العباسي الأول، فَذُكِرَ لَهُ من أمرِهَا وَمَا يُتَهَيَّبُ من جِنِّها وحيّاتها فلم يَرُعْهُ ذَلِك، وَبعث إِلَيهَا أَبَا العَبَّاس بن الرّبيع عَاملَه على اليمن ومَعَه أهلُ الحزم والجَلَادَةِ فخَرَّبها وحصلوا مِنهَا مَالًا كثيرًا، وبيع مَا أمكن بَيعُه من رُخَامها وآلاتها، فزالَ بعد ذَلِك رَسْمُهَا وَانْقطع خَبَرُهَا واندَرَسَتْ آثارُها[3].

فلما صدَّهم اللهُ عن البيتِ الحرامِ وَقَفَ عبدُ المطلب عند البيت وقال:

أيها الدَّاعِي لقد أَسْمَعْتَنِي ... لَيسَ بي عَن نِدَاكم مِن صَمَمْ

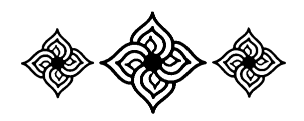
(١) سيرة ابن إسحاق ص٦٥.

(٢) تاريخ مكة المشرفة للعمري ص٩٤.

(٣) الروض الأنف للسهيلي ١/ ١٣٧.

إنَّ لـلـبـيـتِ لـربًّـا مَـانِـعًـا ... مَـنْ يُـرِدْ فيه بِـإِثْـمٍ يُخْتَرَمْ
رَامَـــهُ تُـبَّـعٌ فيـمنَ جَـنَّـدَتْ ... حِمْيَرٌ والحَـيُّ مِـن آلِ قُـدُم
فَـانْـثَـنَـى عـنـه وفي أَوْدَاجِـهِ ... جَـارِحٌ أَمْـسَـكَ منه بالـكَـظَـمْ
قـلـتَ والأشرمُ تَـرْدَى خَـيْـلُـهُ ... إنَّ ذا الأشرمَ غُـرَّ بـالحَـرَمْ
نـحـنُ آلُ اللهِ فـيـما قـد مَضَى ... لم يَـزَلْ ذاكَ عَلَى عَـهْـدِ ابـرَهَـمْ
نـحـن عَـفَـرنـا ثـمـوداً عَـنْـوَةً ... ثـم عَـادًا قبلَـهـا ذاتُ الإِرَمْ
نـعـبـدُ اللهَ وفـيـنَـا سُـنَّـةٌ ... صِـلَـةُ الـقـربى وإيـفَـاءُ الـذِّمـم
لم تـــزَلْ للهِ فـيـنَـا حُـجَّـةٌ ... يَـدفَـعُ اللهُ بهـا عنـا الـنِّـقَـمْ[1]

وبعد ظهور الإسلام ومبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزلت في هذه الحادثـة سورة الفيل، حيث يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ .



(١) المنمق في أخبار قريش ص٢٧، وسمط النجوم العوالي ١/ ٢٧٤، ومروج الذهب ١/ ٢٢٠.

فَتحُ مَكَّة

في شهر ذي القعدة من السنة السادسةِ للهجرة[1] خرجَ النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُعْتَمرًا لا يُرِيد حربًا، وقد استنفَرَ العربَ ومَن حولَه من أهل البوادي من الأعراب لكي يخرجوا معه، وكان يخشى من قريش أن يَعْرِضُوا له بحربٍ أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب، فخرج رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومَن معه من المهاجرين والأنصار ومَن لحق به من العرب وساق معه الهَدْيَ وأحرم بالعمرة لِيُؤَمِّنَ الناسَ مِن حربه، وليُعْلِمَ الناس أنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت مُعَظِّمًا له، فصَدَّته قريش وقالوا: لا يدخل مكة عَنْوَةً أبدًا[2]، وبعد أخذٍ وردٍّ ومفاوضات اتفق النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ معهم على الصلح، وكان مِن شروط الصلح أنَّ من أَحَبَّ أن يدخل في عَقْد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتَوَاثَبت قبيلةُ خُزَاعةُ فقالوا: نحن في عَقد رسول الله وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدها[3]، ورجعَ النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأصحابه، وظل الأمر هكذا حتى حدث ما أدى إلى زوال تلك المعاهدة وإلى نقضِ ذلك الصلح.

حيث إن بني بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانَة- حلفاء قريش - عَدَوْا على خزاعة - حلفاء

(١) البداية والنهاية ٦/ ٢٠٦.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٥.
(٣) الطبري ٢/ ١٢٣.

النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - وهم على ماءٍ لهم بأسفل مكة يقال له الوَتِير[1]، وكان بين القبيلتين ثاراتٌ في الجاهلية، فأرادت بنو بكر أن تَثْأَرَ لِمَا كان بينهم في الجاهلية، فخرج نوفل بن معاوية البكري في بني الدِّيْل وهو يومئذٍ قائدهم، وتخلف عنه عامَّةُ بَكْر، حتى فَاجَأَ خزاعة وهم على الماء، فأصابوا منهم رجلًا، فثارت خزاعة فاقتتلوا، وأَمَدَّت قريشٌ بني بكر بالسلاح وبالرجال، وقاتَلَ معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيًا حتى أَلْجَأُوا خزاعة إلى الحرم، قال الواقدي: كان ممن أعان من قريش بني بكر على خزاعة متنكِّرِين صفوانُ بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسُهيل بن عمرو مع عِيرِهم وعَبيدِهم[2].

فلما لجأت خزاعة إلى الحرم قالت بنو بكر لزعيمهم: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم، إِلَهَكَ إلهك، فقال كلمةً عظيمةً إنه لا إله له اليوم، ثم قال: يا بني بكر أَصِيبوا ثأرَكم فلَعَمْرِي إنكم لتَسْرِقُون في الحرم أفلا تصيبون ثأرَكم فيه[3].

فاجتمعت خزاعةُ ولجأوا إلى دار بُدَيْلِ بن وَرْقَاء الخزاعي ودار مولًى لهم يقال له رافع، فلما تظاهرت بنو بكر وقريشٌ على خزاعة وأصابوا منها ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة التي كانت حليفًا للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قَدِمَ على رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المدينة، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظَهْرَانَي الناسِ ثم قال:

يا ربِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِيهِ وَأَبِينَا الأَتْلَدَا

قد كنتموا وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

---

(١) بئر أسفل مكة بين عرفة ووداي تهامة (ينظر: معجم البلدان ٥/ ٣٦١).

(٢) الطبري ٢/ ١٥٣.

(٣) الكامل ٢/ ١١٥.

فَــانْصُرْ رســولَ الله نصرًا أَبَــدَا	وَادْعُ عِـبَـادَ اللهِ يَـأْتُـوا مَـدَدَا
فِـيـهِـمْ رَسُـــولُ اللهِ قَــدْ تَجَــرَّدَا	إِنْ سِـيـمَ خَـسْـفًـا وَجْـهُـهُ تَـرَبَّـدَا
فِي فَـيْـلَـقٍ كَالبَحْرِ يَجْـرِي مُـزْبِـدَا	إِنَّ قُـرَيْـشًـا أَخْـلَـفُـوكَ المَـوْعِـدَا
وَنَـقَـضُـوا مِـيـثَـاقَـكَ المُـؤَكَّـدَا	وَجَـعَـلُـوا لِي فِي كَـدَاءٍ رُصَّـدَا
وَزَعَـمُـوا أَنْ لَـسْـتُ أَدْعُـو أَحَـدَا	فَـهُـمْ أَذَلُّ وَأَقَـلُّ عَـدَدًا
هُـمْ بَـيَّـتُـونَـا بِـالْـوَتِيرِ هُـجَّـدًا	وَقَـتَّـلُـونَـا رُكَّـعًـا وَسُـجَّـدَا[1]

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سمع ذلك: «قد نُصِرْتَ يا عَمْرَو بنَ سالم»[2] ثم عَرَضَ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنانٌ من السماء فقال: «إنَّ هذه السحابةَ لتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بني كعب»[3]، وبعد أن أخبر بديلٌ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جرى عاد إلى مكة هو ومن سافر معه من خزاعة[4].

وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للناس بعد أن سمع مقال الخزاعيين: «كأنكم بأبي سفيان قد جاء لِيُشَدِّدَ العقدَ ويَزِيدَ في المُدَّة»[5]، ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه فلقوا أبا سفيان بعُسْفَان[6] قد بعثته قريش إلى رسول الله ليشدد العقد ويزيد في المدة، وقد ندموا على ما صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بُدَيلًا قال: من أين أقبلت يا بديل؟ -وظن أنه

---

(١) الطبري ٢/ ١٥٣، وشفاء الغرام ٢/ ١٣٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٣٩٠.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٣٩٠.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٧.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٧.

(٦) عُسْفَان: قرية جامعة بها نخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلًا من مكة، وهي حد تهامة (ينظر: معجم البلدان ٤/ ١٢٢).



قد لقيَ رسولَ الله -قال: سِرْتُ في خزاعة على الساحل وفي بطن هذا الوادي، قال: أو ما أتيتَ محمدًا؟ قال: لا، قال: فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة فقد عَلَفَ ناقتَه بها النوى، فعمد إلى مَبْرِكِ ناقته فأخذ من بعرها فَفَتَّه بيدِه فرأى فيه النوى فقال: أَحْلِفُ باللهِ لقد جاء بديلٌ محمدًا[1].

ثم خرج أبو سفيان حتى قَدِمَ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلسَ على فراش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَتْه عنه، فقال: يا بُنَيَّة والله ما أدري أَرَغِبْتِ بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني، قالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت رجلٌ مشركٌ نَجِس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله، قال: والله لقد أصابك يا بنيةُ بعدي شَرٌّ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمه فلم يَرُدَّ عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال: أنا أَشْفَعُ لكم إلى رسول الله؟ فو الله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتكُم به، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمةُ ابنةُ رسول الله وعندها الحسن بن علي غلام يَدُب بين يديها، فقال: يا علي إنك أَمَسُّ القومِ بي رَحِمًا، وأقربهم مني قرابة، وقد جئتُ في حاجةٍ فلا أرجِعَنَّ كما جئت خائبًا، اشفع لنا إلى رسول الله، قال: ويحكَ يا أبا سفيان، والله لقد عَزَمَ رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفَتَ إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بُنَيَّكَ هذا فَيُجِير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر، قالت: والله ما بلغ بنيي هذا أن يجير بين الناس، وما يجيرُ على رسول الله أحد، فقال: يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت عليَّ فانصحني، فقال له: والله ما أعلم شيئًا يغني عنك شيئًا، ولكنك سيدُ بني

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٣٠.

كِنَانة فقم فَأَجِرْ بين الناس ثم الْحَقْ بأرضِك، قال: أو تَرَى ذلك مُغْنِيًا عني شيئًا، قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني قد أَجَرْت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش قالوا:ما وراءك؟ قال: جئت محمدًا فكلمته فو الله ما رد علي شيئًا، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيرًا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أَعْدَى القوم، ثم جئت علي بن أبي طالب فوجدته ألينَ القوم، وقد أشار عليَّ بشيءٍ صنعتُه فو الله ما أدري هل يغنيني شيئًا أم لا، قالوا: وبماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجازَ ذلك محمدٌ؟ قال: لا، قالوا: ويلك والله إنْ زَادَ عَلِيٌّ عَلَى أن لَعِبَ بك، فما يغني عنا ما قلت، قال: والله ما وجدت غير ذلك[1].

قال وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس بالاستعداد، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تُحَرِّكُ بعضَ جهاز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أي بنية أأمركم رسول الله بأن تجهزوه؟ قالت: نعم، فتَجَهَّزْ أنت، قال: فأين تَرَيْنَهُ يريد؟ قالت: والله ما أدري، ثم إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَ الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: «اللهم خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريشٍ حتى نَبْغَتَها في بِلادِها»[2].

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المَسجِدِ أَو إِلَى بَعضِ حَاجَاتِهِ، فَدخلَ أَبُو بَكرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَوجدَ عِندَهَا حِنطَةً تطحنها وتنقيها، فَقَالَ لَهَا: يَا بنية لِمَ تَصنَعِينَ هَذَا الطَّعَامَ؟ فَسَكَتَت، فَقَالَ: أَيُرِيدُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يَغزُوَ؟ فَصَمَتَت، فَقَال: يُرِيد بَنِي الأَصفَرِ - وَهُمُ الرُّومُ -؟ فصمتت، فَقَالَ: فَلَعلهُ يُرِيدُ أَهلَ نَجدٍ؟ فَصمتَت، قَالَ: فَلَعَلَّهُ

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٥٢٤.
(٢) الطبري ٢/ ١٥٥.

يُريد قرَيشًا؟ فَصمتَت، قَالَ: فَدخلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُول اللهِ أَتُريد أَن تَخرُجَ مَخرَجًا؟ قَالَ: نَعم، قَالَ: فَلَعلكَ تُريد بَنِي الأَصفرِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَتريدُ أَهلَ نَجدٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَعلكَ تُريدُ قُرَيشًا؟ قَالَ: نعم، قَالَ أَبُو بَكرٍ: يَا رَسول الله أَلَيسَ بَينَكَ وَبَينَهم عهد ومُدَّةٌ؟ قَالَ: «أَلَمْ يَبلُغكَ مَا صَنَعُوا بِبَنِي كَعبٍ؟»[1].

ثم مضى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسفرِه واستخلف على المدينة كلثومَ بن حُصَين بن خلف الغِفَاري، قال الواقدي: خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة، فقائلٌ يقول يريد قريشًا، وقائلٌ يقول يريد هَوَازِن، وقائل يقول يريد ثَقِيفًا، وبعثَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القبائل فتَخَلَّفَ عنه عامَّتُهم، وفي الطريق لقِيَتْهُ بنو سُلَيْم على الخيل والسلاح التام، ثم لحقه عُيَيْنَة بن حصن في نفر من أصحابه، ثم لحقه الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ في جماعة من قومه، فقال عيينة: يا رسول الله والله ما أرى آلةَ الحرب ولا تَهْيِئَةَ الإحرام فأين تتوجه يا رسول الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حيثُ شاءَ الله، ثم دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّه أن تَعْمَى عليهمُ الأخبارُ[2].

ولما أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يتجهزون للمسير إلى مكة كَتَب حَاطِبُ بن أبي بَلْتَعَة كتابًا إلى قريش يخبرهم بالذي أَجْمَعَ عليه رسول الله من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأةً وجَعَلَ لها مالًا على أن تُبَلِّغَه قريشًا، فجَعَلَتْه في عَقِيصَتِها ثم فَتَلَتْ عليه قُرُونَها ثم خرجت به، وأتى رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليَّ بن أبي طالب والزبيرَ بن العوام فقال: «اذْهبا إلى رَوْضَةِ خَاخٍ[3] فأَدْرِكَا امرأةً

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٣٤.
(٢) الطبري ٢/ ١٥٧.
(٣) موضع بقرب حمراء الأسد من ناحية المدينة (ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٣٥).

قد كَتَبَ معها حاطبٌ بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أَجْمَعْنَا له في أمرهم،» فخرجا حتى أدركاها فالتمسا الكتاب في رَحْلِهَا فلم يجدا شيئًا، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أَحْلِفُ ما كَذَب رسول الله ولا كَذَبْنا، ولَتُخْرِجِنَّ هذا الكتابَ أو لَنُلْقِيَنَّ ثيابَك، فلما رأت الجِدَّ منه قالت: أَعْرِضْ عني، فأعرض عنها، فحَلَّتْ قُرُونَ رأسها فاستخرجت الكتاب منه فدفعته إليه، فجاء به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِن المشرِكِينَ مِمَّن بمكةَ، يُخبِرُ ببعض أَمرِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا رسول الله حاطبًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟» قَال: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إني كنتُ امرَأً مُلصَقًا في قريشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِن أَنفُسِهَا، وَكان مَنْ معكَ من المُهَاجِرين لَهُم قَرابَاتٌ يَحْمُونَ بها قرابَاتِهِم، وَلَم يَكن لِي بمكةَ قَرابَةٌ، فَأَحبَبتُ إِذ فاتنِي ذلِكَ أَنْ أَتَّخِذَ عندهم يَدًا، وَالله ما فعَلْتُهُ شَكًّا في ديني ولا رِضًا بِالكُفر بَعد الإِسلام، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ قَدْ صَدَقَ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رسول الله، دَعْنِي أَضْرِب عنقَ هذا المنافق، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ قد شَهِدَ بَدرًا، وَمَا يُدرِيكَ، لعلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أَهل بَدْرٍ فقال: اعملُوا مَا شِئتُم فقد غَفَرتُ لكم»[1]، وَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

فنزلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ الظَّهْرَان[2]، فخرج أبو سفيان بن حرب ومعه حَكِيمُ بنُ حِزَام وبُدَيْلُ بن وَرْقَاء يتحسسون الأخبار هل يجدون خبرًا أو يسمعون به، وقال العباس بن عبدالمطلب عندما اقترب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة: يا صَبَاحَ قريش، والله لئن بَغَتَهَا رسولُ الله في بلادها فدخلَ مكةَ عَنْوَةً إنه لهلاكُ قريشٍ آخر الدهر، فجلس على بغلةِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيضاء وقال: أَخْرُجُ إلى الأَرَاكِ لَعَلِّي أرى حَطَّابًا أو

(١) صحيح البخاري ٦/ ١٤٩ رقم ٤٨٩٠.

(٢) واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها (مرّ) تضاف إلى هذا الوادي فيقال مرّ الظهران (ينظر: معجم البلدان ٤/ ٦٣).

داخلًا يدخلُ مكةَ فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه، فخَرَجْتُ فَوَ الله إني لأطوف في الأراك أَلْتَمِسُ ما خرجتُ له إذ سمعت صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتحسسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فَسَمِعْتُ أبا سفيان وهو يقول:والله ما رأيتُ كاليوم قَطّ نيرانًا، فقال بُدَيْل: هذه والله نيرانُ خزاعة، فقال أبو سفيان: خزاعةُ أَلْأَمُ من ذلك وأذَلّ، يقول العباس: فعَرَفْتُ صوت أبي سفيان فقلت: يا أبا حنظلة، فقال: أبو الفضل؟؟ فقلت: نعم، فقال: لبيكَ فداكَ أبي وأمي، فما وَرَاءَك؟ فقلت: هذا رسول الله ورائي قد جاء إليكم بما لا قِبَلَ لكم به، بعشرةِ آلافٍ من المسلمين، قال: فما تأمرني؟ فقلت: تركبُ عَجُزَ هذه البغلة خلفي فأَسْتَأْمِن لك رسولَ الله، فو الله لئنْ ظَفِرَ بك ليَضْرِبَنَّ عنقَك، فركب خلفي فخرجت به أركض البغلة نحو رسول الله ﷺ، فكلما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين ونظروا إليَّ قالوا: عَمُّ رسولِ الله على بغلة رسول الله، حتى مررتُ بنارِ عمر بن الخطاب فقال: أبو سفيان؟ الحمد لله الذي أَمْكَنَ منكَ بغير عَقْدٍ ولا عَهد، ثم اشْتَدَّ يركضُ نحو النبي ﷺ، فركضتُ البغلةَ حتى أَسْبِقَه، فسبقتُه بما تسبق الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدوُّ الله قد أَمْكَنَ الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله إني قد أَجَرْتُه، ثم جلست، فلما أَكْثَرَ فيه عمر القولَ قلت: مهلًا يا عمر فو الله ما تصنعُ هذا إلا لأنه رجلٌ من بني عبدِ مَنَاف، ولو كان من بني عَدِيِّ بنِ كعب ما قلتَ هذا، فقال: مهلًا يا عباس، فو الله لَإِسْلامُكَ يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وذلك لأني أعلم أن إسلامَك كانَ أَحَبَّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: اذْهَبْ فقد آمَنَّاه حتى تَغْدُوَ به عليَّ بالغداة، فرجع به إلى منزله، فلما أصبح غدًا به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: ويحكَ أبا سفيان ألم يَأْنِ لكَ أنْ تَعْلَمَ أنْ

لا إله إلا الله؟فقال: بِأَبي أنت وأمي ما أَوْصَلَكَ وأَحْلَمَك وأكرمك، والله لقد علمتُ أن لو كان مع الله غيرُه لأغنى عني شيئًا، فقال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأنِ لكَ أن تعلمَ أني رسول الله، فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك أمَّا هذِه ففي النفس منها شيءٌ، فقال العباس: وَيْلَكَ تَشَهَّد شهادةَ الحق قبلَ واللهِ أنْ تُضْرَبَ عنقُك، قال: فتَشَهَّد، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعباس حين تشهد أبو سفيان: «انْصَرِف يا عباس فاحبسه عند خَطْمِ الجبل بمضيق الوادي حتى تَمُرَّ عليه جنود الله»، فقلت له: يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ يحب الفخر فاجعل له شيئًا يكون في قومه، فقال: نعم، مَنْ دَخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن(١).

يقول العباس: فخرجت حتى حبستُه عند خَطْمِ الجبل بمضيق الوادي، فمَرَّت عليه القبائل، فيقول: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سُلَيْم، فيقول: ما لي ولسُلَيم، فتمر به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أَسْلَم، فيقول: ما لي ولِأَسْلَم، وتمر جهينة فيقول: ما لي ولجهينة، حتى مر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرَى منهم إلا الحَدَق، فقال: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، فقال: يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك عظيمًا، فقلت: ويحكَ إنها النبوة، فقال: نعم إذًا، فقلت: الحَقِ الآنَ بقومك فحَذِّرْهم، فخرج سريعًا حتى أتى مكةَ فصرخ في المسجد:يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به، قالوا: فما العمل؟ فقال: من دخل داري فهو آمن، فقالوا: ويحك وما تُغْنِي عنَّا دارُك؟ فقال: ومن دخلَ المسجدَ فهو آمن، ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن(٢).

---

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٨١٧، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٠١، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٣.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٣، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٤٨، والروض الأنف ٧/ ٦٣.

فلما خرج أبو سفيان من عندِ النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عامدًا إلى مكة بعث النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في إثره الزبيرَ وأَعْطَاه رَايَتَه وأَمَّرَه على خيل المهاجرين والأنصار، وأَمَّرَه أنْ يَغْرِزَ رايتَه بأعلى مكةَ بالحَجُون[1]، وقال للزبير: لا تَبْرَح حيثُ أَمرتُك أن تغرزَ رايتي حتى آتيك، ومِنْ ثَمَّ دخلَ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[2].

وأَمَر خالد بن الوليد فيمن كان أَسْلم من قُضَاعة وبني سليم وأناسٍ ممن أسلموا قبيل ذلك أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر وقد اسْتَنْفَرَتْهُم قريش، وبها أيضًا بنو الحارث بن عبد مَنَاة ومَن كان من الأَحَابِيش وقد أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة، وقيل إن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لخالد والزبير حين بعثهما: لا تُقَاتِلا إلا من قَاتَلَكما، فلما قَدِمَ خالد على بني بكر والأحابيش كان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا أُناسًا بالخَنْدَمَة[3] ليقاتلوا المسلمين، وقد كان حِمَاسُ بنُ قيس بن خالد يجهز سلاحه ويتعَاهَده قبل أن يدخل رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مكة، فقالت له امرأته: لماذا تُعِدُّ هذا؟ قال: لمحمدٍ وأصحابه، فقالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيءٌ، قال: والله إني لأرجو أنْ أُخْدِمَك بعضَهم، ثم خرج فشهد الخندمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد دار بينهم قتال، فقُتِل كُرْزُ بن جابر والأَشْعَر بن ربيعة من أصحاب خالد بن الوليد، حيث كانا قد شَذَّا عنه وسلكا طريقًا غير طريقه فقتلا، وأصيب أيضًا من جهينة سَلَمَة بنُ المَيْلَاء من أصحاب خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين أناس قريبٌ من اثني عشر أو ثلاثة عشر، ولم يَدُم القتال طويلًا حتى انهزموا، فخرج حِمَاس منهزمًا

(١) مكان فيه جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وهو على ميل ونصف من البيت الحرام (ينظر: معجم البلدان٢/ ٢٢٥).

(٢) الطبري ٢/ ١٥٨.

(٣) جبل من جبال مكة (ينظر: معجم البلدان٢/ ٣٩٣).

حتى دخل بيتَه ثم قال لامرأته: أغلقي عليَّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ ... إِذْ فَرَّ صفوانٌ وفَرَّ عِكْرِمَهْ
وأبو يزيدَ قائمٌ كالمُؤْتِمَهْ ... وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ ... ضَرْبًا فَلَا يُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهْ
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ ... لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ[1]

ثم إن النبيَّ ﷺ أمَرَ سعدَ بن عُبَادة أن يدخلَ في بعض الناس من كَدَاء[2]، فزعم بعض أهلُ العلم أن سعدًا قال حين دخل: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَة، فلَمَّا مَرَّ رَسُول اللهِ ﷺ بِأَبِي سفيان قال: أَلَمْ تعلَم ما قال سَعدُ بنُ عُبَادَة؟ قَالَ: «مَا قَالَ؟» قَال: كذا وَكذا، فَقال: «كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِن هَذَا يَومٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الكَعبَةَ، وَيَومٌ تُكسَى فِيهِ الكَعبَةُ» فقال رسول الله ﷺ ادْعُوا إِلَيَّ قيس بن سعد بن عبادَة، فَجَاءَهُ فَقَال: يَا قيس، قَال: لبيْك يَا رَسُول الله، فَقَال: اذهَب فَخذ الرَّايَة من سعد، قَالَ: نعم يَا رَسُول الله، قَالَ: فَجَاءهُ والأَنصَار حوله فَقَالَ: أَعطِنِي الرَّايَة، قَالَ: لَا، لَا أُمَّ لَك، قَالَ، أعطنيها وَلَا تحمق نَفسك، قَالَ: لَا إِلَّا أَن يكون رَسُول الله ﷺ أمرك بِهَذَا، قَالَ: أَمرنِي بذلك رَسُول الله ﷺ، قَالَ: فسمعًا وَطَاعَة، وَدفع الرَّايَة إِلَى قيس ابنه، فَدخل رَسُول الله ﷺ مَكَّة والراية مَعَ قيس بن سعد بن عبادَة[3]، وقيل إن النبي ﷺ أمر عليًّا أن يأخذ الراية من سعد[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٨، والروض الأنف ٧/ ٢٢٣.
(٢) كَدَاء (كسماء): جبل بِأَعْلَى مَكَّة، وَهِي الثَّنِية الَّتِي عِند المقبرَة، وَتسمى تِلْكَ النَّاحِيَة (المُعَلَّاة)، وَهي التي دخل النَّبِي ﷺ مَكَّة مِنهَا (ينظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٦).
(٣) صحيح البخاري ٥/ ١٤٦ رقم ٤٢٨٠، أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٩٩.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٧.

وأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين حين دخلوا مكة ألا يقتلوا أحدًا إلا من قاتلهم، إلا نَفَرًا سَمَّاهم، أمر بقتلهم وإن وُجِدُوا تحت أستار الكعبة، منهم عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح، وإنما أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله لأنه كان قد أسلم فارتد مشركًا. ثم فر إلى عثمان - وكان أخاه من الرضاعة- فغَيَّبه عثمان عنده حتى أتى به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن اطمأن أهلُ مكة، فاستأمن له رسول الله.

فذُكِرَ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَمَتَ طويلًا، ثم قال: نعم، فلما انصرف به عثمان قال رسول الله لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد صَمَتُّ ليقوم إليه بعضُكم فيضرب عنقه، فقال رجل من الأنصار: فهَلَّا أَوْمَأْتَ إلي يا رسول الله، قال: إن النبيَّ لا يقتل بالإشارة، ومنهم عبدالله بن خَطَلٍ التَّيْمِي، وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلمًا فبعثه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حاجةٍ له وبعث معه رجلًا من الأنصار، وكان معه خادم له، وكان الخادم مسلمًا، فنزل منزلًا وأمرَ الخادم أن يَذْبَح له تيسًا ويصنع له طعامًا، ونام فاستيقظ فوجد الخادم لم يصنع له شيئًا، فعدا عليه فقَتَلَه ثم ارتدَّ مشركًا، وكانت له جاريتان تغنيان بهجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمر بقتلهما معه، ومنهم الحُوَيْرِث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصي، وكان ممن يؤذي النبي بمكة، وكذلك مَقِيسُ بن صُبَابَة، وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأً ورجوعه إلى قريش مرتدًّا، وعكرمة بن أبي جهل، وسارة، وهي مولاة كانت لبعض بني عبدالمطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة، فأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن وأسلَمَت امرأتُه أمُ حكيم بنتُ الحارث بن هشام، فاستأْمَنَتْ له رسولَ الله فأَمَّنَه[1].

(١) الطبري ٢/ ١٦٠.

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين فدخل مكة بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حتى نزل بأعلى مكة، وضُرِبَت هنالك قُبَّتُه، وقام الناس إليه يبايعونه(١).

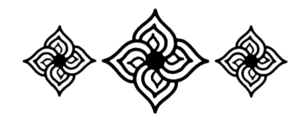
ووقف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على باب الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صَدَقَ وعدَه، ونَصَرَ عبدَه، وهزمَ الأحزاب وحده، أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ ودَمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهو تحت قدمَيّ هاتَين، إلا سَدَانَةُ البيت وسقاية الحاج،...، يا معشر قريش إنَّ الله قد أذهبَ عنكم نخوةَ الجاهلية وتَعَظُّمَها بالآباء، الناسُ من آدم وآدم خُلِقَ مِن تُراب، ثم تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ٤٩]، يا معشر قريش ويا أهل مكة، ما تَرَوْن أنِّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريم، فقال: اذْهَبُوا فأنتم الطُّلَقَاء(٢)، فأعتقهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان الله أَمْكَنَه من رقابهم عَنْوَةً، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء، ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلام، فجلس لهم على الصفا وعمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفل من مجلسه يأخذ على الناس، فبايعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا(٣).

فلما فرغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيعة الرجال بايع النساء، حيث اجتمع إليه نساءٌ من نساءِ قريشٍ فيهن هندٌ بنت عتبة مُنْتَقِبَة متنكرة لِمَا كان من صنيعها بِحَمْزَة، فهي تخاف أن يأخذَها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجَرِيرَتِها تلك، فلما دنونَ منه ليبايعنه قال رسول

(١) البداية والنهاية ٤/ ٢٩٦.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٢.
(٣) الطبري ٢/ ١٦١.

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغني: «تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئًا» فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرًا ما تأخذه على الرجال وسنُؤْتِيكَه، قال: «ولا تسرقن» قالت: والله إنْ كنتُ لأُصِيبُ من مالِ أبي سفيان الهَنَةَ والهَنَّة وما أدري أكان ذلك حِلًّا لي أم لا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:وإنك لهندٌ بنتُ عتبة؟ فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعْفُ عما سَلَف عفا الله عنك، قال: «ولا تَزْنِين» قالت: يا رسول الله، هل تزني الحُرَّة؟ قال: «ولا تقتلن أولادكن» قالت: قد رَبَّيْنَاهم صِغَارًا وقَتَلْتَهُم يومَ بدرٍ كِبارًا، فأنت وهم أَعْلَم، فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى اسْتَغْرَب، قال: «ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن» قالت: والله إن إتيانَ البهتان لقبيحٌ، ولَبَعْضُ التجاوز أَمْثَل، قال: «ولا تعصينني في معروف»، قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر: «بايعهن»، واسْتَغْفَرَ لهن رسول الله، فبايعَهُنَّ عمر، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يصافح النساء ولا يمس امرأةً ولا تمسه إلا امرأةٌ أَحَلَّهَا الله له، أو ذات مَحْرَم منه(١).

ثم مكث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة بعضًا من الوقت فكان مما عمل في تلك الأيام أنْ أزالَ ما حولَ الكعبة من الأصنام، وما في جوفِها من التَّصاوير، وأعطى الحِجَابَة لعثمان بن طلحة، وغير ذلك(٢).



(١) الروض الأنف ٧/ ٢٤١، والسيرة لابن كثير ٣/ ٦٠٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢/ ٤٨٠.

حصار عبد الله بن الزبير في الحرم

وصف عبدُ الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عبدَ الله بن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: «كَانَ ابنُ الزُّبَيْر قَارِئًا لِكِتَابِ الله، مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ الله، قَانِتًا للهَّ صَائِمًا فِي الهَوَاجِرِ مِن مَخَافَةِ الله، ابنُ حَوَارِيِّ رَسُولِ الله، وَأُمُّهُ بِنتُ الصِّدِّيقِ، وَخَالَتُهُ عَائِشَةُ حَبِيبَةُ حَبِيبِ الله، زَوجَةُ رَسُولِ الله، فَلَا يَجهَلُ حَقَّهُ إِلَّا مَن أَعمَاهُ اللهُ»[1].

لما توفي معاويةُ بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سنة ٦٠هـ آلَ الحكمُ إلى ابنِه يزيدَ بن معاوية بِعَهْدٍ من أبيه، فامتنعَ جمْعٌ من كبار الأمة عن بيعته، منهم الحسينُ بنُ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعبدُ الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأناسٌ كثيرون، وتَزَامَنَ ذلك مع إرسالِ أهلِ العراقِ الكتبَ تتلوها الكتبُ إلى الحسين يدعونه إلى الخروج إليهم، وأنهم مُجْمِعُون على مبايعته ونصرته، فنهاه كثير من الصحابة عن الذهاب إلى العراق، فأرسل الحسينُ عقيلَ بنَ أبي طالب ليستطلع الأمر، فسافر عقيلٌ ثم أرسلَ إلى الحسين يخبره بأن الناس مجمعون عليه، ونصَحَه أن يخرجَ إليهم، فخرجَ الحسين، وانتهى خبرُه إلى ما هو معروف مِن خُذلَانِ الناسِ له واستشهاده على يد جند يزيد بن معاوية سنة٦١هـ.

فلما قُتِلَ الحسينُ أَبَى عبدُ الله بن الزبير أن يبايع يزيدَ بن معاوية، بل دَعَا لنفسه، وعَاذَ بمكة، وفي الوقت ذاته يَذْكرُ ابن كثير سببًا آخر لخلْع بيعةِ يزيد يُضَافُ إلى قتل الحسين، حيث يقول: «وَكَانَ سَبَبُ وَقعَةِ الحَرَّة - التي سيأتي ذكرها- أنَّ وَفدًا مِن أَهلِ المَدِينَةِ قَدِمُوا

(١) البداية والنهاية ٨/ ٣٦٨.

عَلَى يَزِيدَ بنِ مُعَاوِيَةَ بِدِمَشقَ فَأَكرَمَهُم وَأَحسَنَ جَائِزَتَهُم، وَأَطلَقَ لِأَمِيرِهِم - وَهُو عَبد الله بنُ حَنظَلَةَ بنِ أَبِي عَامِرٍ - قَرِيبًا مِن مِائَة أَلف درهم، فلمَّا رَجعُوا ذكرُوا لِأَهلِيهِم عَن يَزِيدَ مَا كَان يَقع مِنهُ مِنَ القَبَائِحِ فِي شُربِهِ الخَمرَ، وَمَا يَتبَع ذَلِكَ مِنَ الفَوَاحِشِ الَّتِي مِن أَكبرِهَا تَركُ الصَّلاة عَن وَقتِهَا، بِسببِ السُّكر، فَاجتمعُوا عَلَى خَلعِهِ، فَخَلَعوه عِند المِنبَرِ النَّبوي»[1].

فأرسل يزيد سرية يَقدُمهَا رَجُلٌ يُقال لَه مُسلِمُ بن عُقبة، وإنَّما يُسَمِّيهِ السَّلف: مُسرِفَ بنَ عُقبَة، فلمَّا وَرَدَ المَدِينَةَ وهزم أهلَها يوم الحَرَّة استبَاحها ثَلَاثةَ أيام، فقَتَل في غضون هَذِهِ الأَيَّامَ بَشَرًا كثِيرًا حَتَّى كادَ لَا يَفلِتُ أَحَدٌ مِن أَهلِهَا، فينقُلُ عَبدُ اللهِ بنُ وَهبٍ عَنِ الإِمَامِ مَالِكٍ: قُتِلَ يَومَ الحرَّة سَبعُمائِةِ رَجلٍ مِن حَمَلَةِ القُرآنِ، وَكَانَ فِيهِم ثَلَاثَةٌ مِن أَصحابِ رَسول الله ﷺ، وكانت وَقعةُ الحرَّة يَومَ الأَربعاء في السابع والعشرين من ذي الحجَّة سنةَ ٦٣هـ[2].

وجاء خبرُ الحرة إلى أهل مكة أول لَيلَةٍ من المُحَرَّم، فَحزنوا حُزنًا شديدًا وَتأَهَّبوا لِقِتَالِ أَهلِ الشَّامِ، وقيل إنه لَمَّا قُتِلَ أَهلُ الحَرَّةِ هَتَفَ هَاتِفٌ بِمكَّة عَلَى جبل أَبِي قُبَيْسٍ مساءَ تِلكَ اللَّيلَةِ، وَابنُ الزبير جالسٌ يسمع:

والصائمون القانتون	أُولُو العبادةِ والصلاحْ
المهتدون المحسنون	السَّابِقُونَ إِلَى الْفَلَاحْ
مَاذَا بِوَاقِمَ وَالبَقِيعِ	مِنَ الجَحَاجِحَةِ الصَّبَاح
وبِقَاعِ يَثْرِبَ وَيْحَهُنَّ	من النَّوَادِبِ والصِّيَاح
قُتِلَ الخيارُ بنو الخِيَارِ	ذَوِي المَهَابَة والسَّمَاح

(١) البداية والنهاية ٦/ ٢٦٢.

(٢) البداية والنهاية ٦/ ٢٦٢.



فقال ابن الزبير: يا هؤلاء لقد قُتل أصحابُكم فإِنَّا للهِّ وإِنَّا إِليهِ راجعُون[1].

وكان أول تَحَرُّك من ابن الزبير أنْ بَدَأَ يتكلم في شأن الحسين وشأن يزيد، ويخطب الناس ويَذكرُ مساوئَ بني أمية، حيث خطب مرة فقال: «أمَا والله لقد قَتَلوا طويلاً قيامُه، وكثيرًا في النهار صيامُه، أَحَق بما هم فيه منهم، وأولى بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يُبَدِّل بالقرآنِ الغناء، ولا البكاء من خشية الله بالحُدَاء، ولا بالصيام شراب الحرام، ولا بالمجالس في حِلَقِ الذكر الركض في طلبِ الصيد - يُعَرِّض بيَزِيد - فسوف يَلْقَوْن غَيًّا»[2].

وأخذ ابن الزبير يتصرفُ في أمورٍ تَدُلُّ على عدم اعترافه ببيعة يزيد، وأنه خارجٌ عن طاعته، مستقلٌّ برأيه، حيث إنه لما حَجَّ عمرو بنُ سعيدِ بنِ العاص وَالِي المدينة لم يُصَلِّ ابنُ الزبير بصلاتِه، ولا أَفَاضَ بإِفَاضَتِه[3]، بل منعَ ابنُ الزبير الحارثَ بنَ خالد المخزومي - نائبَ الوَالي - من أن يصليَ بأهلِ مكة[4].

وبعد أن فرغ جيشُ يزيدَ من أمرِ المدينة، وفي أَوَّلِ المُحَرَّمِ سنة ٦٤هـ بعث يزيد بن معاوية مُسلِمَ بن عقبة بجيشه إِلَى مكَّةَ قَاصِدًا قِتَالَ ابنِ الزُّبَيرِ وَمن الْتَفَّ علَيه، فلما بلغ ثنية هَرْشَى[5] بَعَثَ إِلَى رُءُوسِ الأَجنَادِ فَجَمَعَهُم وحَثَّهم على قتال ابن الزبير[6].

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٤٣.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ١/ ٢٠١.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٤/ ٤٠٧.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٠/ ٢٠٠.

(٥) ثنية في طريق مكة قريبة من الجُحْفَة يُرَى منها البحر (ينظر: معجم البلدان ٥/ ٣٧١).

(٦) البداية والنهاية ٨/ ٢٢٤.

ومات مسلمُ بنُ عقبةَ قبل أن يصل إلى مكة المكرمة، فتولى الحُصَينُ بن نُمَير قيادةَ الجيش، ووصل إلى مكة قبل انقضاءَ شهر المحرم بأربعِ ليالٍ، وعسكر الحصين بن نمير بالحَجُون إلى بئر ميمون[1]، وبذلك فقد عَمِلَ الحصينُ بن نمير على نشر جيشهِ على مسافةٍ واسعة، وقام ابنُ الزبير يَحُثُّ الناس على قتال جيش أهل الشام، وانضمَّ المنهزمون من معركةِ الحَرَّة إلى ابن الزبير، وَخَرَجَ ابنُ الزُّبَيرِ فِي أَهلِ مكَّة ومن التفَّ معه فاقتتلوا مع حصينٍ عند ذلك قِتَالًا شَديدًا، وَتَبَارَزَ المُنذِرُ بنُ الزُّبَيرِ وَرَجُلٌ مِن أَهلِ الشَّامِ فَقَتَلَ كُلُّ واحدٍ مِنهُمَا صاحبَه، وحَمَلَ أهلُ الشام على أهل مكة حَملَةً صَادقةً، فَانكَشَفَ أَهلُ مكَّة، وَعَثَرَتْ بَغلَةُ عَبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ به، فكرَّ نحوه المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ وَمُصعَبُ بنُ عَبدِ الرَّحمن بنِ عَوفٍ وَطَائفَةٌ فَقَاتَلُوا دُونَهُ حَتَّى قُتِلُوا جَمِيعًا، وَصَابَرَهُمُ ابنُ الزُّبَيرِ حَتَّى اللَّيلِ فَانصَرَفُوا عَنهُ، ثُمَّ اقتَتَلُوا فِي بَقِيَّة شَهر المحرم وَصَفَرًا بِكَمَالِهِ، فلما كان يَومُ السَّبت ثالث رَبِيعِ الأَوَّلِ سنة ٦٤ هـ نَصَبُوا المَجَانِيقَ لضرب الكَعبَةِ، حيث نصبَ الحصين المنجنيقَ على جبل أبي قبيس، وجبل قُعَيْقِعَان[2] وَرَمَوْهَا حَتَّى بِالنَّارِ، فَاحتَرَقَ جِدَارُ البيت، وفقدَ ابنُ الزبير مستشارَه ومناصرَه المِسْوَر بن مخرمة بعد أن أصابه بعض أحجار المنجنيق فمات، وانكشفت مواقعُ ابنُ الزبير أمام الحُصَيْن بن نمير، ولم يَبْقَ مَأمنٌ لابن الزبير من أحجار المنجنيق سوى الحِجْرِ[3]، وحُوصِرَ ابنُ الزبير حصارًا شديدًا، ولم يَعُدْ يملِك إلا المسجدَ الحرام فقط.

---

(١) بئر بأعلى مكة منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي، حفرها في الجاهلية (ينظر: معجم البلدان ١/ ٣٠٢).

(٢) جبل بأعلى مكة، وسمّي قعيقعان لأن قبيلة جرهم كانت تجعل فيه قسيّها وجعابها ودرقها وسيوفها فكانت تُسمع أعلاه قعقعة (ينظر: معجم البلدان ٤/ ٣٧٩).

(٣) المحن لأبي العرب ص٢٠٣.

وبينما الحرب قائمة على قدمٍ وساقٍ مات يزيد بن معاوية في منتصف شهر ربيع الأول سنة ٦٤هـ، ولم يَعْلَم أحدٌ بموته نظرًا لبُعْد المسافة بين مكة ودمشق، وقد جاء الخبر بموت يزيد إلى مكة في أول شهر ربيع الآخر سنة ٦٤هـ(١) بعد أن أُحْرِقَ جزءٌ كبير من الكعبة، ولم تكن الكعبةُ مقصودةً في ذاتها بالإحراق، والدليل على ذلك ما أَحْدَثَه حريقُ الكعبة من ذهولٍ وخوفٍ من الله في نفوس الفريقين، جيش الحصين بن نمير، وجيش ابن الزبير، فقد نَادَى رجلٌ من أهل الشام بعد أن احترقت الكعبة وقال: هَلَكَ الفريقَان والذي نفس محمدٌ بيده(٢).

ولما وصل الحصينَ خبرُ موتِ الخليفة رجع بالجيش إلى الشام، فلما رجعَ حصينُ بن نمير السَّكُونيُّ بالجيش إلى الشام استَفْحَلَ ابنُ الزُّبَيرِ بالحجاز وما وَالَاهَا، وَبَايَعَهُ الناسُ، واستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بنَ الزُّبَير، وَأَمَرَهُ بِإِجلَاء بني أمية عن المَدِينَةِ فَأَجلَاهُم، فَرَحَلُوا إِلى الشَّامِ، وفِيهِم مَرَوَانُ بن الحكم وَابنُهُ عَبدُ المَلِكِ(٣).

وبعد موت يزيدِ بن معاوية لم يكن هناك مِن خليفة، وإذا كان يزيدُ قد أوصى لابنه معاويةَ فإن هذا لا يكفي للبيعة، إذْ لا بيعةَ دونَ شُورَى، إضافةً إلى أن الذين قد بايعوا معاويةَ بنَ يزيد لا يزيدون على دمشق وما حولها وبعض من أعيانِ بنى كلب أخوالِ يزيد، ثم إن معاويةَ بنَ يزيدٍ لم يَعِش طويلاً، وتركَ الأمرَ شورى، ولم يستخلف أحدًا، ولم يُوصِ إلى أحد، وكان عبدُ الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد بويعَ له في الحجاز، وفي العراق وما يتبعه إلى أقصى مشارق ديار الإسلام، وفي مصر وما يليها نحو الغرب، وبايَعَتِ

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٣٤٤، وأخبار مكة ١/ ١٩٧.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص٢٥٢.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ٢٦٢.

الشام أيضًا إلا بعض جهات منها، ففي دمشق بايع الضَّحَّاكُ بن قيس الفِهْرِي لابن الزبير، وفي حِمص بايع النعمان بن بشير، وفي قِنَّسْرِين بايع زُفَرُ بن الحارث الكِلابي، وفي فلسطين بايع نائلُ بن قيس، ولم يخرج عن بيعة ابن الزبير في الشام إلا منطقة البَلْقَاء وفيها حسان بن مالك بن بَحْدَلٍ الكلبي ومن تبعه من أخوال يزيد الذين بايعوا مروان بن الحكم[1].

وبدأ مروان ومن معه في استجماع قُوَاهم وتأليف القبائل بالمالِ والجاهِ والنسب، وبدأوا ينتزعون البقاعَ البعيدة عن ابن الزبير بقعةً بقعة، حيث انتزعوا أطرافَ دمشق، ثم مَرْجِ رَاهِط، ثم قِنَّسْرِين، ثم فلسطين، ثم حمص، ثم استولوا على مصر وطَرَدُوا عاملَ ابنَ الزبير وجعلوا مكانه عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ثم جهز مروان حملتين، إحداهما إلى العراق، والأخرى إلى الحجاز، وتوفي مروان في سنة ٦٥هـ، واستمرت الحملتان مع تَوَلِّي عبد الملك بن مروان الخلافة[2].

وما أنْ تَوَلَّى عبدُ الملك الخلافة حتى دارَ صراعٌ طويل بينه وبين ابن الزبير لا يعنينا منه سوى الإشارة إلى نجاحِ عبدِ الملك في انتزاع الولايات من ابن الزبير بطُرُقٍ شَتَّى حتى صار مُلْكُ ابنِ الزبير مقصورًا على مكة المكرمة، وعندها قررَ عبد الملك أن يُوَجِّهَ الجيشَ إلى مكة المكرمة للظفر بابن الزبير، حيث جعلَ عبدُ الملك الحجاجَ بنَ يوسف الثقفي أميرًا على جيشه، ثم وجهه إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، وكان السبب في توجيهه الحجاج إليه دون غيره فيما ذُكِر أن عبدَ الملك لما أراد الرجوعَ إلى الشام قافلًا من إحدى حروبِه قام إليه الحجاجُ بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين إني رأيتُ في منامي أني أخذتُ

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٦٣، وخلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير للصلابي ص٥٣.
(٢) الولاة والقضاة للكندي ص١٣٢، وخلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير للصلابي ص٨٤.



عبدَ الله بن الزبير فَسَلَخْتُه، فابعثني إليه وَوَلِّنِي قِتَالَه، فبعثَه في جيش كثيفٍ من أهل الشام، فسار حتى قَدِمَ مكةَ وقد كتبَ إليهم عبد الملك بالأمان إنْ دخَلُوا في طاعته[1].

فخرج الحجاج في جُند الشام في جُمادى سنة ٧٢هـ فلم يَعْرِض للمدينة، وسلك طريق العراق فنزل بالطائف، ثم جعلَ الحجاج يبعثُ البعوثَ من جنده إلى عرفة ويبعث ابن الزبير بعثًا فيقتتلون هناك، وفي كل ذلك تَنْهَزِمُ خيلُ ابنِ الزبير وترجع خيلُ الحجاج بالظفر، ثم كتب الحجاج إلى عبدالملك يستأذنه في حصارِ ابن الزبير ودخولِ الحرم عليه، ويخبرُه أن شوكتَه قد كَلَّتْ وتَفَرَّقَ عنه عامة أصحابه، ويسأله أن يُمِدَّه برجال، فجاءه كتاب عبدالملك بالموافقة والمَدَد، وكتب عبدُالملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج، فسار طارق في خمسةِ آلافٍ من أصحابه حتى لحقَ بالحجاج، وكان قدومُ الحجاج الطائفَ في شعبان سنة ٧٢هـ، فلما دخل ذو القعدة رحلَ الحجاجُ من الطائف حتى نزل بئرَ ميمون وحَاصَرَ ابنَ الزبير[2].

ثم استهَلَّت سنة ٧٣هـ وَأَهلُ الشَّامِ مُحاصِرُونَ أَهلَ مكة، وَقَد نَصبَ الحَجَّاجُ المَنجَنِيقَ على مكة لِيَحْصُرَ أَهلها حتَّى يخرجوا إِلَى الأمان وَالطَّاعة لِعَبدِ الملك، وكان مع الحجاج كثيرًا من الأحباش، فَجَعلُوا يَرمُون بِالمَنجَنِيقِ فَقتَلُوا خَلقًا كثيرًا، وكان مَعَهُ خَمسُ مَجَانِيقَ فَأَلَحَّ عليها بِالرَّمي من كل مكان، وحبس عنهم الطعام والماء، فكانوا يشربون من ماءِ زَمزم، وجَعَلَتِ الحجارةُ تَقَعُ فِي الكَعبةِ، وَالحجَّاجُ يَصِيحُ بِأَصحابه: يَا أَهلَ الشَّام اللهَ اللهَ فِي الطَّاعة، فَكانُوا يَحمِلُونَ عَلَى ابن الزُّبير حتى يُقَال إِنَّهم آخذُوهُ في هذه الحملة، فَيَشُدُّ عليهم ابنُ الزُّبَيرِ وَلَيس معهُ أَحدٌ حَتَّى يُخرِجهم مِن بَابِ بَنِي شَيبَةَ، ثُمَّ يَكرونَ عليه

(١) تجارب الأمم لابن مسكويه ٢/ ٢٤٣.
(٢) الطبري ٦/ ١٧٥.

فَيشدُّ عليهم، فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، وَقَتَلَ يَومئِذٍ جماعةً منهم، وَقِيلَ لِابن الزبيرِ أَلَا تُكَلِّمُهُم في الصُّلح؟ فقال: والله لَو وجدوكم في جَوف الكَعبَة لَذَبَحُوكُم جميعًا، وَاللهِ لَا أَسأَلُهُم صُلحًا أبدًا[1].

وحج الحجاجُ بالناس في هذه السنة وابنُ الزبير محْصُورٌ، وكان قدوم طارقٍ مكةَ أول ذي الحجة، ولم يَطُفْ بالبيت ولم يَصِلْ إليه وهو مُحْرِم، بل كان يلبسُ السلاح ولا يَقْرَبُ النساء ولا الطِّيبِ إلى أن قُتِلَ عبدُ الله بنُ الزبير، ونَحَرَ ابنُ الزبير بُدْنًا بمكة يوم النحر ولم يحج ذلك العام ولا أصحابُه لأنهم لم يستطيعوا الوصول إلى عَرَفَة[2].

وكانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستةَ أشهر وسبعَ عشرةَ ليلة،، وجعل المنجنيقُ يَرْمِي فَرعدَتِ السماءُ وبَرَقَتْ وعلا صوتُ الرعد والبرقِ على الحجارة، فأَعْظَمَ ذلك أهلُ الشام وأمسكوا، فَرَفَعَ الحجاجُ قِبَاءَه فغَرَزَه في منْطَقَتِه ورفعَ حجرَ المنجنيق فوضعه فيه ثم قال: ارْمُوا، ورَمَى معهم، ثم قال الحجاج: يا أهل الشام لا تُنْكِروا هذا، فأنا ابن تِهَامة، هذه صواعقُ تِهَامة، هذا الفتحُ قد حضرَ فأبشروا، إن القومَ يصيبهم مثل ما أصابكم، فصَعقَتْ من الغد فأصيبَ مِن أصحاب ابن الزبير عِدَّة، فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون مثلكم، وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة، فعاد أهل الشام إلى الرمي بالمنجنيق[3].

وبينما يَجِدُّ أهلُ الشام في الرمي نَزَلَتْ صاعقةٌ على المَنجَنيقِ فَأَحرَقَتْه، فَتوقف أَهل الشَّامِ عن الرَّمي وَالمحاصرَةِ فَخطبهُم الحَجَّاجُ فقال: وَيحكُم أَلَم تَعلموا أَنَّ النَّارَ كَانَت

(١) تاريخ الإسلام ٥/ ٣١١.
(٢) الطبري ٣/ ٥٣١.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ٣٦٣.

تَنزِل على مَنْ كان قَبْلَنَا فَتأْكُلَ قُربَانَهم إِذَا تُقُبِّلَ منهم؟ فَلَولا أَنَّ عملَكُم مَقبُولٌ ما نزلت النَّار فَأَكلته، فَعادوا إِلى المُحَاصرَة، فلم تزلِ الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قُبَيْل مقتَلِهِ وقد تَفَرَّقَ عنه أصحابُه وخرج عامةُ أهل مكة إلى الحجاج في الأمان[1].

قال المنذر بن جَهْمٍ الأَسَدِي: رأيتُ ابن الزبير وقد تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلانًا شديدًا، وجعلوا يخرجون إلى الحجاج حتى خرج إليه نحوٌ من عشرةِ آلاف، فدخل ابن الزبير على أُمِّه[2] حين رأى من الناس ما رأى من خُذْلانهم فقال:يا أُمَّه خَذَلَنِي الناس حتى وَلَدِي وَأهلي فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع صبرُ ساعة، والقوم يُعْطُونَنِي ما أردتُ من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: أنتَ والله يا بُنَيَّ أعْلَمُ بنفسك، إن كنتَ تعلمُ أنكَ على حقٍّ وإليه تدعو فامض له، فقد قُتِلَ عليه أصحابُك، ولا تُمْكِن مِن رقبتك يَتَلَعَّبُ بها غلمانُ أُمَيَّة، وإن كنت إنما أردتَ الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكتَ نفسك وأهلكتَ مَن قُتِل معك، وإن قلتَ:كنتُ على حق فلما وَهَنَ أصحابي ضَعُفْتُ فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلودك في الدنيا؟ القتلُ أَحْسَن، فدَنا ابنُ الزبير فقبَّل رأسها وقال: هذا والله رأيي، وما رَكَنْتُ إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تُسْتَحَلَّ حُرَمُه، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فِزِدْتِيني بصيرةً مع بصيرتي، فانظري يا أُمَّه فإني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الأمر لله، فإن ابنكِ لم يتعمد إتيان منكر ولا عملًا بفاحشة، ولم يَجُرْ في حكم الله ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهَد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به، بل أنكرته، ولم يكن شيء آثرُ عندي من رضا

---

(١) المنتظم ٦/ ١٢٥.

(٢) الطبري ٣/ ٥٣٨.

ربي، اللهم إني لا أقول هذا تزكيةً مني لنفسي أنت أعلم بي، ولكن أقوله تعزيةً لأمي لتسلو عني، فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنًا، قال: جزاك الله يا أماه خيرًا، فلا تَدَعِي الدعاء لي قبل وبعد، فقالت: لا أدعه أبدًا، فمن قُتِلَ على باطل فقد قُتِلْتَ على حق، ثم قالت: اللهم ارحم طولَ ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة، وبِرَّه بأبيه وبي، اللهم قد سَلَّمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فأَثِبْنِي في عبد الله ثوابَ الصابرين الشاكرين، ثُمَّ أَخذتْهُ إليها فاحتضنته لِتُوَدِّعَهُ وَاعتنقها لِيُودِّعها -وكانت قد عميت فِي آخِرِ عُمرهَا - فوجدته لَابِسًا دِرْعًا من حديد فَقَالت: يا بُنيَّ ما هذا لباس من يريد الشَّهَادة!، فقال: يا أمّاه إنّما لبسته لأطيّب خاطرَك وأُسَكِّنَ قلبك به، فقالت: لا يا بني ولكن انزِعه، فنزَعَه وجعل يلبس بقيّةَ ثيابه ويَتَشَدَّد وهي تقول: شَمِّر ثيابك، وجعل يتحفَّظ من أسفل ثيابه لئلَّا تبدو عورتُه إذا قُتل، وجعلت تذكّره بأبيه الزّبير، وجدّه أبي بكرِ الصّدّيق، وجدَّته صفيّة بنت عبد المطلب، وخالتِه عائشة زوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتُرَجِّيهِ القدومَ عليهم إذا هو قتل شهيدًا[1].

قال ثور بن يزيد عن شيخٍ من أهل حمص شهد وقعةَ ابن الزبير مع أهل الشام قال: رأيته يوم الثلاثاء وإنا لنَطْلُعُ عليه في أهلِ حمصٍ خمسمائةً خمسمائةً من بابٍ لنا ندخله لا يدخلُه غيرُنا، فيخرج إلينا وحده في أَثَرِنا ونحن منهزمون منه وهو يرتجز شعرًا، فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد[2]، وبينما هو كذلك إذ دخلَ عليه نفرٌ من باب بني جُمَح فيهم رجل أسود، فقال عبد الله: مَن هؤلاء؟ قيل: أهل حمص، فحمل عليهم ومعه

(١) البداية والنهاية ٨/ ٣٦٤، والمنتظم ٦/ ١٢٦.
(٢) الطبري ٣/ ٥٣٩.

سيفان، فأوّل من لَقِيَه الرجلُ الأسود، فضربه عبد الله ضربةً فَقَدَّ رجلَه، فقال الأسود: آخ يا ابنَ الزَّانية، فقال ابن الزّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اخْسَأ يا ابنَ حَامٍ، أسماءُ زانيةٌ، ثمّ أخرجهم من المسجد وانصرف، فإذا هو بقومٍ قد دخلوا من باب بني سَهْمٍ، فقال: مَن هؤلاء؟ فقيل: أهل الأرْدُنّ، فحمل عليهم وهو يقول:

لا عـهـدَ لي بـغـارةٍ مـن الـسَّـيْـلِ   لا يَـنْـجَلِي غـبـارُهـا حـتّـى اللّيلِ

قال: فأخرجهم من المسجد ثمّ رجع، فإذا بقومٍ قد دخلوا من باب بني مخزومٍ، فحمل عليهم وهو يقول:

لو كان قِرْنِي واحِدًا كَفَيْتُهُ[1]

فيدخلُ جماعة من باب آخر فيقول: من هؤلاء؟ فيقال له: أهلُ مصر، قال: قَتَلَةُ عثمان! فحمل عليهم، وكان فيهم رجلٌ من أهل الشام يقال له خُلْبُوب، فقال خلبوب لأهل الشام: أما تستطيعون إذا وَلَّى ابن الزبير أن تأخذوه بأيديكم؟ قالوا: ويُمْكِنُكَ أنت أن تأخذه بيدك؟ قال: نعم، قالوا: فهَلُمّ، فأقبل وهو يريد أن يحتضنه، فضربه ابن الزبير بالسيف فقطع يدَه، فقال خلبوب: آه، قال ابن الزبير: اصْبِرْ خُلْبُوب[2].

ولقد كان حجرُ المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك، ثمّ يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسدٌ مفترس، حتّى جعل النّاس يتعجّبون من إقدامه وشجاعته، قال ابن المنكدر: لو رأيت ابنَ الزبير يصلي كأنه غصنُ شجرةٍ يَصْفِقُهَا الريح، والمنجنيق يقع ها هنا وها هنا كأنه لا يبالي به ولا يَعُدُّهُ شيئاً[3].

(١) أخبار مكة ٢/ ٣٥٥.
(٢) العقد الفريد ٥/ ١٦٤.
(٣) تاريخ الإسلام ٥/ ٢٥٨.

وَحَكَى بَعضُهُمْ لِعُمَرَ بنِ عبد العزيز أنَّ حجراً من المنجنيق وقع على شُرفة المَسجدِ فَطَارَت فِلْقَةٌ منه فمرت بين لحية ابن الزُّبير وَحَلْقِهِ، فَمَا تحرك عَنْ مَقَامِهِ ولا عُرِف ذلك في وجهه، فَقَالَ عمر بن عبد العَزيز: لَا إِلَهَ إلا الله، جاء مَا وَصَفْتَ(1).

وتزاحم أهلُ الشام على أبواب الحرم من كل صوب، وأَسْلَمَ أصحابُ ابنِ الزبير أماكنَ حراستِهم، وأقامَ أهلُ الشام على كل باب رجالًا وقائدًا منهم، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه بابَ الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الأردن باب الصَّفَا، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح، ولأهل قِنَّسْرِين باب بني سَهْم، وكان الحجاج وطارق بن عمرو معًا في ناحية الأبطح إلى المَروة، فمرةً يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية، فلكأنه أسدٌ في أَجَمَةٍ ما يُقْدِمُ عليه الرجال، فيَعْدُو في أثرِ القوم وهم على الباب حتى يخرجهم ثم يعود(2).

فلما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ٧٣هـ وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبوابَ كلِّها - باتَ ابن الزبير يصلي عامةَ الليل، ثم احْتَبَى بحَمَائِلِ سيفه فأَغْفَى قليلًا ثم انتبه بالفجر، فقال لمؤذنه: أَذِّنْ يا سعد، فأذنَ عند المقام، وتوضأ ابنُ الزبير وركع ركعتي الفجر ثم تقدم، وأقامَ المؤذن فصلى بأصحابه فقرأ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم ١] حرفًا حرفًا على مهل، ثم سلم فقام وقال: احملوا على بركة الله، ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجُونَ، فجاءت آجُرَّةٌ فَفَلَقَت رأسَه فسقط على وجهه إلى الأرض، ثمّ أراد أن ينهَض فلم يقدر، فاتَّكأ على مِرْفَقه الأيسر وجعل يصد بالسّيف من جاءه، فأقبل إليه رجلٌ من أهل الشام فضربه فقطع رِجله، ثمّ تكاثروا

(١) البداية والنهاية ٨/ ٣٦٨.
(٢) الطبري ٣/ ٥٤٠.

عليه حتّى قتلوه واحْتَزُّوا رأسه، وكان مقتله قريبًا من الحجون، ويقال: بل قُتل وهو متعلِّقٌ بأستار الكعبة فالله أعلم(١).

وجاء الخبر إلى الحجاج فسجدَ، وسار حتى وقف عليه هو وطارق بن عمرو، فقال طارق: ما وَلَدَتِ النساءُ أَذْكَرَ مِن هذا، فقال الحجاج: تمدحُ مَن يخالف طاعة أمير المؤمنين؟ قال: نعم، هو أَعْذَر لنا، وإنا مُحَاصِرُوه وهو في غير خندَقٍ ولا حِصن ولا مَنَعَةٍ منذ سبعة أشهر ينتصف منا، بل يَفْضُلُ علينا في كل ما التقينا نحن وهو، فبلغَ كلامُهما عبدَ الملك فصوَّبَ كلامَ طارق(٢).

وبعث الحجاج برأس ابن الزبير ورءوس بعض أصحابه إلى المدينة فنُصِبَت بها، ثم ذَهب بها إلى عبدالملك بن مروان، ثم دخلَ الحجاجُ مكةَ فبايَعَ مَن بها من قريشٍ لعبد الملك بن مروان، ثمّ أمر الحجّاج بجُثَّةِ ابن الزّبير فصُلِبَتْ على ثَنِيَّةٍ عند الحجون، فما زالت مصلوبةً حتّى مرَّ به عبدالله بن عمر فقال: رحمةُ الله عليك يا أبا خُبَيْبٍ، أما والله لقد كنتَ صَوَّامًا قوّامًا، ثمّ قال: أما آن لهذا الرّاكِب أن ينزل؟ فبعث الحجاجُ مَن أَنْزَلَه عن الجِذع ودفن هناك(٣).

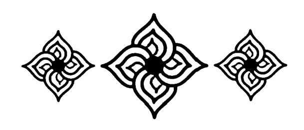
ودخل الحجّاج إلى مكّة فأخذ البيعة من أهلها لعبد الملك بن مروان، ولم يزل الحجّاج مقيمًا بمكّة حتّى أقام للنّاس الحجّ عامَه هذا أيضًا وهو على مكَّة واليمامةَ واليمن(٤).

ودخل الحجاج على أسماءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فذَكَر لها أن ابْنَها أَلْحَدَ في الحرم، وأن الله نصرَهم عليه، قالت: كذبتَ، كان أولَ مولودٍ وُلِدَ في الإسلام بالمدينة، وسُرَّ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحَنَّكَه بيدِه وكَبَّرَ المسلمون يومئذٍ حتّى ارتجَّت المدينة فرحًا به، وقد

(١) الطبري ٦/ ١٩٢، والكامل ٣/ ٤٠٤.
(٢) الكامل ٣/ ٤٠٥، وتجارب الأمم ٢/ ٢٤٨.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ٣٦٦.
(٤) البداية والنهاية ٨/ ٣٦٧.

فرحتَ أنت وأصحابُك بمقتله، فمن كان فرحِ يومئذٍ بمولده خيرٌ منك ومن أصحابك، وكان مع ذلك برًّا بالوالدين صوّامًا قوّامًا بكتاب الله، معظِّمًا لحرم الله، يبغض من يعصي الله عَزَّوَجَلَّ، أَشْهَد على رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَسَمِعْتُه يقول: «إنَّ في ثقيف لَكَذَّابًا ومُبِيرًا «فأمّا الكذّاب فرأيناه- تقصد المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ادعى النبوة- وأمّا المُبِير فلا إِخَالُك إلّا إيّاه، قال: فقام عنها ولم يراجعها[1]، وانكسر وَانصرف، وقيل بل قال لها: أنا مُبِير المنافقين[2]، فبلغ ذلك عبدَ المَلك فكتب إليه يَلُومه في مخاطبته أسماء، وقال: مالك وَلِابْنَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ؟[3].

وكان استشهاد ابن الزبير في جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ[4].



(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٧١ رقم ٢٢٩.

(٢) أخبار مكة ٢/ ٣٧٤.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ٣٧٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠٧.

أبو طاهر الجَنَّابِي القِرْمِطِيّ

تشير أكثر المصادر إلى أنّ مؤسِّسَ مذهبِ القرامطة هو حمدان بن الأَشْعَس الملقّب بقِرْمِط، وأصله فارسيّ مجوسيٌّ من الكوفة، وقيل صَابِئِيّ، وكان قد دخل في بداية حياته في مذهب الإسماعيلية الباطِنِيّة على يد حسين الأهوازي ابن مؤسِّس المذهب الإسماعيلي العَبِيدِي عبد الله بن ميمون القَدَّاح اليهودي، وقد عُرِفَ عن حمدان شخصيّتُه القويّة وعلاقاته الاجتماعية الكثيرة وكلامه الساحر، وكان يعيش ضمن مجتمعٍ يحقد على الخلافة العبّاسية، كلُّ هذه الأمور مجتمعة ساعدته على نشر مذهبه، لكنَّ حمدان القِرْمِطِي سَرْعَان ما انقلب على الإسماعيليّة الباطنيّة مُنْشِئاً مذهبَه الخاصّ، كما أنشأ مركزاً له في الكوفة عام ٢٧٧هـ أسماه دارَ الهجرة، ومن هذا المركز بدأ حمدان بإرسال دُعاته الذين انتقاهم بدقَّة لنشر دعوته بين جَهَلَةِ الناس عامّة وبين المجوس المتستِّرين وأحفادِ اليهود بصورة خاصّة، ومن أشهر دعاته أخوه (زَكْرَوَيْه بن مَهْرَوَيْه) الذي ورث عن أبيه كُرْهَ الإسلام وحَلُمَ بالقضاء عليه وتأسيس دولةٍ فارسية على أنقاضه تقوم على أساس الدين المجوسي، وكذلك كان ابن عمٍّ حمدان وصهرُه (عَبْدَان)، ومنهم أبو سعيد الجَنَّابِي في البحرين، وكوَّن هؤلاء إمارةً عظيمة في البحرين، وظلوا في صراع مع الخلافة العباسية، وعاثوا في الأرض فسادًا، فقطعوا الطرق، ونهبوا الحجاج، وأشاعوا الرعب بين المسلمين في شرق الجزيرة العربية، وظلوا هكذا كلما هلكَ أميرٌ



منهم تولى أمير، حتى تولى إمارتَهم أبو طاهر سليمان بن حسن بن بَهْرَام الجَنَّابِي[1]، وهو الذي دَنَّسَ الكعبة المشرفة وأخذ الحجر الأسود.

ففي سنة ٣١٧هـ خرج رَكْبُ العراق إلى الحج مع أميرهم مَنْصُور الدَّيْلَمِيّ، فَوَصَلُوا إِلَى مَكَّةَ سَالِمِينَ، وكان الركبُ في خوف عظيم من القرامطة، فلما لم يَلْقَوْا منهم كيدًا حمدوا الله على ذلك، ولم يشعروا أن القرامطة إنما انشغلوا عنهم لكونهم قد أزمعوا غزوَ الحرم، وَوفدت ركائب الحجاج في مكة من كل مكان وجانب، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا بِالقِرمِطِيِّ قد خرج عليهم فِي جَمَاعته يوم التَّرْوِيَةِ، فَانتَهَبَ أَموالَهم وَاستَبَاحَ قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً، وجلس أميرُهم أبو طاهر لَعنَهُ الله على باب الكعبة، وَالرِّجَالُ تُصْرَعُ حوله، والسيوف تعمل في النَّاس في المسجد الحرام في الشهر الحرام فِي يَومِ التَّرْوِيَةِ، الذي هو من أَشرَفِ الأيام، وهو يقول:

أنـــا بـــــاللهِ وبـــــاللهِ أنـــا   يَخْـلُـقُ الخَـلْـقَ وأُفْـنِـيـهِـمْ أنـــا[2]

فكان الناس يفرون منهم فيتعلَّقون بأستارِ الكعبة فلا يُجْدِي ذلك عنهم شيئًا، بل يُقْتَلُون وهم كذلك، ويطوفون فيُقتلون في الطَّواف، وقد كان عَلِيُّ بن بَابَوَيْه المُحَدِّثُ يومئذٍ يطوف، فلم يقطع طوافَه ولم يلتفت إليهم، فلمّا قضى طوافه أخذته السّيوف، فلمَّا أحس بالموت أنشد وهو كذلك:

---

(١) نسبة إلى جَنَّابَة، وهي بلدة صغيرة من سواحل فارس تقابل البحرين من الجهة الشرقية للخليج (ينظر: معجم البلدان ٢/ ١٦٥).

(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٦٠.

تَـرَى المُـحِـبِّينَ صَرْعَـى فِي دِيَـارِهِـمُ   كَفِتْيَةِ الكَهْفِ لَا يَـدْرُونَ كم لَبِثُوا[1]

وصاح القِرْمطي في الحُجّاج: ياحمير! أنتم تقولون: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فأَينَ الأمنُ وقد فعَلْنَا ما فعلنا؟ فأخذ شخصٌ بلجام فرسه، وقال -وقد استسلم للقتل-: ليس معنى الآية الشريفة ما ذكرتَ، وإنما معناها: مَنْ دخَل فأَمِّنُوه، فَلَوى أبو طاهر عنانَ فَرَسِه عنه وانصرف ولم يكلمه، وصانَه الله تعالى ببركةِ بَذْلِ نفسِه في سبيل الله والردِّ على ذلك الكافر، أخزاه الله تعالى[2].

يقول العمري: «ثم دخل القرمطي مكة المعظمة سنة سبع عشرة وثلاث مائة، فقتلَ في الحرم وجوانبِ مكةَ مِن الحجاج وغيرهم زهاءَ ثلاثين ألفا، واستَحَرَّ القتلُ في الشعاب وقمم الجبال، وبطون الأودية والظواهر، حتى قُتِلَ أكثر من مائة ألف، وسَبَى النساءَ والصبيان، وردم زمزم بجثث ورؤوس القتلى، وفَرَشَ المسجد بأجسادهم..»[3]، وأقام بمكة ستّة أيام، ولم يقف أحدٌ تِلْكَ السنة وقفةَ عرفة[4].

وكان ممن قُتل بمكة أميرُها ابنُ محارب، والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسين بن أحمد الجارُودِي الهَرَوِي، أخذَتْهُ السيوف وهو متعلّق بيديه بحلقة باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة بيت الله تعالى، وأخوه إمام الفقهاء الحنفية الفقيه أبو سعيد أحمد بن الحسين البَرْدَعي، والشيخ أبو بكر بن عبدالرحمن بن عبدالله الرَّهَاوِي، وشيخ الصوفية المحدث علي بن بابويه الصوفي، والشيخ محمد بن خالد بن زيد البَرْدَعِي، نزيل مكة،

---

(١) المتنظم ١٣/ ٢٨١.
(٢) إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، عبد الله محمد الغازي ص٥٣٨.
(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى العمري ٢٤/ ١٥٦.
(٤) تاريخ الإسلام ٢٣/ ٣٨١.

وجماعة كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحُجّاج من أهل خراسان والمغاربة، ونُهبت أموالهم وسُبيت نساؤهم وذراريهم، ونُهبت دور الناس، وقُتل مَن وُجِد من أهلها إلا من اختفى في الجبال[١].

فلما قضى القرمطيُّ لعنه اللهُ أَمْرَه وفَعَلَ ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة، أمر أن تُدْفَن القتلى في بئر زمزم، ودَفَن كثيراً منهم في أماكنهم من الحرم، وفي المسجد الحرام، ويا حَبَّذَا تلك القتلةُ وتلكَ الضجعة، وذلك المدفن والمكان، ومع هذا لم يُغَسَّلوا ولم يُكَفَّنُوا ولم يُصَلّ عليهم لِأَنَّهم مُحرِمُونَ شهداء[٢].

وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبدالرحمن بن هارون القرشي مع عياله إلى وادي رَهْجان[٣]، ونَهَبَت القرامطةُ مِن داره وأثاثه وأمواله ما قيمتُه مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، فافْتَقَرَ بعد تلك الثَّرْوة، وكذلك نُهبت دور أهل مكة إلى أن صار الباقي ممن نجا من تلك الوقعة فُقَراء يَسْتَعْطُون، ولم يحجّ في هذا العام أحد ولا وقف بعَرَفة إلا عدد يسير فازوا بأنفسهم وسمحوا بأرواحهم، فوقفوا بدون إمام، وأَتَمُّوا حَجَّهم مستسلمين للموت[٤].

وأخذ أبو طاهر خِزَانة الكعبة وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة وحُلِيَّها وما نهبه من أموال الحُجّاج فقسمها بين أصحابه، وأرادَ أَخْذ حَجَر المَقَام الذي فيه صورة قَدَمِ إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلم يظفر به؛ لأن سَدَنَةَ الكعبة أَخفَوْهُ وغيَّبُوه في شِعاب مكة،

(١) إفادة الأنام ص٥٣٨.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٨٢.
(٣) واد يصب ماءه في وادي نعمان الذي بين مكة والطائف (ينظر: معجم البلدان ٣/ ١٠٨).
(٤) إفادة الأنام ١/ ٥٣٩.

فتألَّمَ القِرْمِطِي لذلك، فاستدعى بجعفر بن أبي علاج البَنَّاء وأَمَرَه بقلع الحَجَر الأسود من محلِّه، فضربه بِمُثْقَلٍ فِي يَدِهِ وَقَالَ: أَينَ الطَّيرُ الأَبَابِيلُ، أَينَ الحجارةُ من سِجِّيلٍ؟ ثُمَّ قلع الحَجَرَ الأسود، فكان قَلْعُه بعد العصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ذلك العام، وصار الجنابي بزَنْدَقَتِهِ يقول -قاتله الله ولعنه وأخزاه-:

فلو كانَ هذا البيتُ للهِ ربِّنَا ... لصَبَّ علينا النارَ من فوقنا صَبَّا

لأنا حَجَجْنَا حجّةً جاهليةً ... مُحللةً لم تُبقِ شرقاً ولا غربا

وأنا تركْنَا بين زمزمَ والصفا ... جنائزَ لا تَبْغِي سِوى رَبِّها رَبَّا[1]

وهدم قبّة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها وشَقَّقَها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يصعد إلى مِيزَابِ الكعبة فيقتلعه، فسقط على أُمِّ رأسه فمات إلى النار، فعند ذلك انْكَفَّ الخبيثُ عَنِ المِيزَابِ[2].

وَلَمَّا رَجَعَ القرمطي إلى بلاده ومعه الحجر الأسود تبعه أَمِيرُ مكَّة هو وَأَهل بَيته وَجُندُهُ وسأَلَهُ وتَشَفَّع إليه أن يرد الحجر الأسود لِيُوضَعَ فِي مكانه، وَبَذَلَ لَهُ جَمِيعَ مَا عنده من الأموال فلم يلتفت إليه، فَقَاتَلَهُ أميرُ مَكَّة فقتلهُ القِرْمِطِيُّ وقتل أَكثَرَ أهل بيته وأهل مكة وجنده واستمر ذاهباً إلى بلاده ومعه الحجر وَأَموَالُ الحجيجِ[3].

وكان أَخْذه الحجر الأسود رغبةً منه في أن يُحَوِّلَ الحج إلى مسجد الضِّرَار الذي سمّاه (دار الهجرة)، فقام بتعليق الحجر في الأسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب

(١) إفادة الأنام ١/ ٥٣٨.

(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٨٢.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ١٨٢.

الغربي من المسجد في دار الهجرة في الكوفة، وبقي موضعُ الحَجَر الأسود من البيت الشريف خالياً، يَضَعُ الناس أيديهم فيه ويلثُمونه تبرُّكاً بمَحَلِّه[١].

وَإِنَّمَا حَمَلَ هَؤُلَاءِ على هذا الصنيع أنهم كفار زَنادقَة، وقد كانوا مُمَالِئِينِ لِلفَاطِمِيِّينَ الذين نَبَغُوا في هذه السنة ببلاد إفريقية من أرض المغرب، ويلقب أميرهم بِالمَهدِيِّ، وَهو أَبو محمدٍ عَبيدُ اللهِ بنِ ميمون القداح، وقد كان صَبَّاغاً بسَلَمْيَة[٢]، وكان يهوديًّا فادَّعى أنه أسلم، ثم سافر من سلمية فدخل بلاد إِفرِيقِيَّة، فَادَّعَى أنه شَرِيفٌ فَاطميٌّ، فصدّقه على ذلك طائفةٌ كثيرةٌ من البربر وغيرهم من الجهلة، وصارت له دولةٌ، فملك مدينة سِجِلْمَاسَة[٣]، ثمّ ابتنى مدينةً وسمّاها المهديّة، وكان قَرَارُ مُلْكِهِ بها، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدْعُون إليه، ويترامون عليه، ويقال إنّهم إنَّما كانوا يفعلون ذلك سياسةً لا حقيقة، وذكر ابن الأثير أنَّ المهديَّ هذا كتب إلى أبي طاهر الجَنَّابِي يلومه على ما فعل بمكة، حيث ذكر له أنه بهذا الفعل قد سَلَّطَ الناس على الكلام فيهم، وانْكَشَفَتْ أسرارُهم الّتي كانوا يبطنونها بما ظَهَرَ من صنيعهم القبيح، وأَمَرَهُ بِرَدِّ ما أخذه منها، فكتب إليه القرمطي بالسّمع والطَّاعة، وأنّه قد قَبِلَ ما أشار به إليه من ذلك[٤].

وقد أُسِرَ بعضُ أهل الحديث في أيدي القرامطة، فمكث في أيديهم مُدَّةً، ثم فَرَّج الله عنه، وكان يحكي عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم، وأن الّذي أَسَرَه كان يستخدمه في أَشَقِّ الخدمة وأشدِّها، وكان يُعَرْبِدُ عليه إذا سَكِرَ، حيث يقول: قال لي

---

(١) إفادة الأنام ١/ ٥٣٩.

(٢) هي بُلَيْدَة في ناحية البرّيّة من أعمال حماة، بينهما مسيرة يومين، وكانت تعدّ من أعمال حمص (ينظر: معجم البلدان ٣/ ٢٤٠).

(٣) مدينة في جنوبي المغرب، بينها وبين فاس مسيرة عشرة أيّام نحو الجنوب (ينظر: معجم البلدان ٣/ ١٩٢).

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٨٣.

القرمطي ذات ليلةٍ وهو سكران: ما تقول في مُحَمَّدِكم؟ فقلت: لا أدري.

فقال: كان سَائِسًا.

ثمّ قال: ما تقول في أبي بكرٍ؟ فقلت: لا أدري.

فقال: كان ضعيفًا مهينًا.

وكان عمر فظًّا غليظًا.

وكان عثمان جاهلاً أحمق.

وكان علي مُمَخْرَقاً، أليسَ كان عندَه أحدٌ يعلِّمُه ما ادَّعَى أنّه في صدره من العلم، أمَا كان يمكنه أن يعلِّمَ هذا كلمةً وهذا كلمةً؟، ثُمَّ قال: هذا كُلُّهُ مَخْرَقَةٌ، فلما كان من الغد قال: لا تخبر بهذا الذي قلت لك أحداً[1].

وقد جرت محاولات عدة لإعادة الحجر الأسود إلى مكانه، حيث بذل لهم أميرُ مكة جميع ما يريدونه من أموال على أن يردوا الحجر الأسود فأَبَوْا، ثم بذل لهم الأمير بَجْكَم التركي خمسين ألف دينار ذهبًا على أن يعيدوه فأَبَوْا، فمكث عندهم اثنين وعشرين عامًا حتى اشترَاهُ مِنهُم الخليفة المُطِيع لله (ت٣٦٤هـ) بِثلاثينَ ألف دينار، وأعيد إلى مكانه سنة ٣٣٩هـ[2].

وذكر ابن كثير أن القرامطة رَدُّوا الحجرَ دون مقابل، حيث جاء عنده «وكتبَ أخو أَبِي طاهرٍ الجنابي كتابًا فيه: «إنَّا أخذنا هذا الحجرَ بأمرٍ، وقد ردَدْنَاه بأمرِ مَنْ أَمَرَنا بأخذه، ليتمَّ حَجُّ النّاس ومناسُكهم»، ثمّ أرسلوه إلى مكة بغير شيءٍ على قعودٍ، فوصل في ذي القعدة من هذه السّنة»[3].

(١) المنتظم ٦/ ٢٢٤.
(٢) تاريخ مكة المشرفة ص١٧٧.
(٣) البداية والنهاية ١١/ ٢٥٢.

جُهَيْمَان العُتَيْبِي

ولد جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي قريبًا من القَصِيم في السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٣٦م، الموافق أول شهر رجب سنة ١٣٥٥هـ[1]، ويقال إن أباه كان من أنصار عبد العزيز بن سعود في معاركه الطاحنة التي خاضَها لتأسيس الدولة السعودية، ويبدو من هذا الحديث أن والدَ جهيمان كان يرى أنه لا بد أن يكون له نصيبٌ في الملك نظرًا لبلائه، فلما لم يتم الأمر وفْقَ مُرَادِه كان بعد ذلك يجلس مع أولاده يَبُثُّهُم شكواه - وربما حِقْدَه - من آل سعود، ويُلْمِحُ من بعيد أنه لا يعترف بهم مُلُوكًا، وكان يثير أمامَهم مسألة استعانة عبد العزيز بالإنجليز، وأن ذلك لا يجوز،... إلى آخر هذه القضايا التي تثير النفوس، وشَبَّ جهيمان في هذه البيئة المليئة بالأحقاد الدفينة، فبعد أن التحق بالتعليم تركه لكونه لا يجدي نفعًا - في رأيه -، والتحق بوظيفة في الحرس الوطني، والتقت أفكارُه مع أفكار بعضٍ مِن طَلَبَةِ العلم وأفرادٍ من الحرس الوطني، وقيل إن جهيمان أراد أن يلتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ليدرس الشريعة، وكانت الجامعةُ الإسلاميةُ آنَذَاك مَيْدانًا مفتوحًا يَعجُّ بمختلف الجنسيات العربية والإسلامية، فوجد جهيمان مناخًا مناسبًا لنشر أفكاره، فبدأ بإنكارِ بعض الأمور المتعلقة بالتقدم العلمي كالكاميرا والتصوير والتلفاز ونحو ذلك، وكانت أوّل حادثةٍ له ولأصحابه يقومون فيها بإنكار المنكر علانية أنهم قاموا سنة ١٩٦٥م بتكسير

(١) الفتنة وحصار الكعبة بداية من آل سعود حتى نهاية جهيمان، عبد الله الغليفي ص ٦٠.

بعض الاستديوهات وإتلاف الصور وآلات التصوير، وأَحْدَثَتْ هذه الحادثةُ ضجةً كبيرةً بين مؤيد ومعارض، ثم ذهب جهيمانُ صحبةَ سليمان بن شتيوي وناصر الحرْبِي وسعد التميمي إلى الشيخ ابن باز ليبلغوه أنهم قد عزموا على تأسيس جماعةٍ سلفيةٍ تنبذُ التَّمَذْهُبَ وتتمسك بالسنة والتوحيد، فنصحهم ابن باز بعدم اللجوء إلى العنف، وأنَّ إنكارَ المنكر له درجاتٌ ومراتبُ لا بد من معرفتها[1].

وبمرور الوقت وجد جهيمان ومن معه أن جهودهم لا تؤتي الثمرةَ المرجوة، وأن الأوضاع - في اعتقادهم- تسير نحو استمرار الحال على ما هو عليه، بل إلى أسوأ، فبدأت تتسربُ إلى عقولهم فكرةُ الخَلَاص التام، خَلَاصٌ لا يشمل ربوعَ الجزيرة العربية وحدها، بل يشمل العالمَ كله، ألا وهو خلاصُ المهدي المنتظر، فالعالَمُ - في رأي جهيمان- قد مُلِئَ ظلمًا وعدوانًا كما أَخْبَرَتِ الأحاديثُ، فالجو مناسب لظهور المهدي[2].

واخْتَمَرَتِ الفكرةُ في رأسه حين قابل أحدَ طلبة العلم آنذاك ويدعى محمد بن عبد الله القحطاني، فَرَسَم جهيمان صورةَ المهدي في ذهنه وأَنزَلَها على القحطاني، وجعل يُطَوِّعُ النصوصَ لتتناسب مع القحطاني ليُقْنِعَ الناس أنه المهدي، وبدأ جهيمان يُشِيعُ بين أصحابه فكرة قُرْبِ ظهور المهدي، ويسألهم عن رُؤَاهم المنامية عن المهدي، وتوقعاتهم للأيام المقبلة، وشاعت تلك الفكرة جدًّا، وأصبَحَتْ فَاكِهَةَ مجالِسهم، لا يمر يوم ولا ليلة إلا وللمهدي من حديثهم نصيب، وجعل جهيمان يسأل أصحابَه كل يوم: من رأى منكم اليوم رؤيا عن المهدي، وأخذ الأتباع يقصون عليه رؤاهم وهو يفسرها[3].

---

(١) الفتنة وحصار الكعبة ص٦٦، ٨٨.
(٢) الفتنة وحصار الكعبة ص٨٨.
(٣) الفتنة وحصار الكعبة ص٨٩.

ثم قرر جهيمان أن يصرح للقحطاني بما يجول في صدره، فقال للقحطاني: أنت المهدي، وأوصافك وعلاماتك هي علاماتُ وأوصافُ المهدي، فالزمانُ زمانُك، والبيعةُ لك[1].

وبدأ ذهن القحطاني يدور يمنةً ويَسْرَةً، وبدأت الحَيْرَة تتسرب إلى قلبه، وبدأ يتنازَعُهُ تياران، تيارُ التصديق بما يدعيه جهيمان مَدْعُومًا بفهمه للأحاديث والآثار، وتيار التكذيب لكونه أَعْرَف بنفسه من جهيمان، ولكن الذي ساهم في التلبيس على القحطاني وجعله ينقاد خلفَ دعوة جهيمان أنه تَوَارَدَ عليه بعضُ الحجاج والمعتمرين يَقُصُّون عليه رُؤَاهم أنهم رأوا أنه هو المهدي، فذهب القحطاني إلى زوجته غاضبًا من كلام الناس عنه أنه المهدي، ومن إلحاحِ جهيمان على ذلك، فقالت له زوجته: وأنا كذلك رأيتُ رؤيا وأنا صغيرةٌ أَنِّي سأتزوج المهدي، فالناس صادقون فيما رأوا، وها أنا زوجتك، وكل الشواهد مِن تواتر الأحلام ومطابقة اسمك والواقع من حولنا يدل على أنك المهدي، فامْضِ ولا تَلْتَفِتْ، فنحنُ في آخر الزمان وهذا وقتُ خُرُوجِك، فاخرج على بركة الله[2].

وراجت أفكار جهيمان ووصلت أخبارُه إلى الأمن السعودي، حيث تَقَدَّم أحدُهم بشكوى تشير إلى عزم جهيمان وجماعته شراء الكثير من الأسلحة للقيام بعمل مسلح، فتحركت الأجهزة الأمنية وتم القبض على كثير من أتباع جهيمان، وبعد التحقيق تبين أنَّ الشكوى كيدية فتَمَّ إطلاق سراحهم، وبعدها هرب جهيمان وأخذ يكتب رسائله ويطبعها في مطابع الطَّلِيعة اليَسَارية في الكويت، وأخذ ينتقد في رسائله حُكْمَ آلِ سعود، ويحرض على الخروج عليهم، ويمهد لفكرة قرب ظهور المهدي ووجوب مبايعته، واختار جهيمان الزمان والمكان بدقة متناهية، حيث اختار نهايةَ قَرْنٍ وبداية قرنٍ جديد ليشير إلى

---

(١) قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام، أحمد عدنان وآخرين ص ٣٤، والفتنة وحصار الكعبة ص١٢٠.
(٢) الفتنة وحصار الكعبة ص١٢٦.

حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[١] كما كان العالم كله يموجُ بفتنٍ واضطرابات عديدة، حيث قام الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٧٩م باجتياح أفغانستان، كما أَنْهَتِ الثورةُ الإيرانيّة حُكْمَ آل بَهْلَوِي في إيران، كما تم إقرارُ القطيعةُ العربية لمصر لتوقيعها معاهدة (كامب ديفيد) للسلام منفردةً مع إسرائيل، فاستغل جهيمان تَطَلُّعَ الناس إلى قائدٍ يُوَحِّدُ الأمةَ فخرج بفكرةِ ادعاء ظهور المهدي ووجوب مبايعته[٢].

وقام كلٌّ من اعتقد بهذه الفكرة بالاستعداد ليوم الظهور، فباعوا مَزَارِعَهم وحقولَهم ومواشيَهم اعتقادًا منهم أنهم لا حاجة لهم بها لأن المهدي بعد ظَفَرِه سيعوضهم بما لم يروه من قبل من مال وجاه، وتَبَرَّعُوا بما لديهم من مال، وقامُوا بشراء كمياتٍ كبيرةٍ من الأسلحة أغلبها من اليمن[٣].

وكان جهيمان غاية في الذكاء، حيث أخذ يرتب الأحداث للتطابق مع ما جاء في أحاديث الفتن والملاحم، وجعل يُنْزِلُ الأحاديث على الوقائع إنْ وَجَدَ أَدْنَى مُشَابَهَة، وكانت الخطة أن يدخلوا الحرم ويستولوا على مكبرات الصوت في إذاعة الحرم ويعلنوا ظهور المهدي، ويَدْعُوا الناس لمبايعته، وعندما تتم البيعة للمهدي بين الركن والمقام يأتي جيشٌ من الشام ليحارب المهدي فيخسف الله به الأرض[٤]، ثم يظهرُ المهدي وتظهرُ دعوته.

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ١٠٩ رقم ٤٢٩١، وصححه محمد محيي الدين عبد الحميد.
(٢) جريمة العصر، قصة احتلال المسجد الحرام، عبد العظيم المطعني ص١٦.
(٣) الفتنة وحصار الكعبة ص١٢٩.
(٤) قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام ص٣٨.

وتختلف الروايات في كيفية إدخال الأسلحة إلى الحرم، فيذكر بعضهم أن بعض رجال جهيمان تمكنوا من إدخال شاحنتين محملتين بالتمر والماء وبينهما الذخيرة إلى الحرم المكي، ثم أدخلوا بقيةَ الأسلحة في توابيت للموتى ليُوْهِمُوا الناسَ ورجالَ الأمن أنها جنائز جيء بها للصلاة عليها، وتم تخزين هذه التوابيت في القَبْوِ السفلي للحرم، وأصبح كل شيء جاهزًا لساعة الصفر التي اختار لها جهيمان فجرَ أولِ يومٍ من شهر الله المحرم[1].

بعد صلاة فجر اليوم الأول من شهر المحرم سنة ١٤٠٠هـ الموافق ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٩م ووسط مئات المصلين الذين تدفقوا إلى صحن الحرم، ومياه الوضوء تقطر من وجوههم تمكن قرابةُ مائتي شخص من الدخول إلى الحرم الشريف حاملين بعض النُّعُوشِ للصلاة، ولكنها نعوشٌ لم تكن تحمل سوى الموت المتمثل في الأسلحة التي جلبوها لتنفيذ مخططهم، وبعد أقل من ثلث ساعة من رفع الأذان، ووسط الآلاف من المصلين الذين كان غالبيتُهم من الحُجَّاج الذين قَضَوْا مناسِكَهم، وآخرون قَدِمُوا للعمرة أقيمت الصلاة، وتقدم الشيخ محمد عبد الله السبيل لإمامة المصلين، وبعد أن فرغ الشيخ من الصلاة عَلَتْ بعضُ أصوات المصلين، وبدأت حركةٌ مُرِيبَةٌ في كافة أنحاء المسجد، ثم تَقَدَّمَ شابٌّ حَادُّ الملامح واستولى على الميكروفون، وفي تلك الأثناء اعتلى بعضُ أصحاب جهيمان مآذنَ المسجد الحرام مع البنادق القناصة، وبينما تَتَرَّسَ آخرون أمام أبواب المسجد كلها لمنع الداخل والخارج[2].

وقد حاول أحد المُعْتَدِين إغلاقَ البوابة الشرقية للمسجد الحرام فاشتبكَ مع أحد الحراس فخرجت رصاصةٌ مِن سلاح المعتدي فاصطدمت بحلقة حديدية ثم ارتدت

(١) الفتنة وحصار الكعبة ص١٣٦.

(٢) جريمة جهيمان ص١٩.

نحو المعتدي فقتَلَتْه، فساد الهرج والمرج ودبَّ الرعبُ، وانطلق الرصاص من هنا وهناك في عشوائية وارتباك وسط صرخات المصلين الذين كان من بينهم أطفالٌ ونساء[1].

وما أن وقعت هذه الحادثة حتى بدأ أحد رجال جهيمان (خالد اليَامِي) خطبتَه التي أخذ يتحدث فيها عن المهدي وعلاماتِه وأهدافِه وكيفيةِ مبايعته، وجعل يسردُ الأحاديث على آذان الناس، وبدأ بالتكبير فأجابه كثيرٌ من المصلين، ولا يَخْفَى أن من يُرَدِّدُ وراءَه التكبير هم من أتباعه وأنَّ ذلك حصل بالاتفاق والتدبير[2]، وخَتَمَ خطبته بإعلان ظهور المهدي وأنه موجود في صحن الكعبة، ثم قام جهيمان ومن معه بإجبارِ الناس على مبايعة محمد بن عبد الله القحطاني بين الركن والمقام[3].

وكان جُلُّ اعتمادِ خطبائِهم الذين تَنَاوَبُوا على ميكروفون الحرم الحديثَ عن الرُّؤَى والمنامات، حيث زعموا أن مجموعَ الرؤى الخاصة بالمهدي بلغت عشرين رؤيا، ومن أراد التَثَبُّتَ فقد طُلب منه أن يَسْأَلَ (مراس بن ملعاط الغامدي)، و (يوسف أكبر آل رضا)، وهما من أتباع المهدي المزعوم[4].

وحدث شَدٌّ وجَذْبٌ بين المعارضين لهذا الأمر من المصلين وبين أتباع جهيمان، وعَلَتِ الأصواتُ، وتمكن الشيخُ محمد السبيل من التسلل خُفْيَةً إلى غرفةٍ له في الحَرَم وقام بالاتصال برئيس شئون الحرم ناصر بن حمد الراشد وأخبره بالأمرِ وأَسْمَعَهُ طلقاتِ الرصاص وهي تُدَوِّي في الحرم[5].

---

(١) جريمة جهيمان ص٢٠، والفتنة وحصار الكعبة ص١٣٧.
(٢) جريمة جهيمان ص١٧.
(٣) الفتنة وحصار الكعبة ص١٣٩.
(٤) جريمة جهيمان ص٣١.
(٥) الفتنة وحصار الكعبة ص١٤١.

وتمكن المسلحون من إغلاق الأبواب وسَدِّ منافذ الحرم والتحصنِ بداخله، وحاول المصلون مغادرةَ الحرم المكي غير أنهم وجدوا الأبواب مغلقةً بالسلاسل فاضطروا للبقاء، وقد نجحَ بعض المصلين الذين صلوا صلاة الفجر من الهروب من الحرم عَبْرَ نافذةٍ صغيرة في قبو الحرم، أما الباقون فمَكَثُوا مُرْغَمِين(١).

وخطب جهيمان خطبةً طويلةً تحدث فيها عن المفاسد التي استشرت، وعن رأيه في الحكومة السعودية، وعن رغبةِ المهدي في بَثِّ العدل في الأرجاء، ورفع الظلم عن الناس، وتوالت اجتماعات الحكومة السعودية وكبار العلماء لإيجاد سبيلٍ للخروج من هذه الأزمة، ومع مرور الوقت أعلن جهيمان والقحطاني ومن معهم مَطَالِبَهم، والتي تمثلت فيما يأتي: تَنَازُلُ آل سعود عن الحكم، اختيارُ هيئةٍ للحلِّ والعَقْدِ تتولى اختيارَ خليفة أو ملك، طرد غير المسلمين من جزيرة العرب، قطع العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، إعادة توزيع الثروات(٢).

وقررت الحكومة السعوديةُ التدخلَ بثقلها كُلِّه لإنهاء هذا الأمر وتحرير المسجد الحرام، فتدخل الجيشُ بأسلحته الثقيلة ومروحياته، واشتدت المعارك من ظهر اليوم الثاني للحصار حتى اليوم الرابع الذي هو يوم الجمعة، فتعطلت شعائرُ صلاة الجمعة، ومُنِعَ الأذان، وأصبحت الحكومة في وضع لا تُحسَدُ عليه بين العالم(٣).

ورغبةً من الحكومة السعودية في سرعة إنهاء هذا الأمر تدخل الجيش بالدبابات ومدافع الهاون، وشَبَّت الحرائقُ وقُصِفَتْ مَآذنُ الحرم التي كان المهاجمون يستترون فيها،

---

(١) الفتنة وحصار الكعبة ص١٤١.

(٢) جريمة جهيمان ص٣٩، والفتنة وحصار الكعبة ص١٤٥.

(٣) الفتنة وحصار الكعبة ص ١٤٦.



وتدخلت القوات الخاصة والحرس الملكي وشنت هجومًا كاسحًا، ولكن الهجوم باءَ بالفشل، فقد قام المسلحون بصد الهجوم وقتلوا عددًا من الجنود، حيث كان القناصة المتمركزون على المآذن على درايةٍ كبيرةٍ بما يفعلون، وسالَتِ الدماءُ في الحرم، وساد الهَرجُ والمَرجُ(١).

وكان وجودُ القحطاني (المهدي) بينهم يُثِيرُ حماسَتَهم ويشجعهم على القتال، فطالما المهديُّ بينهم يقاتلُ فهم على الحق، والنصرُ آتٍ لا مَحَالَة، ولكنْ في نشوةِ الانتصار وصَدِّ الهجوم الذي قام به الجيشُ والحرَسُ المَلَكِيُّ والقواتُ الخاصة جاء الخبر أن القحطاني قد قُتِلَ، فقال الناس: إنْ كان قد قُتل فهو ليس المهدي، ودعوتُه باطلة، وقال البعضُ إنه لم يقتل، بل أُصِيب، ولا يمكن أن يموت قبل أن يملأ الأرض عدلًا ويَقْتُلَ المشركين ويقيمَ دولة الإسلام، وجاء الخبر إلى جهيمان فنَهَرَ مَن جاءه بالخبر وأشاعَ بين الناس أن المهدي حيٌّ وأنه لا يمكن أن يُقتل في هذا الحصار وأنَّ النصرَ آتٍ لا مَحَالة، وتمكنَتِ القواتُ الخاصة من النزول إلى قبو الحرم واشتد هجوم الجيش ولكن لم يتم حسم الأمر، حيث نزلَ المسلحون إلى القبو وأشْعَلُوا النار في سجاد الحرم وفي إطارات السيارات فتكَوَّنَتْ سُحُبٌ دخانية كثيفة نشرت الذعر بين الناس(٢).

وأمام هذا الموقف العصيب فكرت الحكومةُ السعودية في الاستعانة بقوات خاصة لها خبرة أكبرَ من القوات السعودية، قوات لها من الخبرات السابقة ما يؤهلها للقضاء على هؤلاء المسلحين، فوقع الاختيارُ على فرنسا، فطارَ وَفْدٌ رسميٌّ سعودي إلى فرنسا لطلب المساعدة، وتم عرض الأمر، وتمت الموافقة، وأَوْكَلَتِ الحكومةُ

(١) جريمة جهيمان ص٤٨.
(٢) الفتنة وحصار الكعبة ص ١٥٠.

الفرنسية للكابتن (باريل) وفريقِه مهمة إنهاء هذا الأمر، ووصل باريل وفريقُه إلى الرياض واجتمع مع الحكومة السعودية، ولم تكن لدى الحكومة أيةُ معلوماتٍ سوى أن فريقًا من المتطرفين سيطر على الحرم، ثم قَدَّمَتِ الحكومة للفريق الفرنسي دعمًا لُوجِسْتِيًّا يتمثل في الخرائط والمداخل والمخارج والمال والسلاح..الخ، وبعد اطلاع باريل على الخرائط قرر أَنَّ أَنْسَبَ وَسِيلةٍ لاقتحام الحرم هي القبو، ونُصِبَتْ خيمةُ القيادة في ساحة الحرم، وطلب باريل من الحكومة الفرنسية قنابلَ غازٍ بكميات كبيرة، واقترح عليه أحدُهم أنْ يُغْرِقَ الحَرَمَ بالماء ثم يقوم بتوصيله بالكهرباء، فرفض باريل هذه الطريقة لِمَا تحتويه من خطر على الناس وعلى فريقِه أيضًا، ورأى باريل أنَّ بعضَ القناصة ما يزالون فوق المآذن، فاستدعى أربعَ طائراتٍ حربية للتصدي لهم، وكان باريل يتحرج من ضرب المآذن بالطائرات لقُدْسِية الحرم، ولكن الضغوطَ وما آلَ إليه الحالُ جعله يقرر قَصْفَها[1].

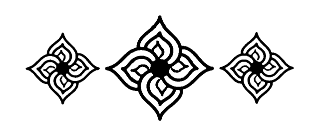
أمر باريل بقصف المآذن التي يرتكزُ فيها القناصة، وبدأ القصفُ فهَرَب جهيمان ومَن معه إلى القبو أسفل الحرم، فأمر باريل جنودَه بإلقاء أكبر عددٍ من قنابل الغاز في القبو، وبدأ إلقاءُ قنابل الغاز بكثافة حتى وَصَلَ الدخانُ إلى الكعبة، واشتد الهجومُ من كل ناحية، وساءت حالةُ جهيمان ومَن معه، واخْتَنَقَ كثيرٌ منهم بسبب الغاز، ولم يكن لهم أملٌ سوى المهدي الذي يقاتلون تحت رايته، فأخذ جهيمان يبحث عن المهدي حتى وَجَدَه قتيلًا في القبو تحتَ الجُثَث المُكَوَّمَة، فانهار جهيمانُ وانكشف الوهمُ الذي عاش فيه هو وأصحابُه، وصَمَّمَ باريل وجنودُه ومِنْ ورائهم الحرسُ الملكي والجيش على إنهاء الأمر، فضغطوا بشدة من جميع الأبواب، فاستسلم غالبُ أتباعِ جهيمان، واقتَحَم

(١) الفتنة وحصار الكعبة ص١٥٤.

الجنودُ الحرم وبحثوا عن جهيمان فوجدوه جالسًا مستسلمًا دونَ مقاومةٍ، فسألوه عن القحطاني فأخبرهم أنه قد قُتِلَ وأشار إلى مكانه[1].

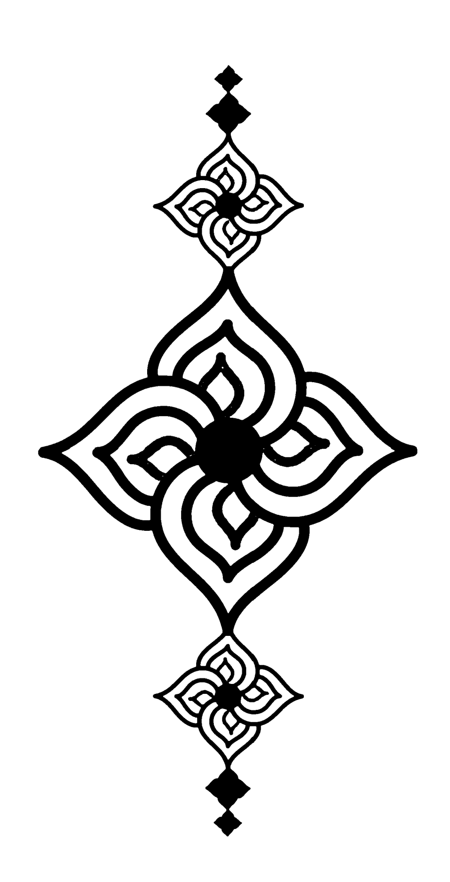
وقُبِضَ على جهيمان ومَن تبقى من أتباعه، وانتهت فتنتُهم، وحُكِمَ عليه وعلى غالب من معه بالإعدام، وحُكِمَ على بعضهم بالسجن، وأُعدِمَ جهيمان في التاسع من فبراير سنة ١٩٨٠م[2]، وانتهت هذه الفتنة التي اختلف فيها الناس، فمنهم من يرى أن جهيمان قد فعَلَ ما فعلَ عامدًا متعمدًا، وأنه كان يعلمُ أنَّ القحطانيَّ ليسَ المهدي، ومنهم من يرى أنه كان حَسَنَ النيّة، ولكنه وقع في الوَهْمِ، وفَهِمَ النصوصَ على غير حقيقتها، وقاس قِيَاسًا خاطئًا أَدَّى بِهِ إلى هذا الطريق، فالله أعلم.

انتهت الرسالة بحمد الله وتوفيقه



(١) الفتنة وحصار الكعبة ص ١٥٧.

(٢) جريمة جهيمان ص٥٠.



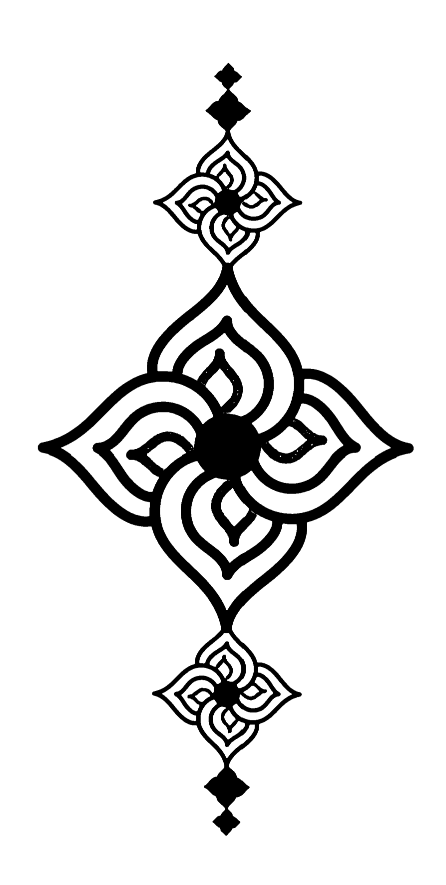


جامع أخبار من ادعى النبوة



قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لا تقوم الساعة حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله» (أخرجه البخاري في صحيحه٩/ ٥٩ رقم ٧١٢١)

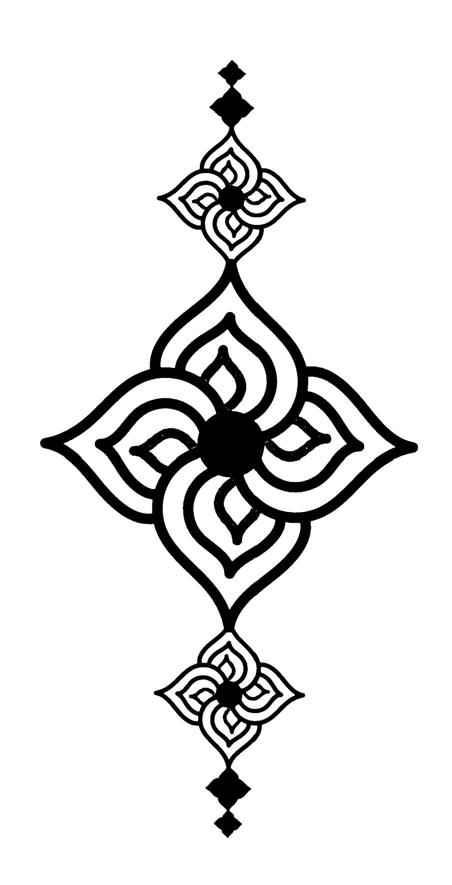
وقال : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُون كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» (أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٤٩٩ رقم ٢٢٩ وصححه)



الفصل الأول



المُتَنَبِّئُونَ في الجاهليةِ وصدْرِ الإسلام



أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ (ت سنة٥هـ)

هو أميةُ بنُ أبي الصَّلْت، واسمُ أبي الصَّلْتِ عبد الله بن أبي ربيعة بن عوفٍ الثَّقفي، وأمُّ أميةَ بنِ أبي الصلت رقيةُ بنتُ عبدِ شَمْسٍ بنِ عبدِ مَنَاف، كان أميةُ بن أبي الصلت قد قَرَأَ الكتبَ السماويةَ السابقة، فكان يأتي في شِعْرِهِ بأشياءَ لا تعرفُها العرب، فمنها قولُه يصفُ غُلَافَ القمرِ:

قَمَرٌ وسَاهُورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ[1]

وكان يُسَمِّي اللهَ عَزَّوَجَلَّ في شعره (السِّلْطِيطُ) فيقول:

والسِّلْطِيطُ فوقَ الأرضِ مُقْتَدِرُ[2]

وكان أميةُ بنُ أبي الصلتِ قد أَكْثَرَ من النظرِ في الكتب ولَبِسَ لِبَاسَ الزهدِ تَعَبُّداً لله، وكان دائماً يَذْكُرُ إبراهيمَ وإسماعيلَ والحَنِيفِيَّةَ ملةَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحَرَّمَ الخمرَ وشَكَّ في الأَوْثَانِ، وكانَ مُحَقِّقاً مستقيماً في أمورِه كلِّها، والْتَمَسَ الدِّينَ وطَمِعَ في النبوةِ لأنهُ قرأَ في الكتب أنَّ نبياً يُبْعَثُ منَ العربِ آخرَ الزمان، فكان يرجُو أنْ يكونَ هوَ ذلكَ النبيّ[3]، وذلكَ يعنِي أنَّه كان في أول أمرِه علَى الإيمانِ والطريقِ القَوِيم.

(١) الساهور: شيء يشبه الغلاف يدخل فيه القمر إذا انكسف كما يزعم أهل الكتاب (ينظر: خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي١/ ٢٤٦).
(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٤/ ١٢٨.
(٣) الأغاني ٤/ ١٢٩ والوافي بالوفيات ٣/ ٣٠١.

فلما بُعِثَ النبيُّ قيلَ له: هذا الذي كنتَ تنتظِرُه وتقولُ بخروجِه، فحَسَدَه عدُوُّ اللهِ وقال: إنما كنتُ أرْجُو أن أكُونَه، فأنْزَلَ اللهُ فيه عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف١٧٥-١٧٦][1]، وعن نافعِ بن عاصم بن مسعود، قال: إنِّي لَفِي حَلْقَةٍ فيها عبدُ الله بنُ عَمْرو فقرَأَ رجلٌ من القوم الآيَةَ التي في الأعراف: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ....﴾ فقال: هل تدرونَ مَنْ هُوَ؟ فقال بعضُهم: هو صَيْفِيُّ بنُ الرَّاهِب، وقال آخرُ: بل هو بَلْعَمُ بن بَاعُورَاء رجلٌ من بني إسرائيل، فقالَ: لا، قالوا: فَمَنْ؟ قال: هو أمية بنُ أبي الصَّلْت[2].

وقد كان أميةُ في أولِ أمْرِهِ يسألُ الحُنَفَاءَ عن خبرِ النبيِّ المنتظَرِ، ويَعْرِفُ بِقُرْبِ أَوَانِ ظُهُورِه، قال أبو بكر الصديق: كنتُ جالساً بِفِنَاءِ الكعبةِ وكانَ زيدُ بنُ عمرو بن نُفَيْلٍ قاعدًا، وهو من الحنفاءِ الذين نَبَذُوا الأَوْثانَ، فَمَرَّ به أُمَيَّةُ بنُ أبي الصلتِ فقَال: كيفَ أصْبَحْتَ يا بَاغِيَ الخيرِ؟ قال: بخيرٍ، قال: وهل وَجَدْتَ؟ (يعني هل وجدْتَ شيئاً مِن خبرِ النبيِّ المنتظَر) فقال عمرو: لا، وَلَمْ آلُ جُهْدا[3] (يعني لَمْ أُقَصِّر في البَحْث)، فقال أمية:

كُلُّ دِينٍ يومَ القِيَامَةِ إلا … مَا قَضَى اللهُ والحَنِيفَةُ بُورُ

ثم قال أميةُ لزيد: إنَّ هذا النبيَّ الذي يُنْتَظَرُ إمَّا أَنْ يكونَ مِنَّا وإمَّا أن يكونَ منكُم، قال أبو بكر: ولم أَكُنْ سمعتُ قبلَ ذلك بنبيٍّ يُنْتَظَرُ أو يُبْعَث، فخرجتُ إلى وَرَقَةَ بنِ نَوْفَل،

(١) تفسير البغوي ٣/ ٣٠٣، وتفسير عبد الرزاق بن همام ٢/ ٩٨.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢٨٠، والدر المنثور للسيوطي ٣/ ٦٠٩.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ١٣٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١/ ٣٥.

وكان كثيرَ النظرِ إلى السماءِ كثيرَ هَمْهَمَةِ الصَّدْرِ، فاستَوقفْتُه ثم قصصتُ عليه الحديثَ فقال: نعم يا بنَ أخي، إنَّا نحنُ أهل الكتبِ والعُلُوم، إلا أنَّ هذا النبيَّ الذي ينتظرُ سيخرجُ من أَوْسَطِ العَرَبِ نَسَبا، وقَوْمُكَ أوسطُ العربِ نَسَبا، قلتُ: يا عَم ومَاذا يقولُ ذلك النبيُّ؟ قال: يقولُ ما يُقَال له مِنَ الله، غيرَ أَنَّه لا يُظْلَمُ ولا يَظْلِمُ ولا يُظَالِمُ، فلما بُعِثَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنْتُ به وصَدَّقْتُه[1].

ولما أَبى أميةُ أنْ يَتَّبعَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يحَرِّض قريشاً بعد وقعةِ بدر، وكان يَرْثِي مَن قُتِلَ مِن قُرَيْشٍ في وَقْعَةِ بدرٍ الذينَ أَمَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَرْحِ جُثَثِهم في قَلِيبِ بدر، فَمِنْ ذلك قولُه:

مـاذا بِـبَـدْرٍ والـعَـقَـنْـقَـلِ[2] ... مِـنْ مَـرَازِبَـةٍ جَـحَـاجِـحْ[3]

مَـنْ يَـبْـكِـهِـم يَـبْـكِـي عَلَى ... حُـزْنٍ وَيَـصـدُق كُـلَّ مَـادِحْ

أَلا تَـرَونَ لِـمَـا أَرَى ... وَلَـقَـدْ أَبَـانَ لِـكُـلِّ لَامِـحْ

أنْ قـد تَـغَيَّرَ بَـطْـنُ مَـكَّـ ... ـةَ فَـهْـي مُـوحِـشَـةُ الأَبَاطِـحْ[4]

وقد كان لِأُمَيَّةَ بنِ أبي الصلتِ خبرٌ طويلٌ مع أبي سفيانَ بنِ حَربٍ مَلِيءٌ بالأعَاجِيب، حيث كان أميةُ قد قَدِمَ دمشقَ قبلَ الإسلامِ مع أبي سفيان، فيقول أبو سفيان: خرجتُ أنا وأميةُ بنُ أبي الصلتِ الثقفيِّ تجَّارًا إلى الشام، فكنا كُلَّما نَزَلْنَا مَنزلاً أَخَذَ أمية سِفْراً له

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٠/ ٣٥، وتاريخ الخلفاء ١/ ٣٥.

(٢) موضع ملاصق لبدر (ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي٥/ ٤٤١).

(٣) المَرَازِبَة: جمع مَرْزُبَان، وهم مَنْ وَرَاء الملوك من أمراء الأطراف والقادة (ينظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص١٣٧)، والجَحَاجِحُ: جمع جَحْجَاح، وهو السيد (ينظر: مختار الصحاح للرازي ص١٥٣).

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٣٧٠.

يقْرَأُه علينا، فكنا كذلك حتى نَزلنَا قريةً من قرى النصارى، فجاءُوهُ وأكرَمُوهُ وأَهْدَوْا له، وذهبَ معهم إلى بيوتِهم ثم رَجَعَ في وَسَطِ النهارِ فَطَرَحَ ثَوْبَيْهِ وأَخَذَ ثَوْبَين له أسوَدَين فلَبِسَهما وقال لي: هلْ لكَ يا أبا سفيان في عَالِمٍ من علماءِ النصارَى إليه يَتَنَاهَى عِلْمُ الكتابِ تَسْأَلُه عما تَشَاء؟، قلت: لا حاجةَ لي فيه، فَوَ اللهِ لَئِنْ حَدَّثَنِي بما أُحِبُّ فَلَعَلِّي لا أَثِقُ به، ولئنْ حدَّثَنِي بما أكرهُ لعلي أَحْقِدُ عَليه[1].

قال: فذهَبَ أميةُ وجاءَني شيخٌ من النصارى فدخلَ عَلَيَّ فقال: ما يمنَعُكَ أن تذهبَ إلى هذا الشيخ -يعني الشيخَ النصراني الذي ذهب إليه أُمَيَّةُ- قلت: لستُ على دينِه، قال: وإنْ لم يَكُنْ على دينِكِ فإنكَ تسمعُ منه عَجَباً وتَرَى غَرِيبا[2].

وبعد جِدَالٍ بين النصرانيِّ وبين أبي سفيان يقول أبو سفيان: ثم قال لي: أَمِنْ ثَقِيفٍ أنت؟ قلت: لا ولكن قُرَشِي؟ قال: فما يمنَعُكَ من الشيخ؟؟ فو الله إنه لَيُحِبُّكُم ويُوْصِي بِكم[3].

قال أبو سفيان: فخَرَجَ الرجلُ من عندي ومَكَثَ أميةُ عندهم حتى جاءَنا بعدَ هَدْأَةٍ من الليل، فطرَحَ ثوبيه ثم رمَى نفسَه على فراشِهِ فو اللهِ ما نَامَ ولا قامَ حتى أَصْبَحَ كئيباً حزيناً ساقِطَ الهِمَّةِ ما يُكَلِّمُنَا ولا نُكَلِّمُه، ثم قال لي: أَلَا تَرْحَل؟؟ قلتُ: وهل فيكَ مِنْ قُوَّةٍ للرحيل؟ قال: نعم، فرحَلْنَا فَسِرْنَا على ذلك ليلتين، ثم قال في الليلة الثالثة: لا تُحَدِّثْ أحَداً بهذا يا أبا سفيان، قلت: وهلْ مِثْلُ هذا يُحَدَّثُ به؟ والله ما رأيتُ مثلَ الذي رَجَعْتَ به من عندِ صاحبِك، فقال أمية: أَمَا إنَّ ذلكَ ليسَ لشَيءٍ قدْ حَدَثَ، وإنما ذلك لشيءٍ وَجِلْتُ منه في مُسْتَقْبَلِ أمْرِي، لقد أخبرني النصرانيُّ أنَّ نَبياً يُبْعَثُ من العَرَبِ وأنَّ عَلامَتَه

(١) البداية والنهاية ٢/ ٢٨١.

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٢٥٨.

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢٨١.

سِتُّ رَجْفَاتٍ تُصِيبُ الشام، وقد مَضَتْ منها خمسٌ وبقِيَتْ واحدةٌ وأنا أَطْمَعُ في النبوةِ وأخافُ أن تُخْطِئَنِي فَأَصَابَنِي ما رأيتَ، فلما رجعتُ إلى النصرانيِّ ثانيةً أَتَيْتُه فقال: قد وَقَعَت الرجفةُ الأخيرةُ التي في الشام، وقد بُعِثَ نبيٌّ من العرب، فَيَئِسْتُ من النبوةِ فَأَصَابَنِي ما رأيتَ إذْ فَاتَنِي ما كنتُ أَطْمَعُ فيه، قلت: وهل هناكَ مِنْ أَمْرٍ في مستقبلِ عمُرِك[1]؟؟.

قال أمية: إي واللهِ لأَمُوتَنَّ ثم لأُحْيَيَن، قال أبو سفيان: فقلت لأمية: يا أميةُ هل أنتَ قَابِلٌ ما أقولُ لك؟ قال: قل، قلت: إنك لا تُبْعَثُ ولا تُحَاسَب، قال: فضحك ثم قال: بلَى والله يا أبا سفيان لَنُبْعَثَنَّ ثم لَنُحَاسَبَنَّ ولَيَدْخُلَنَّ فريقٌ الجنةَ وفريق النارَ، قلت: فَفِي أَيِّهِمَا أنتَ؟؟ ألم يُخْبِرْكَ صاحِبُكَ النصرانيُّ؟؟ قال: لا عِلْمَ لصاحبي بذلك لا فيَّ ولا فِي نَفْسِه[2].

يقول أبو سفيان: فَمَكَثْنا ليلتين يَعْجَبُ مني وأَضْحَكُ منه، حتى قَدِمْنَا غُوْطَةَ دِمشق فَبِعْنَا مَتَاعنا وأقمنا بها شهرين، ثم ارتحلنا حتى نزلنا قريةً من قرى النصارى، فلما رأوه فعلوا مثلَ الذي فعله أهلُ القرية الأولى، حيث جاءُوه وأَهْدَوْا له، وذهب معهم إلى كنيستهم، فما جاءَ إلا بعد منتصفِ النهارِ، ثم لَبِسَ ثوبَيه وذَهَبَ إليهم مرةً أخرى حتى جاء بعد هَدْأَةٍ من الليل، فطرحَ ثوبيه ورَمَى بنفسِه على فِرَاشِه فو الله ما نامَ ولا قامَ وأصبحَ حزيناً كئيباً لا يكلمنا ولا نُكَلِّمه، ثم قال: ألا تَرْحل؟ قلت: بَلَى إنْ شِئْتَ، فرَحَلْنَا وهو على حالِه من الحُزْنِ والهَمِّ لَيَالِيَ عِدَّة[3].

يقول أبو سفيان:ثم قال لي: يا أبا سفيان هلْ لكَ في المَسِيرِ لِنَسْبِقَ أصحابَنا؟، قلت: أتريدُ ذلك؟ قال: نعم، فسِرْنا حتى تَقَدَّمْنا عن أصحابنا ساعةً ثم قال: هيا حَدِّثْنِي عن

---

(١) الأغاني ٤/ ١٣١.

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٢٥٨.

(٣) البداية والنهاية ٢/ ٢٨١.

عُتْبَةَ بنِ ربيعة، أَيَجْتَنِبُ المظالمَ والمحارمَ؟ قلت: إي والله، قال: ويَصِلُ الرحمَ ويأمر بِصِلَتِها؟ قلت: إي والله، قال: وكريمُ الطرفين وَسَطٌ في العشيرة؟ قلت: نعم، قال: فهل تعلمُ قرشياً أشْرَفَ منه؟ قلت: لا والله لا أعلم، قال: أَمُحْوجٌ هوَ؟ قلت: لا بل هو ذو مالٍ كثير، قال: وكَمْ أَتَى عليه من السِّنِّ؟ فقلت: قد زادَ على المائة، قال: فالشَّرَفُ والسِّنُّ والمالُ أَبْعَدَاهُ وأَزْرَيا به، قلت: ولِمَ يُزْرِي به المالُ والسِّنُّ؟؟ لقد كَذَبْتَ، ما ازْدَادَ سِناً إلا ازْدَادَ شَرَفا، فقال: يا أبا سفيان أَتَقُولُ لي يا كاذب، إنها كلمةٌ ما سمعتُ أحداً يقولُها لي منذُ تَبَصَّرتُ، فلا تَعْجَلْ عليَّ حتى أُخْبِرَك، فإنَّ الحقَّ واللهِ ما أقولُ لك، فقال أبو سفيان: يا أميةُ إنكَ تريدُ أنْ تَقولَ شيئاً فَقُلْ[1].

فقال أميةُ لأبي سفيان: أَتَذْكُرُ يومَ جئتُ إلى ذلك العالمِ النصراني، إني سألتُه عن أشياءَ ثم قلت له: أخبرني عن هذا النبيِّ الذي يُنْتَظَر، قال: هو رجلٌ من العرب، قلت: قد علمتُ أنه من العربِ فمن أيِّ العربِ هو؟ قال: من أهل بيتٍ تَحُجُّهُ العربُ، قلت: إنَّ فينا-يعني في ثقيف- بيتاً تحجُّهُ العرب[2]، قال: هو من إخوانِكم من قريش، فأصابَنِي والله شيءٌ ما أصابني مثلُه قَطّ، وخَرَج من يَدِي فوزُ الدنيا والآخرة، وكنتُ أرْجُو أن أكونَ إيَّاه، لذا رأيتَنِي مُسْوَدّ الوجهِ كئيباً لَمَّا عُدْتُ من عِنده، ثم سألتُ ذلك النصرانيَّ فقلتُ له: فإذا كان هذا الأمرُ كائِناً فَصِفْه لي، قال: «رجلٌ شابٌّ حينَ دخَلَ في الكُهُولَة، يجتنبُ المظالمَ والمحارمَ، ويصلُ الرحمَ ويأمر بصلتها، وهو مُحْوِجٌ كريمُ الطرفين مُتَوَسِّطٌ في العشيرة، أَكْثرُ جُنْدِهِ من الملائكة، كما أَني كنتُ أجدُ في كتبي نبياً يُبْعَثُ من حَرَّتِنَا هذه،

(١) البداية والنهاية ٢/ ٢٨٢.

(٢) بيتُ عِبَادَةٍ بَنَتْهُ ثقيفٌ لعبادةِ اللات وسموه (بيت الرَّبَّة) وكان الحُجَّاجُ يَفِدُونَ إليه ويقدمون عنده القرابين والنذور، أرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدمه بعد دخول ثقيف الإسلام. (البداية والنهاية ٥/ ٤٠).

فكنتُ أظُنُّ بل كنتُ لا أَشُكُّ إني أنا هو، فلما دَارَسْتُ أهلَ العلم إذا هو من بني عبد مناف، فنظرتُ في بني عبدِ منافٍ فلم أجد أحداً يصلح لهذا الأمر غيرَ عتبةَ بنَ ربيعة، فلما أَخْبَرْتَنِي بِسِنِّهِ عرفتُ أنه ليس هو لأنه جاوزَ الأربعينَ ولم يُوْحَ إليه، لذا سألتُك عن عتبة وقلتُ لك: المالُ والسنُّ أَزْرَى به، ثم قلتُ للنصراني: وما آيةُ ذلك؟ قال: قد رَجَفَتِ الشامُ منذُ هَلَكَ عيسى بنُ مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمانينَ رَجْفَة كلُّها فيها مصيبة، وبَقِيَتْ رجفةٌ عامَّةٌ هي عَلامَتُه»[1].

قال أبو سفيان: فقلت: هذا والله الباطلُ، لَئِنْ بَعَثَ اللهُ رسولاً لا يَبْعَثُهُ إلا مُسِناً شريفا، قال أمية: والذي حَلَفْتَ بِهِ إنَّ هَذا لهَكَذَا يا أبا سفيان، وإنَّ قَوْلَ النَّصْرانِيِّ حَقٌّ.

يقول أبو سفيان: ثم قال لي أمية: هلْ لكَ في المبيتِ؟ قلت: نعم، قال فَبِتْنَا حتى لَحِقَ بنا أصحابُنا ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكةَ ليلتان أَدْرَكَنَا راكبٌ مِنْ خَلْفِنَا فَسَأَلناه، فإذا هو يقول: أصابَتْ أَهْلَ الشامِ بعدَكُم رجفةٌ دَمَّرَت أهلَها وأصابَتهُم فيها مصائبُ عظيمة، قال أبو سفيان: فأقبلَ عَلَيَّ أميةُ فقال: كيف تَرَى قولَ النصرانيِّ يا أبا سفيان؟ قلتُ: أَرَى وأَظُنُّ واللهِ أنَّ ما حَدَّثَكَ به صاحِبُكَ حَق[2].

قال أبو سفيان: فَقَدِمْنَا مكةَ فقَضَيْتُ ما كان معي ثم انطلقتُ حتى جئتُ اليمنَ تاجرًا، فكنت بها خمسةَ أشهر، ثم قدمتُ مكةَ فبينما أنا في منزلي إذْ جَاءَنِي الناسُ يسلمون عليَّ ويسألون عن بَضَائِعِهم، حتى جاءني محمدُ بن عبد الله وبِجَانِبِي هِنْدٌ تُلَاعِبُ صِبْيَانَها، فَسَلَّمَ عليَّ ورَحَّبَ بي وسَألني عن سفَري ومقَامِي ولم يسألني عن بضاعَتِه، ثم قام، فقلتُ لهند: والله إنَّ هذَا لَيُعْجِبُنِي، ما مِن أحدٍ من قريشٍ له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها،

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٠.
(٢) البداية والنهاية ٢/ ٢٨٢.

وما سألني هذا عن بِضَاعَتِه، فقالت لي هند: أو مَا عَلِمْتَ شَأْنه؟ فقلتُ وأنا فَزِعٌ: ما شَأْنُه؟ قالت: يزْعُمُ أنه رسول الله، فتَذَكَّرْتُ قولَ النصراني فَرَجَفْتُ وأخَذَتْنِي رِعْدَةٌ حتى قالت لي هند: مالَكَ؟ فانتبهتُ فقلت: إنَّ هذا لهو الباطل، لَهُوَ أَعْقَلُ مِن أنْ يَقُولَ هذا، قالت: بَلَى واللهِ إنه ليقولُ ذلكَ ويدعو إليه، وإن له أصحابًا على دينه، قلت: هذا هو الباطل[1].

يقول أبو سفيان: فخرجتُ فبينما أنا أطوفُ بالبيت إذ بي قد لَقِيتُه فقلت له: إنَّ بِضَاعَتَك قد بَلَغَتْ كذا وكذا- وكان فيها رِبْحٌ كبير- فأرْسِلْ من يأخذُها ولستُ آخُذُ منك فيها ما آخُذُ مِن قومي، فَأَبَى عَلَيَّ، وقال: إذن لا آخُذُها، قلت: فأَرْسِلْ فَخُذْهَا وأنا آخذُ منكَ مثلَ ما آخذ من قومي، فأَرْسَلَ إِلَى بضاعَتِه فأَخَذَها وأَخَذْتُ منه ما كنتُ آخذُ من غيرِه[2].

قال أبو سفيان: فلم أَلْبَثْ في مكة إلا قليلاً حتى خرجتُ إلى اليمن، ثم قَدِمْتُ الطائفَ فنزلتُ على أمية بن أبي الصلت، فقال لي: يا أبا سفيان؟؟ هل تذكرُ قولَ النصراني؟ فقلت: أَذْكُرُهُ وقد كَان ما قال، فقال: وَمَنْ هو؟ قلت محمد بنُ عبد الله، قال: ابنُ عبد المطلب؟؟ قلت: ابنُ عبد المطلب، ثم قَصَصْتُ عليهِ خَبَرَ هندٍ، قال: فالله يَعْلَمُ؟ وأَخَذَ يَتَصَبَّبُ عَرَقا، ثم قال: والله يا أبا سفيان لَعَلَّهُ هو حقًّا، وإنَّ صِفَتَهُ لَهِيَ، ولَئِنْ ظَهَرَ وأَنَا حَيٌّ لأَنْصُرَنَّه حتى أُعْذِرَ إلى الله[3].

ثم غَلَبَه أميةَ شيطانُهُ فَفَرَّ بابْنَتَيْهِ إلى اليمنِ هُرُوباً من دعوةِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم أَوْدَعَ ابنَتَيْه في اليمن وعادَ إلى الطائفَ فنَزَلَ في قَصرِ غَيْلاَن عندَ قومِه بني ثَقِيف[4].

---

(١) البداية والنهاية ٢/ ٢٨٢، وتاريخ دمشق ٩/ ٢٦٠.
(٢) البداية والنهاية ٢/ ٢٨٢.
(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٠.
(٤) الأغاني ٤/ ١٣٩.

قال أبو سفيان: ومَضَيتُ إلى اليمنِ فلم أَلْبَثْ إلا قَلِيلاً حتى جَاءَنِي هُنَالِكَ خبرُ إظْهَارِ محمدٍ لدعوتِهِ وتَكَاثُرِ الناسِ حَوْلَه، فأَقْبَلْتُ حتى نَزَلْتُ على أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ بالطائفِ فقلتُ: يا أبا عثمانَ قد كانَ مِنْ أمرِ الرجلِ ما قد بَلَغَكَ وسَمِعْتَه، فقال: قد كانَ والله، قلت: فماذا تقولُ يا أبا عثمان؟ فقال: أَمَا إنَّه حقٌّ فاتَّبِعْه، فقلتُ: وما يمنَعُكَ أنتَ من اتِّبَاعِه؟؟ قال: ما يمنعني إلا الحياءُ من نساءِ ثقيفٍ أنِّي كنتُ أُحَدِّثُهُنَّ أني أنا نَبِيُّ آخرِ الزمانِ ثم يَرَيْنَنِي تابعاً لغلامٍ من بني عبدِ مناف، والله ما كنتُ لأُومِنَ برسولٍ مِنْ غيرِ ثقيفٍ أبدًا، ثم قال أمية: كأني بكَ يا أبا سفيان قد خَالَفْتَه ثم قد رُبِطْتَ كما يُرْبَطُ الجَدْيُ حتى يُؤْتَى بكَ إليهِ فيَحْكُم فيك بما يريد(١).

وكان أميةُ قد خرجَ في سفرٍ فنزَلَ هو وأصحابُه منزلاً، فصعدَ أمية على كَثِيبٍ مرتفعٍ فظَهَرَت له كنيسةٌ فانتَهَى إليها، فإذا شيخٌ جالس، فقال الشيخُ لأميةَ حين رآه: إنك رجلٌ مُحَدَّث، فَمِنْ أين يأتيكَ الذي يحدِّثُكَ؟ قال: مِن شِقِّيَ الأيسر، قال: فأيُّ الثيابِ أَحَبُّ إليكَ أنْ يَلْقَاكَ فيها؟ قال: السَّوَاد، قال: كِدْتَ تُكُونُ نَبِيَّ العَرَبِ ولستَ بِهِ، إنَّ هذا الذي بك خاطرٌ من الجنِّ وليس بِمَلَك، وإنَّ نبيَّ العربِ صاحب هذا الأمر يأتيه من شقِّهِ الأيمن، وأحبُّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البَيَاض(٢).

وقد ذكر السُّهَيْلي في كتابه التعريفُ والإعلامُ أن أميةَ بنَ أبي الصلت أَوَّلُ مَن قالَ (باسمِكَ اللَّهُمَّ) وذَكَرَ في ذلك خبراً غريبا، وهو أنهم خَرجوا في جماعةٍ من قريش في سفرٍ فيهم حربُ بنُ أمية والد أبي سفيان، فمَروا في مسيرهم بِحَيَّةٍ فقتلوها، فلما أَمْسَوْا جاءَتهم امرأةٌ من الجانّ فقالت: ما مَنَعَكُم أن تُطْعِمُوا رَجِيمَةَ الجارية اليتيمَة التي جاءتكم

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٥.

(٢) الأغاني ٤،١٣٠، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٠١.

عَشِيَّة؟ قالوا: ومَن أنت؟ قالت: أنا أُمُّ العَوَام، تَأَيَّمْتُ[1] منذُ أعوام، فعَاتَبَتْهُم في قتل تلك الحية، وكان معها قضيبٌ مِن خشَبٍ فضَرَبَتْ به الأرضَ ضربةً وقالت: أمَا ورَبِّ العبادِ لَتَفْتَرِقُنَّ في البلاد، وضرَبَتْ بعصاها الأرضَ ثم قالت: بَطِّئِي إِيَابَهُم وَنَفِّرِي رِكَابَهم، فَوَثَبَتِ الإبلُ كأنَّ على ذِرْوَةِ كلِّ بعيرٍ منها شيطانا، فلم يملكوا منها شيئاً حتى افترقَتْ في الوادي، فلم يَزَالوا في طلَبِهَا حتى رَدُّوهَا بعد تَعَب، فلما اجتمعوا جَاءَتهم أيضاً فضَرَبَت الأرضَ بقضيبها فنَفَرَتِ الإبلُ مرةً أخرى، فذهبوا في طَلَبِها كلَّ مذهب، فلما أَعْيَاهُم ذلك قالوا لأمية: هل عندكَ لِمَا نحنُ فيه مِن مخرج؟ فقال: لا والله ولكن سأنظرُ في ذلك، فساروا في تلك المَحِلَّةِ لعلهم يجدونَ أحداً يسألونه عما قد حلَّ بهم من العَناء، فإذا نَارٌ تَلُوحُ على بُعْدٍ فجاءوها، فإذا شيخٌ على بابِ خيمةٍ يوقد نارا، وإذا هو من الجانّ في غاية الضَّآلَةِ والدَّمَامَة، فذهبَ إليه أميةُ فسَلَّمَ عليه، فسأله الرجلُ عما هم فيه فأخبرَه بخَبَرِ الحَيَّةِ والمرأة، فقال: هي امرأةٌ يهوديةٌ من الجنِّ هَلَكَ زوجُها منذ أعوام، وإنها لن تَزَال تَصْنَعُ ذلكَ بكم حتى تُهلِكَكُم إنِ اسْتَطَاعَت، فقال أمية: وما الحِيلة؟ فقال: اجمعوا إِبِلَكُم ورِحَالَكم ومتاعَكم في مكان واحدٍ فإذا جاءتكم فَفَعَلَتْ كما كانت تفعلُ فقولوا لها سبعَ مرات (باسمك اللهم) فلن تَضُرَّكُم، فرجعَ أميةُ إلى قومه، فلما أقبلت قالَ لها ما أَمَرَهُ به الشيخُ فلم تَضُرَّهم، فلما رأتِ الإبلَ لم تتحرك قالت: قد عَرَفْتُ صاحبَكم الذي سَعَى لكم في هذا الأمر، ولَيَبْيَضَّنَّ أَعْلَاهُ ولَيَسْوَدَّنَّ أَسْفَلُه، فأصبحَ أميةُ وقد أصابه برَصٌ في أَعْلَى جسَدِهِ وسَوَادٌ في أَسْفَلِه، ثم شَرَدَتْ المرأةُ ولم يَقرّ لها قَرَار، لكنِ اجْتَمَعَتِ الجِنُّ فَقَتَلَتْ حربَ بنَ أميةَ بتلكَ الحَيَّة، فَقَبَرَهُ أصحابُه هنالكَ حيث لا جارَ ولا دَار[2]، ففي ذلك يقول الجَانُّ:

---

(١) يعني: كان لها زوج فمات.

(٢) الأغاني ٤/ ١٣٤.

وقَبْرُ حَـــرْبٍ بِـمَـكَـانٍ قَـفْـرْ   ولـيـسَ قُـربَ قَبْرِ حَـرْبٍ قَبْرُ[١]

وذكرَ بعضُهم أنَّ أميةَ كانَ يَتَفَرَّسُ في بعض الأحيان في لغاتِ الحيوانات والطير، فكان يَمُرُّ في السفر على الطيرِ فيقول لأصحابه: إنَّ هذا يقولُ كذا وكذا، فيقولون: لا نَعْلَمُ صِدْقَ ما تقول ولا كَذِبُه، حتى مَرُّوا على قطيعِ غنمٍ قد انْفَرَدَتْ منه شاةٌ ومعها وَلَدُها، فالْتَفَتَتِ الشَّاةُ إلى وَلَدِها فَثَغَتْ كأنَّها تَسْتَحِثُّهُ لِيُسْرِعَ السير، فقال أمية: أتدرون ما تقولُ له؟ قالوا: لا، قال: إنها تقولُ أَسْرِع بِنا لا يَجِيءُ الذئبُ فيَأْكُلك كما أَكَلَ أخاكَ السنةَ الفائتة، فأَسْرَعَ أصحابُه فسألوا الراعي هل أَكَلَ له الذئبُ عام أول حَمَلاً بتلك البقعة فقال:نعم.[٢]

ومر يوماً على بعيرٍ عليه امرأةٌ راكبةٌ وهو يَرْفَعُ رأسَه إليها ويَرْغُو، فقال: إنه يقول لها إنك تَرْكَبِينِي وفي الرَّحْلِ مَخِيطٌ قد آلَمَنِي، فَأَنْزَلُوا تلك المرأةَ وحَلُّوا ذلك الرَّحْلَ فإذا فيه مَخِيطٌ كما قال[٣].

وأحياناً كانت تَنْتَابُ أميةَ أحوالٌ وتحدث معه أمورٌ غريبة، فبينما هو راقدٌ ذاتَ مَرَّةٍ ومعه ابنتان له إذْ فَزِعَتْ إحداهما فصاحت عليه، فقال لها: ما شأْنُكِ؟ قالت: رأيتُ نَسْرَيْن كَشَطَا سَقْفَ البيت فنَزَلَ أحدُهما إليك فَشَقَّ بَطْنَك، والآخر واقفٌ على ظَهْرِ البيت، فناداه الذي فوقَ البيت فقال: أَوَعَى؟ قال: نعم، قال: أَزَكَى؟ قال: لا، فقال أمية: ذَاكَ خيرٌ أُرِيدَ بأَبِيكُما فلم يَتِمّ.

---

(١) يذكر الجاحظ أن العرب لما رأت أن أحداً لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج قالوا إن ذلك من أشعار الجن وصدّقوا ذلك (البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٤٩).

(٢) البداية والنهاية ٢/ ٢٨٦.

(٣) االبداية والنهاية ٢/ ٢٨٦.

وقالت الفَارِعَةُ أختُ أميةَ بنِ أبي الصَّلْت - وكانت ذات عقلٍ وجَمَال-:كان أخي في سفرٍ فلما انْصَرَف جاءَ فَدَخَلَ عليَّ فَرَقَدَ علَى سَرِيرِي وأنا أَعْمَلُ في بَيتي، إذ أقْبَلَ طائران أَبْيَضان أو كالطيرين أبيضين، فوَقَعَ أحدُهما على سقفِ البيت ودخَلَ الآخرُ فوَقَعَ على أميةَ فَشَقَّ ما بين تَرْقُوَتِه إلى عَانَتِه، ثم أَدْخَلَ يدَه في جَوْفِهِ فأَخْرَجَ قلبَه فَوَضَعَه في كَفِّهِ ثم شَمَّه، فقال له الطائرُ الآخرُ:أَوَعَى؟ قال: وَعَى، قال: أَقَبِلَ؟ قال: أَبَى، قال: فَرَدَّ قَلْبَه في موضعه، فَنَهَضَ أميةُ فَأَتْبَعَهُما بِبَصَرِه فقال:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما هَا أَنَذا لَدَيْكُما

لا بريءٌ فاَعْتَذِرْ ولا ذو عَشِيرَةٍ فَأَنْتَصِرْ، فَرَجَعَ الطائرُ فَوَقَعَ على صَدْرِهِ فَشَقَّهُ ثم أَخْرَجَ قلبَه فَشَقَّه فقال الطائرُ الأَعْلَى: أَوَعَى؟ قال: وَعَى، قال: أَقَبِلَ؟ قال: أَبَى، ونَهَض فأَتْبَعَهُما بصرَه وقال:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما هَا أَنَذا لَدَيْكُما

لا مالَ يُغْنِينِي ولا عشيرة تَحْمِيني، فرجعَ الطائر فوقعَ على صدره فشَقَّهُ ثم أَخْرَج قلبَه فشَقَّهُ فقالَ الطائر الأعلى: أَوَعَى؟ قال: وَعَى، قال: أَقَبِلَ؟ قال:أَبَى، ونَهَض فأتبعهما بَصَرَه وقال:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما هَا أَنَذا لَدَيْكُما

محفوفٌ بالنعَمِ مَحُوطٌ بالرَّيْب، فرجعَ الطائر فوقعَ على صدره فشَقَّه وأخرجَ قلبه فشقه فقال الأعلى: أَوَعَى؟ فقال: وَعَى، قال: أَقَبِلَ؟ قال:أَبَى، فنهضَ فأتبعهما بصرَه وقال:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما هَا أَنَذا لَدَيْكُما

قالت:ثم انْطَبَقَ السقفُ والْتَأَمَ الجرحُ أسرع من طرفة عين، ثم ذهبا، وجلسَ أمية يَمْسَحُ صدرَه فقلت: يا أخي هل تَجِدَ شيئا؟؟ قال: لا ولكني أَجِدُ حَراً في صدري،- وقد كنت ارْتَعَبْتُ مما رأيت - فقال: مَالي أراكِ مُرْتَاعَة؟ قالت: فأَخْبَرْتُه الخبر، فقال: خيرٌ أُرِيدَ بِي ثم صُرِفَ عني[1]، ثم أنشأ يقول:

ليتني كنتُ قبلَ ما قد بَدا لي ... في قِنَانِ الجبالِ أَرْعَى الوُعُولاَ

إجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عَيْنِكَ واحْذَرْ ... غَوْلَةَ الدَّهْرِ إنّ لِلدَّهْرِ غُولاَ[2]

ثم انشأ يقول:

بَاتَتْ هُمُومِيَ تَسْرِي طَوَارِقُهَا ... أَكُفُّ عَيْنِي وَالدَّمْعُ سابقُهَا

ما أَتَانِي مِنَ الْيَقِينِ وَلَمْ ... أُوتَ بِرَاةً يَقُصُّ ناطِقُها

أَمْ مَنْ تَلَظَّى عليهِ وَاقِدَةُ النَّـ ... ـارِ مُحِيطٌ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

أَمْ أَسْكُنُ الجُنَّةَ الَّتِي وُعِدَ الـ ... أبـرارُ مَصْفُوفَةٌ نَمارِقُهَا

لَا يَسْتَوِي الْمُنْزِلَانِ ثَمَّ وَلَا الـ ... أعمالُ لَا تَسْتَوِي طَرَائِقُهَا

هُمَا فَرِيقَانِ فِرْقَةٌ تَدْخُلُ الجنـ ... ـنةَ حَفَّتْ بِهِمْ حَدَائِقُهَا

وَفِرْقَةٌ مِنْهُمُ قَدْ أُدْخِلَتِ الـ ... ـنارَ فَسَاءَتْهُمْ مَرَافِقُهَا

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ ... يوماً على غِرَّةٍ يُوَافِقُهَا[3]

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١/ ١٣١.

(٢) الإصابة لابن حجر ٨/ ٥٠.

(٣) أسد الغابة ٧/ ٢١٢.

قالت: ثم انصرَف إلى رَحْلِهِ فلم يَلْبَثْ إلا يسيراً حتى وجدتُه مغشياً عليه، فدنوتُ منه فشهقَ شهقةً وشَقَّ بصره ونظرَ نحو السقف، ثم أُغْمِي عليه، ثم أفاق فشهق شهقةً فقلت: قد هَلَكَ الرجلُ، فشَقَّ بصرُه نحو السقف ثم أغمي عليه، ثم أفاق فشهق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف فقال:

كُلُّ عَيْشٍ وإنْ تَطَاوَلَ دَهْرا ... صَائِرٌ مَرَّةً إلى أنْ يَزُولَا

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها: «يا فَارِعَةُ إنَّ مَثَلَ أخِيكِ كمثلِ الذي آتاهُ اللهُ آياتِه فانْسَلَخَ منها»[1].

وقد وَرَدَ في أمية بن أبي الصلت أحاديثُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها ما ورد عن عمرو بن الشَّرِيد عن أبيه قال: أَرْدَفَنِي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «هل معكَ من شعرِ أميةَ بن أبي الصلت» قلت:نعم، فأنشدته بيتاً فقال: «هِيه» - يعني زِدْ- حتى أنشدتُه مائةَ بيتٍ فقال: «إنْ كَادَ لَيُسْلِم»[2].

وورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «آمَنَ شِعْرُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِى الصَّلْتِ وكَفَرَ قلبُه»[3]، وقال أبو بكر الهذلي: قلت لعكرمة: ما رأيت من يبلغنا عن النبي أنه قال لأمية «آمَنَ شِعْرُه وكَفَر قلبُه» فقال: هو حق، وما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلت له: أنكرنا قوله:

والشمسُ تطلعُ كلَّ آخرِ ليْلَةٍ ... حمراءَ مَطْلعُ لونِها مُتَورِّدُ

تَأْبَى فلا تَبْدُو لنَا في رِسْلِها ... إلاّ مُعَذَّبةً وإلاَّ تُجْلَدُ

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١/ ١٣٣، والبداية والنهاية ٢/ ٢٨٥.

(٢) صحيح مسلم ١١/ ٣٣ رقم ٤١٨٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٩/ ٢٧٢، وقال المناوي: إسناده ضعيف.

فما شأن الشمس تَجْلَدُ؟ قال: والذي نفسي بيدِه ما طَلَعَتْ قَطُّ حتى يَنْخَسَها سبعون ألف ملك يقولون لها (اطلعي) فتقول: أأطلُعُ على قومٍ يعبدونني من دون الله؟ قال: فيأتيها شيطانٌ حين تَسْتَقْبِلُ الضياءَ يريدُ أن يصدَّها عن الطلوع، فتطلعُ على قَرْنَيْهِ فَيُحْرِقُه الله تحتَها، وما غَرَبَتْ قط إلا خَرَّت لله ساجدةً، فيأتيها شيطان يريد أن يصدَّها عن السجود، فتغرُبُ على قرنيه فيُحْرِقُه الله تحتها، وذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تطلعُ بين قَرْنَي شيطانٍ وتغربُ بين قَرْنَي شيطان[1]».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «رَخَّصَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شعر الجاهليةِ إلا قصيدةَ أميةَ بنِ أبي الصلت في أَهْلِ بَدْر[2]، وقصيدة الأعشى في ذكر عامرٍ وعَلْقَمَة»[3].

وبينما أميةُ بنُ أبي الصلت بين قومه وهو يشرب يوماً إذ نَعَقَ غراب، فقال له أمية:

---

(١) صحيح البخاري ١١/ ٥٢ رقم ٣٠٣٢.

(٢) يقصد قصيدته التي رثى بها قتلى بدر من المشركين، والتي يقول فيها:

مَاذَا بِبَدْرٍ وَالْعَقَنْ ... قَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ
شُمْطٍ وَشُبَّانٍ بَهَا ... لِيلِ مَغَاوِيرٍ وَحَاوِحْ
أَلَا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى ... وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحْ
أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكَّـ ... ـةَ فَهْيَ مُوحِشَةُ الْأَبَاطِحْ
مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبِطْـ ... ـرِيقٍ نَقِيِّ الْوُدِّ وَاضِحْ

(البداية والنهاية ٣/ ٤١٣).

(٣) ذكر الهندي في كنز العمال أن سبب نهي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رواية هذه القصيدة أن النبي قال لحسان: «يا حسان إني ذُكِرْتُ عند قيصر، وعنده أبو سفيان بن حرب وعلقمة بن عُلَاثة، فأما أبو سفيان فتناول مني، وأما علقمة فحَسَّنَ القول» (كنز العمال ٣/ ٧٢٩ رقم ٨٦٢١) وهو يقصد قصيدة الأعشى التي ناصر فيها عامرَ بنَ الطفيل على علقمة بن عُلاثة وهجَى علقمة، والتي يقول فيها:

سُدْتَ بني الأحوصِ لمْ تَعْدُهُم ... وعامرٌ سادَ بني عامرِ
سَادَ وَأَلْفَى قَوْمَهُ سَادَةً ... وكَابِراً سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

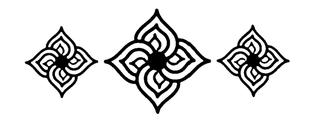
(ديوان الأعشى ص٢٦) والحديث أخرجه الدارمي في سننه ١٠/ ٤٤٧ رقم ٦٠٥٩، وقال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف.

بِفِيكَ الترابُ مرتين، فقيل له: ما يقول؟ فقال: إنه يقولُ لي: إنَّكَ تشربُ هذا الكأس الذي في يدِك ثم تموت، ثم نَعَقَ الغرابُ ثانيةً فقال: إنه يقول وَآيَةُ ذلك أَنِّي -أي الغراب- أَنْزِلُ على هذه المَزْبَلَةِ فآكُل منها فَيَعْلَقُ عَظْمٌ في حَلْقِي فأموت، ثم نزلَ الغرابُ على تلك المزبلة فَأَكَلَ شيئاً فَعَلِقَ في حلقِه عظمٌ فمات، فوَضَعَ أميةُ الكأسَ من يدِه وتَغَيَّرَ لونُه، فقال له أصحابه: ما أكثرَ ما سمعنا بمثلِ هذا وكان باطلًا، وأَلَحُّوا عليه أن يشربَ، فقال أمية: أَمَّا هذا الغرابُ فقد صَدَقَ في نَفْسِه، ولكن سَأنظرُ هل صَدَقَ فيَّ أم لا، ثم شربَ ذلك الكأس الذي في يده، فأُغْمِيَ عليه، ثم اتَّكَأَ فمَرِضَ مرضَه الذي مات فيه وجعل يقول: قد دَنَا أَجَلِي، وهذه المَرْضَةُ مَنِيَّتِي، وأنا أَعْلَمُ أن الحَنِيفِيَّةَ حقٌّ، ولكنَّ الشَّكَّ يداخِلُنِي في محمد، ثم أقبلَ على القوم فقال: قد جاءَ وَقْتِي فكُونوا في أُهْبَتِي، وحَدَّثَهُم قليلاً حتى ظنَّ القومُ أَنَّهُ قد بَرِئَ مِن مرضه، وأنشأ يقول:

اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيكَ واحْـ ـذَر غَولَةَ الدّهر إنّ لِلدَّهْرِ غُولا

ثم قضى نحبَه ولم يُؤْمِن بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1].

والأقربُ إلى الحقِّ في شأن أمية أنْ يُقَالَ إنه لم يَدَّعِ النبوة، وإنما كان يطمع في النبوة، وكان يَتَوَقَّعُ أن يكون هو نبيُّ آخر الزمان، فلما عَلِمَ أنه ليسَ بذلك كَفَرَ حسداً وبَغْيا.



(١) البداية والنهاية ٢/ ٢٨٧.

مُسَيْلِمَةُ بنُ حَبِيبٍ الحَنَفِيُّ (الكَذَّابُ) (ت سنة ١٢هـ)

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَاذِبَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي يُقَالُ لأَحَدِهِمَا مُسَيْلِمَةُ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ وَالْعَنْسِيُّ صَاحِبُ صَنْعَاءَ»[١].

لما بدأ بَدْرُ الإسلامِ بالاكتمال في ربوعِ الجزيرة العربيةِ بعدَ غزوةِ تَبُوك بدأتْ وفودُ القبائل من السنةِ التاسعة للهجرة في القدومِ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإعلانِ الإسلامِ والمبايَعَةِ، فجاءَ وفدُ عبدِ القَيْسِ ووفدُ تميمٍ ووفد الحِمْيَرِيِّين وطيءٍ وبني عامر، وغيرُهم، وفي السنة نفسها - وقيل بل في سنة ١٠ من الهجرة- قَدِمَ وفدُ بني حَنِيفَةَ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيهم مُسَيْلِمَة بنُ حبيب، فنزلوا في دارِ ابنةِ الحارِث، وهي امرأةٌ من الأنصارِ من بني النَّجَّار[٢].

وجاء الوفدُ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخَلَّفُوا مسيلمةَ في رِحَالِهم، فلمَّا أسلموا ذكروا للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانَ مسيلمة وقالوا: يا رسولَ الله إنا قد خَلَّفْنَا صاحباً لنا في رِحَالنا ورِكَابِنَا يحفظهما لنا، فأمرَ له رسولُ الله بمثل ما أمَرَ به للقومِ من الطعامِ والمِيرَة، وقال: «أمَا إنَّهُ ليسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانا، يحفظُ ضيعةَ أصحابِه»[٣] ثم انصرفوا عن رسول الله

(١) صحيح البخاري٦/ ٢٥٨٠ رقم ٦٦٣٠.
(٢) المغازي للواقدي ١/ ٢٠٣، والطبري ٢/ ١٩٩.
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٤/ ٩٦.

وجاءُوا مسيلمةَ بما أعطاه رسولُ الله، ويذكرُ ابنُ كثير أن بني حنيفة أَتَتْ بمسيلمةَ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتُرُهُ بالثيابِ ورسولُ الله جالسٌ في أصحابِهِ ومعه عَسِيبُ من سَعَفِ النَّخْلِ في رَأْسِه خُوصَاتٌ، فجعلَ مسيلمةُ يقول: إنْ جَعَلَ لي محمدٌ الأمرَ مِنْ بَعْدِه اتَّبَعْتُه[1]، فلما انتهى مسيلمةُ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم يسترونَهُ بالثياب كلَّمَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع النبي ثابت بنُ قيس، فقال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رسولُ الله؟ فقال له رسولُ الله[2]: «آمنتُ باللهِ ورُسُلِهِ، إنَّ هذا الرجلَ أُخِّرَ لِهَلَكَةِ قَوْمِه[3]» ثم قال له: «لو سَأَلْتَنِي هذا العَسِيبَ الذي في يَدِي ما أَعْطَيْتُكَ، ولنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فيك، ولَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ الله، وإني لأَرَاكَ الذي رأيتُ فيه ما أُرِيتُ، وهذا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عني» ثم انصرفَ عنه[4].

فلما عاد الوفدُ إلى اليَمَامَةِ ارْتَدَّ مسيلمةُ عدوُّ الله وتَنَبَّأَ وتَكَذَّبَ لهم وقال إني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معه، وقال لِوَفْدِه: ألم يَقُلْ لكم رسولُ الله حيث ذكرتموني (أما إنه ليس بِشَرِّكُم مَكَانا) وما ذلك إلا لِمَا كان يعلمُ أَنِّي قد أُشْرِكْتُ معه[5].

ثم جعل يَسْجَعُ السَّجَعَاتِ ويقول لهم فيما يقولُ مضاهاةً للقرآن (لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ على الحُبْلَى، فَأَخْرَجَ منها نَسَمَةً تَسْعَى، مِن بَيْنِ صِفَاقٍ وحَشَى) وَوَضَعَ عنهم الصلاةَ وأَحَلَّ

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٥٩.

(٢) لما أَكْثَرَ الناسُ في مسيلمة قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطيباً فقال: أمَّا بعد فقد أكثرتم في شأن هذا الرجل، وإنه كذابٌ من ثلاثين كذاباً يخرجون قبل الدجال، وإنه ليس من بلدةٍ إلا يَبْلُغُها رُعْبُ المسيحِ إلا المدينة، على كل نقبٍ من نِقَابِها مَلَكَان يَذُبَّان عنها رعبَ المسيح (أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٨٤ رقم٨٦٢٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين)

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٥ رقم٤٣٧٩ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٤) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص٨٣.

(٥) الطبري ٢/ ٢٠٠، والسيرة الحلبية ٣/ ٢٥٥.

لهم الخمرَ والزنا ونحوَ ذلك، فَتَبِعَتْهُ بنو حنيفة على ذلك[1]، فكانَ يَتَلاعَب بعقولِهم فَيُدْخِلُ البيضةَ في القَارورة، وهو أولُ مَن فَعَلَ ذلك، وكان يَقُصُّ جَنَاحَ الطيرِ ثم يَصِلُه، ويَدَّعِي أنَّ ظَبْيَةً تَأْتِيهِ مِنَ الجبلِ يُرْسِلُهَا إليه الله فَيَحْلِب منها[2].

ثم كتب مسيلمةُ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَّعِي أنه أُشْرِكَ معه في النبوة، حيث كتب يقول: «من مسيلمةَ رسولِ الله إلى محمدٍ رسولِ الله، سلامٌ عليك، فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمرِ مَعَكَ، وإنَّ لنا نِصْفَ الأرضِ ولقريشٍ نصفَ الأرض، ولكنَّ قُرَيْشاً قومٌ يَعْتَدُون»[3] وأَرْسَلَ الكتابَ مع رسولين، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهما حينَ قرأ كتابَ مسيلمة: «فَمَا تقُولَان أَنْتُمَا»؟ قالا: نقولُ كما قال، فقال: «أَمَا واللهِ لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَل لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا» ثم كتب إلى مسيلمة «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ رسولِ الله إلى مسيلمةَ الكذاب، سلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أما بعد، فإنَّ الأرضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشاءُ مِنْ عبادِهِ والعاقِبَةُ للمتقين» وكان ذلك في آخرِ السنة العاشرة[4]، ثم توفي النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الوقتِ نفسِه ادَّعَتِ امرأةٌ من بَنِي تميمٍ النبوةَ، وهي سَجَاحُ بنتُ الحارث التميمية، وسيأتي تَفْصِيلُ خبرِها، ولكننا نذكُرُ طَرَفاً من خبرِها الآن لِتَعَلُّقِ ذلكِ الخبرِ بمسيلمة الكذاب، حيث خَرَجَت في جنودِ الجزيرة حتى بَلَغَتْ موضعاً قريباً من اليمامة يسمى النِّبَاج، فَجَرَتْ بينها وبين قبائلِ تلكَ الناحيةِ مُنَاوشاتٌ وحروبٌ انْتَهَتْ بالمُهَادَنة، واجتمع إليها رؤساءُ أهلِ الجزيرةِ وقالوا لها: ما تأمرينا؟ فقالت: عليكم باليمامَة، فقالوا: إنَّ شَوْكَةَ أَهْلِ اليَمَامَةِ شديدةٌ وقد غَلُظَ أَمْرُ مسيلِمة، فَقَرَأَتْ علهم شيئاً من قُرْآنِها تَحُضُّهُم به فقالت:

---

(١) الطبري ٢/ ١٩٩ و٢٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧٦، والبداية والنهاية ٥/ ٦١.

(٣) الروض الأنف للسهيلي ٤/ ٣٧٨.

(٤) الطبري ٢/ ٢٥٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ١٥٥.

«عَليكُم باليمامة، ودُفُّوا دَفِيفَ الحَمَامَة، فإنها غَزْوَةٌ صَرَّامَة، لا يَلْحَقُكُم بعدَها مَلامَة»[1] فتوجهوا إلى اليمامة فبلغ ذلكَ مسيلمةَ فَخَافَها وخَافَ إنْ هُوَ شُغِلَ بها أنْ يغلِبَه قادةُ المسلمين الذين يناوِشُونه بين الحين والحين، وهُمْ ثُمَامَةُ بنُ أُثَالٍ وشرَحْبِيلُ بنُ حَسَنة أو القبائلُ التي حولهم، فَأَهْدَى لها ثم أَرْسَلَ إليها يَسْتَأْمِنُهَا على نفسِه حتى يأتِيَها، فَعَسْكَرَتْ بجنودِها وأَذِنَتْ له وأَمَّنَتْه، فجاءَها وَافِداً في أربعينَ من بني حَنِيفَة، وكانت رَاسِخَةً في النَّصْرَانيةِ قد عَلِمَتْ مِن عِلْمِ نَصارَى تَغْلِب، وقيل إنها لَمَّا نَزَلَتْ به أَغْلَقَ الحصنَ دونَها، فقالت له سَجَاح: انْزِلْ، قال: فَنَحِّي عَنْكِ أصحابَكِ، فَفَعَلَتْ، فقال مسيلمة: اضْرِبُوا لها قُبَّةً وجَمِّرُوها لعلها تَذْكُرُ الجِمَاعَ، ففعلوا، فلما دخلت القبةَ نزل مسيلمةُ فقال لأصحابه:لِيَقِفْ هاهُنَا عشرةٌ وهاهنا عشرةٌ، ثم دَارَسَهَا فقال: ما أُوْحِيَ إليكِ؟فقالت: هل تكون النساءُ يَبْتَدِئْنَ؟! ولكنْ أنتَ قُل ما أُوْحِيَ إليكَ، فقال مسيلمة: «ألم تَرَ إلى ربِّكِ كيفَ فعَلَ بالحُبْلَى، أَخْرَجَ منها نسمةً تسعى، من بين صِفَاقٍ وحَشَى» قالت: وماذا أيضاً؟ قال: أُوْحِيَ إليَّ «أنَّ اللهَ خَلَقَ للنساءِ أَفْرَاجا، وجَعَلَ الرجالَ لهنَّ أزواجا، فَنُولِجُ فيهِنَّ قُعْساً[2] إيلَاجا، ثم نُخْرِجُها إذا نشاءُ إخراجا، فَيُنْتِجْنَ لنا سِخالًا إنْتَاجَا» ثم قال لها:لقد كانَ لنا نصفُ الأرض وكان لقريش نصفُها لو عَدَلَتْ، وقد رَدَّ الله عليكِ النصفَ الذي كان لقريشٍ فحَبَاكِ بِه، فقالت: «لا يَرُدّ النصفَ إلا مَن حَنَفْ، فاحْمِلِ النصفَ إلى خيلٍ تَرَاها كالسَّهفْ[3]» فقال مسيلمة: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ سَمِعْ، وأَطْمَعَهُ بِالخيرِ إذ طَمِع، ولا زَالَ أَمْرُهُ في كلِّ ما سَرَّ نَفْسَهُ يَجْتَمِع، رَآكُمُ ربُّكُم فَحَيَّاكُم، ومِنْ وَحْشَةٍ خَلَّاكم، ويومَ دِينِهِ أَنْجَاكُم فَأَحْيَاكُم، معشرٌ أبرارٌ لا أشقياءَ ولا فجارٌ، يقومونَ الليل ويصومون

---

(١) الكامل لابن الأثير ١/ ٣٧٠.

(٢) القَعَسُ: الاستقامة (ينظر: العين للخليل بن أحمد ١/ ١٣٠) ويريد: القضيب المنتصب.

(٣) السَّهَف: الاضطراب والتخبط (ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٨٠).

النهار، لِرَبِّكم الكُبَّار[1]، ربِّ الغيوم والأمطار» وقال أيضاً: «لما رأيتُ وجوهَهم حَسُنَت، وأبشارُهم صَفَتْ، وأيديهم طَفُلَتْ، قلتُ لهم لا النساءَ تأتون، ولا الخمرَ تَشْرَبُون، ولكنكم مَعْشَر أبرارٍ تصومون، فسبحانَ اللهِ إذا جاءت الحياةُ كيفَ تَحْيَوْن، وإلى مَلِكِ السماءِ تَرْقَون، فلو أنها حبةُ خرْدَلَةٍ لقَامَ عليها شهيدٌ يعلم ما في الصدور، ولَأَكْثَرَ الناسُ فيها الثُّبُور»، قالت: أَشْهَدُ أَنَّكَ نبي، قال: هل لَكِ أنْ أَتزَوَّجَكِ فَآكُل بقومي وقومِكِ العربَ؟؟ قالت: نعم[2]، ثم دعاها مسيلمةُ إلى الزواج قائلا:

ألَا قُومِي إلى البيتِ ... فَقَدْ هُيِّئ لكِ المَضْجِعْ
وإنْ شئتِ ففي البيتِ ... وإنْ شئتِ ففي المخْدعْ
وإنْ شئتِ سَلَقْنَاكِ ... وإنْ شئتِ على أَرْبَعْ
وإنْ شئتِ بِثُلُثَيْهِ ... وإنْ شئتِ به أَجْمَعْ[3]

قالت: بل به أَجْمَع، قال: بذلك أُوْحِيَ إليَّ، فأقامَتْ عنده ثلاثاً ثم انصرَفت إلى قومها، فقالوا: ما عندَكِ؟؟ قالت كان على الحقِّ فاتَّبَعْتُه فتزَوَّجْتُه، قالوا: فهل أَصْدَقَكِ شيئاً؟ قالت: لا، قالوا: ارْجِعِي إليه فَقَبِيحٌ بِمِثْلِكِ أن تَرْجِعَ بغير صداق، فرَجَعَتْ فلما رآها مسيلمةُ أَغْلَقَ الحصنَ وقالَ: مالَكِ؟ قالت: أَصْدِقْنِي صَدَاقا، قال: مَنْ مُؤَذِّنُكِ قالت: شَبَثُ بنُ رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِي، قال: عَلَيَّ به، فجاءَ فقال: نادِ في أصحابِكَ أنَّ مسيلمةَ بنَ حبيبٍ رسولَ الله قد وَضَعَ عَنْكُمْ صلاتَين مما أَتَاكُم به محمد، صلاةَ العشاء الآخرةِ وصلاةَ الفجر، فكان شيوخُ تميمٍ ممن اتَّبَعُوها كالزِّبْرِقَان بنِ بدرٍ وعُطَارِدِ بنِ حَاجبٍ ونُظَرَاؤُهُم

(١) الكبار: العظيم جدا (ينظر: أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ٤/ ٣١٦).
(٢) الطبري ٢/ ٢٧٠.
(٣) الكامل ١/ ٣٧٠، وتاريخ أبي الفداء ١/ ٢٤١.

لا يصلون هاتين الصلاتين، ومع ذلك يقولُ عطارد بن حاجبٍ ساخراً من سَجَاح - وكأنه يَسْخرُ من نفسِه أيضاً -:

أَمْسَتْ نَبِيَّتُنَا أُنْثَى نَطِيفُ بها وَأَصْبَحَتْ أنبياءُ الناسِ ذُكْرَانا[1]

وقد كان مسيلمةُ لَعَنَهُ الله قد شَرَعَ لِمَن اتَّبَعَه أنَّ الأعْزَبَ يتزوجُ فإذا وُلِدَ له ذكرٌ فَيَحْرُمُ عليه النساءُ حينئذ، إلا أن يموت ذلك الولدُ الذكر، فَتَحِلُّ له النساءُ حتى يُوْلَدَ له ذكر، هذا مما أَقْتَرَحَه لعنهُ الله من تِلْقَاءِ نفسِه[2].

وكان مسيلمةُ قد اتَّفَقَ معها على أنْ يَحْمِلَ إليها النِّصْفَ مِن غَلَّاتِ اليَمامة، فأَبَتْ إلَّا أنْ تحصلَ على نصفِ غلاتِ السنةِ الماضيةِ أولا، فَوَافَقَ على تَعْجِيلِ نصفِ غلاتِ هذه السنة على أنْ تَتْرُكَ مِن رجالها من يجمع بقيةَ الغلات، فحَمَل إليها النصفَ فاحْتَمَلَتْهُ وانصرَفَت به إلى الجزيرة وخَلَّفَت رجلين من أتباعها، أحدهما يدعى الهُذَيْل والآخر زِيَاداً لِيُنْجِزَا النصفَ الباقي[3].

فلما سمعَ أبو بكر الصديق باستفحالِ أمرِ مسيلمةَ باليمامَةِ أَرْسَلَ عِكْرِمَةَ بنَ أبي جهلٍ لِيُصَادِمَه، ثم أَتْبَعَهُ بجيشٍ عليه شرَحْبِيلُ بنُ حَسَنة، فَتَعَجَّلَ عكرمةُ طمعاً في الأجْرِ فَصَادَمَ مسيلمةَ الذي التَفَّ حولَه أضعافُ جيش عكرمة، فانهزم عكرمةُ ومَن معه، فلما سمعَ شرحبيلُ بنُ حسنة بذلك وقفَ في الطريق مُعَسْكِراً بجيشِه ينتظر أمرَ الخليفة، وكتبَ عكرمةُ إلى أبي بكر بالذي كانَ مِنْ أَمْرِه، فكتب إليه أبو بكر: «يابنَ أُمِّ عِكْرِمَة لا أَرَيَنَّكَ ولا تَراني على هذِه الحال، لا تَرْجِعْ فَتُوْهِن الناسَ، امْضِ على وَجْهِكَ حتى

(١) أسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٢٧١، والمعارف لابن قتيبة ص١٥٢.
(٢) الطبري ٢/ ٢٧١.
(٣) الطبري ٢/ ٢٧١.

تُسَانِدَ حُذَيفةَ وعَرْفَجَةَ فقَاتِلْ معهما أهلَ عُمَان ومَهْرَة، وإنْ استَتَبَّ الأمرُ فامضِ أنت فَسِرْ وَسَيِّرْ جُنْدَكَ تَسْتَبْرِئُونَ مَن مَرَرْتُم به حتى تَلْتَقوا أنتم والمُهَاجِرُ بنُ أبي أمية باليمن وحَضْرَمَوْت»[1] وكتبَ إلى شرحبيل يأمرُه بالمقام حتى يأتيه أمرُه، ثم كتبَ إليه قبل أن يُوجِّهَ خالداً بأيامٍ إلى اليمامة: «إذا قَدِمَ عليكَ خالد ثم فَرَغْتُم إن شاءَ الله فالحَقْ بِقُضَاعَةَ حتى تكونَ أنت وعمرو بن العاص علَى مَن أَبَى مِنْهُم وخَالَف»[2].

فلما قَدِمَ خالدٌ على أبي بكر من البِطَاحِ[3] رضيَ أبو بكر عن خالدٍ وسَمِعَ عُذْرَه وقَبِلَ منه وصَدَّقَه ورضي عنه وَوَجَّهَه إلى مسيلمة، وحَرَّضَ الناسَ على الخروج معه، وعلى الأنصارِ ثابتُ بن قيسٍ والبَرَاءُ بنُ عَازِبٍ، وعلى المهاجرين أبو حذيفةَ وزيدُ بنُ الخطاب، وعلى القبائلِ على كلِّ قبيلةٍ رجلٌ، وتَعَجَّلَ خالدٌ فذَهَب إلى جيشِهِ المُعَسْكِرِ بالبِطَاحِ، وانْتَظَرَ هُنَاك أنْ يَأْتِيَه الجيشُ الذي سَيَّرَهُ أبو بكر من المدينة، فلما قَدِمَ عليه الجيشُ نَهَضَ مُسْرِعاً حتى أَتَى اليمامة، وبنو حنيفةَ يومئذٍ كثيرٌ عدَدُهُم[4].

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢/ ٥٥، والطبري ٢/ ٢٧٥.

(٢) الكامل ١/ ٣٦٧، ونهاية الأرب ١٩ / ٣٩.

(٣) لما ذهب خالد إلى البطاح وعليها مالك بن نُوَيْرَة ليقاتله ويقاتل من معه من المرتدين بث السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكاة، إلا ما كان مالك بن نويرة فظل متحيراً في أمره في ناحية من الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا، واستدعى خالد مالك بن نويرة فأنّبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يزعم ذلك، فقال خالد: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضِرَارُ اضرب عنقه، فضُرِبت عنقه، وبات بقية الأسرى في قيودهم في ليلة شديدة البرد، فبعث خالد منادياً ينادي: أن أَدْفِئُوا أَسْرَاكُم، فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا في ذلك فشكاه أبو قتادة إلى الصديق، وتكلم عمر مع أبي قتادة في خالد، فلما جاء خالد إلى أبي بكر اعتذر وحكى ما جرى فقبل عذره وأرسله إلى مسيلمة الكذاب (تاريخ دمشق١٦/ ٢٥٧).

(٤) الطبري ٢/ ٢٥٧، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٧٤.



ويَذْكُرُ المؤرخون أنَّ عَدَدَ بني حنيفة يومئذٍ كانَ أربعينَ ألفِ مقاتل في القُرَى والحصون، فسارَ خالدٌ حتى إذا قَارَبَ اليمامةَ تَعَجَّلَ شرَحْبِيلُ بن حسنة بمن معه من الجيش وفعلَ مثلَ الذي فعلَه عِكْرِمَةُ، حيثُ نَهَضَ لِمُصَادَمَةِ مسيلمةَ قبلَ قدوم خالد، فهُزِم، فجعلَ يُدَافِعُ عن مكانه ويتأخر رُوَيْداً رُوَيداً، فلما قَدِمَ عليه خالدٌ لَامَهُ وأَنَّبَه[1].

وتَوالَتِ الأخبارُ إلى أبي بَكْرٍ بقوة شوكةِ أهلِ اليمامة، فجعلَ يُرْسِلُ البعثَ يتلوه البَعْثَ ليكونوا ظهيراً لخالدٍ خوفاً من أن يأتِيَه أحدٌ مِن خَلْفِه.

وكان مسيلمةُ يُصَانِعُ كلَّ أَحَدٍ ويَتَأَلَّفُه ولا يُبَالِي أنْ يَطَّلِعَ الناسُ منه على قَبيح، وكانَ معه الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَة، وكان الرَّجَّالُ هذا قد هاجَرَ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقرأَ القرآنَ وفَقِهَ في الدين، فَبَعَثَه النبيُّ مُعَلِّماً لأهلِ اليمامة ولِيُبْطِلَ حجَجَ مسيلمة ولِيَشُدَّ مِن أمرِ المسلمين هُنَاك[2]، وقد كان أبو بكر بعدَ وفاةِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إلى الرَّجَّال فَأَتَاهُ فَأَوْصَاهُ بوصيته ثم أرسله إلى أهل اليمامة وهو يَرَى أَنَّهُ على الصِّدْقِ حين أَجَابَه[3]،قال أبو هريرة: جلستُ مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رَهْطٍ ومَعَنَا الرَّجَّالُ بنُ عُنْفُوَة فقال: «إنَّ فِيكُم لَرَجُلاً ضِرْسُهُ في النارِ أَعْظَمُ مِن أُحُدٍ»[4] ومَرَّتِ السُّنُونُ وماتَ كلُّ مَن كان جالساً حين قال النبي ذلك وبَقِيتُ أنا والرَّجَّال فكنتُ مُتَخَوِّفاً أنْ أكون أنا، حتى خَرجَ الرجالُ مع مسيلمة فشَهِدَ له بالنبوة، فكان الرَّجَّالُ أَعْظَمَ فتنةً على بني حنيفة مِن مسيلمة، حَيثُ شَهِدَ لمسيلمةَ أنه سمعَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ إنه قد أُشْرِكَ معه، فَصَدَّقَتْهُ بنو حنيفةَ واستجابوا له[5].

---

(١) ابن خلدون ٢/ ٧٤، والكامل ١/ ٣٧٣.
(٢) المؤتلف والمختلف للدارقطني ٣/ ١٨١، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي ٤/ ٨٤.
(٣) الطبري ٢/ ١٥٧.
(٤) أخرجه الحميدي في مسنده ج ٢/ ٤٩٦ رقم ١١٧٧.
(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ١٦٤.

قال رافع بن خَدِيج: كان بالرَّجَّالِ من الخشوع ولزومِ قراءة القرآن والخير فيما نرى شيءٌ عجيب، وذات مرةٍ خرج علينا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو معنا جالسٌ مع نفرٍ من أصحابنا، فقال: «أَحَدُ هؤلاء النفرِ في النار» قال رافع: فنظرتُ في القوم فإذا هم أبو هريرة وأبو أَرْوَى الدَّوْسِي وطُفَيْلُ بن عمرو الدوسي والرجالُ بن عُنْفُوَة، فجَعَلْتُ أنظرُ وأَعْجَبُ وأقول: مَن هذا الشقي؟ فلما توفي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ارتدَّتْ بنو حنيفة، فسألتُ: ما فَعَلَ الرجال؟؟ قالوا: افْتُتِنَ وارتدَّ وشهد لمسيلمة أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَشْرَكَهُ في الأمر مِن بعده، وروي عن الرجال أنه كان يقول: كَبْشَان انْتَطَحَا (يقصد مسيلمة والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) فَأَحَبُّهما إلينا كَبْشُنَا[1].

واجتمعت بنو حنيفة حولَ مسيلمة وأَمَرُوه أن يرسلَ إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأنه مشتركٌ معه في النبوة، ووعدوه إنْ لم يقبلِ النبيُّ بذلك أن يعينوه عليه، فكان الرَّجَّالُ بن عنفوة لا يقول شيئاً إلا وافقه عليه مسيلمة، وكان يَأْتَمِرُ بأمرِه أَنَّى أمَر، وكان الذي يؤذن لمسيلمة عبدُ الله بنُ النَّوَّاحَة، وكان الذي يقيم له حُجَيْرُ بن عُمَير[2].

واتخذ مسيلمة لنفسه حَرَماً تَشَبُّهاً بمكة المكرمة، ونهى الناسَ عنه وجعله مُحَرَّماً عليهم، فكانت القبائلُ التي صَدَّقَتْه يُغِيرُ بعضُهم على بعض فإذا خافوا أن يُدْرَكُوا دخلوا الحرم، فلما كَثُرَ ذلك واشتكى الناس أنَّ هذا الحرمَ أَضْحَى مَلاذاً للمُغِيرين واللصوص خاصةً من بني أُسَيْد قال لهم مسيلمة: أَنْتَظِرُ الذي يأتي مِن السماء فيكم وفيهم، ثم قال لهم: «والَّلَيْلُ الأَطْحَم، والذئبُ الأَدْلَم، والجِذْعُ الأَزْلَم، ما انْتَهَكَتْ أُسَيدٌ مِن مُحَرَّم»

(١) المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٨٣ رقم ٤٤٣٤ وضعفه الهيثمي.
(٢) الطبري ٢/ ١٥٥.

فقالوا: أليسَ محرَّمًا استحلالُ الحرَمِ وإفسادُ الأموال[1]؟! ثم عاد بنو أسيد للإغارة، فقال مسيلمة: أنتظرُ الذي يأتيني من السماء، ثم قال: «والليلُ الدامسُ، والذئب الهَامِسُ، ما قَطَعَتْ أسيدٌ مِن رَطْبٍ ولا يَابِس» فقال الناس: أمَّا النخيلُ ذاتُ الرطبِ فقد قطعوها، وأما الجدرانُ اليابسةُ فقد هَدَمُوها، فقال لهم مسيلمة: اذهبوا وارْجِعُوا فلا حَقَّ لكُم[2].

وجعل مسيلمةُ يُخْرِجُ لقومه كلَّ يومٍ بضعَ آياتٍ يؤلفها لهم، فكان فيما يقرأ لهم «إنَّ بني تميمٍ قومٌ طُهُر لا مكروهَ عليهم ولا إتَاوَة، نُجَاوِرُهم ما حَيينا بإحسان، ونَمْنَعُهُم مِن كلِّ إنسان، فإذا مِتنا فأَمْرُهُم إلى الرحمن»[3] وكان يقول: «يا ضِفْدَع ابنةَ ضِفْدَعِينْ، نِقِّي مَا تَنِقِّين، أَعْلَاكِ في الماءِ وأَسْفَلُكِ في الطين، لا الشاربَ تَمْنَعِينْ، ولا الماءَ تُكَدِّرين»[4] وكان يقول: «والمُبذرَاتِ زَرْعا، والحاصِدَات حَصْدا، والذاريات قَمْحا، والطَّاحِنَاتِ طَحْنا، والخابِزَات خَبزا، والثَّارِدَات ثَرْدَا، واللَّاقِمَاتِ لَقْما، إهَالَةً وسَمْنا، لقد فُضِّلْتُم على أهلِ الوَبَر، وما سَبَقَكُم أهلُ المَدَر، رِيفُكُم فامْنَعُوه، والمُعْتَرَّ فَآوُوه، والباغِي فَنَاوِئُوه»[5].

وروي عن عمرو بن العاص أنه وَفَدَ إلى مسيلمةَ في أيام جاهليته، فقال له مسيلمة: ماذَا أُنزِلَ على صاحِبِكم في هذا الحِين يا عمرو؟ فقال له عمرو: لقد أُنْزِلَ عليه سورةٌ وجيزةٌ بليغة، فقال: وما هي؟ قال: أنزل عليه ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾[6] قال: ففكر مسيلمة ساعة

(١) الطبري ٢/ ٢٧٦.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٤/ ٢١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣/ ٦٩، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٦/ ١٥٤.

(٣) الطبري ٢/ ٢٧٦.

(٤) الثقاة لابن حبان ٢/ ١٧٦، وطبقات ابن سعد ٥/ ٥٥٠.

(٥) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٩، والكامل ١/ ٣٧٣، ونهاية الأرب للنويري ١٩/ ٥٤.

(٦) سورة الكوثر.



ثم رفع رأسه فقال: ولقد أُنزِلَ عليَّ مثلُها، فقال له عمرو: وما هي؟ فقال مسيلمة: «يا وَبَرُ يا وَبَرْ، إنما أنتَ إِيرَادٌ وصَدْر، وسَائِرُكَ حَفْرٌ نَقْر» ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ تَكْذِب[1].

وقد كان مسيلمة يسمع بما يُجْرِيهِ اللهُ على يد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من معجزات فيُحَاول أن يفعل مثلَه، حيث أَتَتْهُ امرأةٌ من بني حنيفة تُكَنَّى بأمِّ الهيثم فقالت: إنَّ نَخْلَنَا لَسُحْق[2]، وإنَّ آبارَنا لجُرُز[3]، فادع الله لِمَائِنا ولنَخْلِنَا كما دعا محمدٌ لأهل هَزْمَان[4]، فقال للرَّجَّال بنِ عُنْفُوة: ماذا تريد هذه؟؟ فقال: إنَّ أهلَ هزمان أَتَوْا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَكَوْا بُعْدَ مَائِهِم وكانت آبارُهم جافةً ونخلُهم لا يثمر، فدعا لهم ففاضَتْ آبارُهم وانْحَنَتْ كلُّ نخلةٍ لِثِقَلِ حِمْلِها حتى مسَّتِ الأرضَ، قال: وكيفَ صَنَعَ بالآبارِ؟ قال: دعا بدلوٍ فدعا لهم فيهِ ثم تَمَضْمَضَ بِفَمِهِ منه ثم مَجَّهُ فيه فانطلقوا به حتى أَفْرَغُوهُ في تلك الآبارِ فَفَاضَ الماءُ، ثم سَقَوْهُ نَخْلَهم، فدعا مسيلمةُ بدلوٍ مِن ماءٍ فدعا لهم فيه ثم تَمَضْمَضَ منه ثم مَجَّ فيه فَنَقَلُوه فَأَفْرَغُوه في آبارِهم فَغَارَتْ مياهُ تلك الآبارِ وجَفَّت، وَخَربَ نَخْلُهُم وجَفّ، وإنما اسْتَبَانَ ذلك بعدَ مَهْلِكِهِ[5].

وقال له الرجالُ بنُ عنفوة: بَرِّكْ على أولادِ بني حنيفة، فقال له: وما التَّبْرِيكُ؟ قال: كان أهلُ الحجازِ إذا وُلِدَ فيهم المولودُ أتوا به محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحَنَّكَه ومسحَ رأسه، فلم يُؤْتَ مسيلمة بصبيٍّ فحنكه ومسحَ رأسَه إلا قَرِعَ ولَثِغ، واستبان ذلك

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٩، ورسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري ص٤٥.

(٢) السُّحُق: بعيدة الماء قليلة الخير (ينظر: العين ٣/ ٣٧).

(٣) الأرض الجُرُز: التي لا نبات فيها (ينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٣١٢).

(٤) موضع بأطراف المدينة (ينظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للقطيعي البغدادي ٣/ ١٤٥٩).

(٥) الكامل ١/ ٣٧٣، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١٤/ ٥٢٩.

بعد مهلكه[١]، وقالوا له: عليك بالمرورِ على البساتين كما كان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصنع فَصَلِّ فيها، فدَخَلَ بستاناً من حوائط اليمامة فتوضأ، فقال الرجالُ لصاحب الحائط: خُذْ مِن وضوءِ الرحمن فاسْقِ به بستانَك حتى يَرْوَى كما صنع بنو المَهْرِيَّة[٢]، وكان رجلٌ من المَهْرِيَّة قَدِمَ على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذَ وضوءَه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه في بئرِه ثم أَخْرَجَ الماءَ وسقى، وكانت أرضُه جرداء، فإذا بها قد رَوِيَت وأضْحَت خضراء مزهرة، ففعل صاحب البستان ما أمره به الرجال، حيث أخذ وضوءَ مسيلمة وأفرغه في بئره وسقى زرعه فأصبح بستانه قَاحِلاً لا يُنْبِتُ ولا يثمر[٣]، وأتاه رجلٌ فقال: ادعُ الله لأرضي فإنها مُسْبِخَة[٤] كما دعا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسُلْمِيٍّ على أرضه، فقال: ما يقول هذا يا رَجَّالُ؟؟ فقال: قَدِمَ عليه سُلْمِيٌّ وكانت أرضُه سبخَة فدعا له وأعطاه دلواً من ماء ومَجَّ[٥] له فيه فأفرغه في بئره ثم نزعَ الماءَ فطابت وعَذُبَتْ، ففعلَ مثلَ ذلك فانطلق الرجل ففعل بالدلو كما فعل سلمي فغرقت أرضُه فما جف ثَراها ولا أَدْرَكَ ثَمَرُها[٦]، وأتته امرأة فدعته إلى نخلٍ لها يدعو لها فيها، فهلك نخلُها كلُّه يومَ وَقْعَةِ عَقْرَبَاء التي يأتي ذكرها، وكانت بنو حنيفة قد عَلِمُوا بطلانَ أمرِ مسيلمة واستبان لهم، ولكن الشَّقَاءَ غلبَ عليهم، بل إن ثُمَامَةَ بنَ أُثَالٍ الحنفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يُبْقِ من أمورِ مسيلمة أمراً إلا وكشفه، فيذكر الوَاقِدِيُّ أن بعضَ بني حنيفة ذهبوا إلى ثمامة يستشيرونه في

(١) الطبري ١١/ ٩٤.

(٢) بطن من قضاعة، وهم بنو مَهْرَة، ويقال لهم: المَهْريون (ينظر: المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب لعبد الرحمن المغيري ص٢٠).

(٣) الطبري ٢/ ٢٧٧.

(٤) الأرض سَبِخَة: ذات ملح ونَزٍّ لا تنبت شيئا (ينظر: المخصص لابن سيدة ٣/ ٢٩٣).

(٥) مَجَّ الماءَ: أخرجه من فيه مرة واحدة (ينظر: جمهرة اللغة ١/ ٩٢).

(٦) الطبري ٢/ ٢٧٧.

أمر مسيلمة، وكان ثمامة ذا عَقْلٍ وَفَهْمٍ وَرَأْيٍ، وكانَ مُخَالِفًا لِمَسَيلِمَةَ عَلَى مَا هُوَ علَيهِ، فَقالُوا: يا أَبا عامِر، إِنَّه قَد سارَ هذا الرَّجلُ إِلَى مَا قِبلنا يُريد قَتْلَنا وَبَوَارَنا وَاستِئْصالَنَا عَنْ جَدِيدِ الأَرض، وهذَا مُسيلِمَةُ بن حَبِيبٍ بين أَظْهُرنَا، وَقدِ ادَّعى مَا قَد عَلِمْتَ من النُّبوَّة، فَهاتِ الَّذي عِندكَ مِن الرَّأي، قَال: فقالَ لَهم ثُمامةُ: (وَيحكُم يَا بني حنِيفةَ، اسْمَعوا قَولِي تَهْتَدُوا وَأطيعُوا أَمري تَرشدوا، وَاعلمُوا أَنَّ محمد بن عبد الله نبي مُرْسلٌ لا شكَّ فِي نُبوَّته، وهذا مُسَيلمةُ رَجلٌ كذابٌ، فَلا تَغْتَرُّوا به ولا بقوله وَكَذِبِهِ، فَإِنَّكُمْ قد سمِعتمُ الْقُرْآنَ الَّذِي أَتَى به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن ربِّه إِذ يَقُولُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾[1]، فأَين هذا الكَلامُ من كلامِ مُسيلمَةَ، فَانظُرُوا في أُمورِكُم وَلا يَذهَبَنَّ هذا عَنكُم، أَلا وإِنِّي خَارِجٌ إِلَى ابْن الْولِيدِ فِي لَيلتِي هذه وَطَالِبٌ مِنهُ الأَمَانَ عَلى نَفسِي وَمالِي وأَهلِي وَوَلَدِي)، فقالَ الْقَومُ: ونحن معك، ثُمَّ خَرجَ ثُمامَةُ بنُ أُثَالٍ فِي جَوفِ اللَّيلِ فِي نَفَرٍ من بَنِي حنِيفةَ، حَتَّى صَارَ إِلَى خَالدٍ فَاسْتَأْمَنَ إِلَيهِ، فَأَمَّنَهُ خالِدٌ وأَمَّنَ أَصحَابَهُ[2].

ويذكر أصحابُ السِّيَر أن طلحةَ النَّمِري جاء اليمامة فقال: أين مسيلمة؟ قالوا: مَهْ، قُلْ رسول الله، فقال: لا أقول حتى أراه، فلما جاءه قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: مَنْ يأتيك؟؟ قال: يأتيني رحمان، قال: أَفِي نورٍ يأتيكَ أم في ظُلْمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أَشهدُ أنكَ كذاب وأن محمداً صادق ولكنْ كَذَّابُ ربيعةَ أحب إلينا من صادِق مُضَر، وتَبِعَه ذلك الأعرابيُّ الجِلْفُ الأحمق فقتل معه يوم عَقْرَبَاء[3].

---

(١) غافر ١-٣.

(٢) الردة للواقدي ص١١٧.

(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٦٠، والكامل ١/ ٣٧٣.

ولما بلغ مسيلمةَ دُنُوُّ خالد ضَرَب عسكره بعقرباء واستنفر الناس، فجعل الناس يخرجون إليه، وخرجَ مُجَّاعَةُ بن مُرَارَة بعيداً عن جيش مسيلمةَ في سرية يطلب ثأراً له في بني عامر وبني تميم، وبينما هو في طلبِ ثأره وصلَ خالدٌ واستقبله شرَحْبِيلُ بنُ حسنة[1]، فسار خالد ومعه شرحبيل حتى إذا كان مِن عسكر مسيلمة على ليلةٍ شَنَّ هجمات متفرقة على مواقع هنا وهناك، ومن هذه المواقع جبلٌ صغير هجمَ عليه بستين من أصحابه فإذا فيه مُجَّاعة بن مرارة وأصحابه الذين خرج بهم لإدراك ثأره، وقد غَلَبَهم النومُ وأَرْسَانُ خيولِهم بأيديهم تحت خدودِهم وهم لا يشعرون بقربِ الجيش منهم، فَأَنْبَهَهُمْ شرحبيلُ ومن معه وقالوا: من أنتم؟ قالوا: هذا مجاعة بن مرارة ونحن بنو حنيفة، فأَوْثَقَهُم المسلمون بالحبال وأقاموا إلى أن جاءَهم خالد بن الوليد فأَتَوْه بهم فظن خالد أن مجاعةَ ومَن معه إنما جاءُوه ليستقبلوه ولِيَسْتَأْمِنُوا لأنفسهم، فقال لمجاعة: متى سمعتم بنا؟ قالوا: ما سمعنا بك، إنما خرجنا لثأرٍ لنا فيمن حولَنا من بني عامر وتميم، فقال لهم خالد: فما تقولون؟ قالوا: نقولُ منَّا نبيٌّ ومنكم نبي، فلما تَيَقَّنَ خالد أنهم مع مسيلمة أَمَرَ بِهم أنْ يُقْتَلوا، فأرادوا جميعاً فداءَ مجاعة بنِ مُرارة، وقالوا: إنْ كنتَ تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شراً فاسْتَبْقِ هذا ولا تقتله، فقَتَلَهم خالد وحَبَس مجاعةَ عنده كالرهينة في خيمة زوجته أم تميم[2].

وتجهزَ خالدٌ وسار إلى اليمامة، فخرج مسيلمة وبنو حنيفة حين سمعوا بخالد فنزلوا بعقرباء، فَحَلَّ بها عليهم، وهي طرف اليمامة، وجعلوا الأموالَ ورِيفَ اليمامة وراءَ ظهورهم، وقال شرحبيل بن مسيلمة: يا بني حنيفة اليوم يوم الغِيرة، اليوم إنْ هُزِمْتُم تُسْتَرْدَفُ النساءُ سَبِيَّات، ويُنْكَحْنَ غيرَ خَطِيبَات، فقاتِلوا عن أحسابكم وامنَعُوا

(١) الطبري ٢/ ٢٧٧.

(٢) سيرة ابن حبان ص٤٣٠، والاكتفاء بما تضمنه من سيرة رسول والثلاثة الخلفاء لسليمان بن موسى الكلاعي ٣/ ٤٥.

نساءَكم[1]، فاقتتلوا بعقرباء وكانت رايةُ المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة فقالوا، أَتَخْشَى علينا من أن نُؤْتَى من قِبَلِكْ؟؟ فقال: بِئْسَ حَامِلُ القرآن أنا إذاً[2]، وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شَمَّاس[3]، وكانت العربُ على رَايَاتِهَا[4]، ومجاعةُ أسيرٌ مع أم تميم في خيمتها.

وبدأ القتالُ فجالَ المسلمون جولةً اصطدموا فيها بعدد كالنمل من بني حنيفة، وتراجَعَ المسلمون شيئاً حتى وصَلَتْ خيلُ بني حنيفة إلى خيمة أمِّ تميم زوجة خالد، فدَخلَ أناسٌ من بني حنيفة على أم تميم فأرادوا قتلَها فحَمَاها مجاعةُ وقال: أنا لها جَار فَنعمَت الحرةُ هي، فدفَعَهم عنها، فضَرَبُوا الخيمة بسيوفهم حتى مزقوها، ورجع المسلمون فَكَرُّوا عليهم فتراجَعَتْ بنو حنيفة[5].

ثم إن المسلمين تَدَاَعْوا وثَبَّتَ بعضُهم بعضا، فقال ثابت بن قيس: بئسما عَوَّدْتُم أنفسَكم يا معشر المسلمين، اللهم إني أَبْرَأُ إليك مما يعبدُ هؤلاء يعني أهل اليمامة، وأبرأ إليك مما يصنعُ هؤلاء يعني المسلمين، ما هكذا كنا نقاتلُ على عهد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثم جَالَدَ بسيفِه حتى قُتل[6]، وقال زيد بن الخطاب حين انْكَشَفَ الناسُ عن رِحالِهِم: لا تَرَاجُعَ بعدَ الرِّحَال، فلما دَنا من الصف وجدَ الرجال بن عنفوة، فقال له زيد: يا رَجَّالُ، اللهَ اللهَ، فو الله لقد تركتَ الدِّينَ، وإن الذي أدعوكَ إليه لأشرفُ لك وأكثرُ لدنياك، فأَبَى

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٦، والكامل ١/ ٣٧٣.
(٢) أسد الغابة ١/ ٣٩٨، والعواصم من القواصم لأبي بكر الإشبيلي ص٨٠.
(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٦.
(٤) الطبري ٢/ ٢٨٧.
(٥) تجارب الأمم وتعاقب الهمم لابن مسكوية ١/ ٢٨٥، والمنتظم لابن الجوزي ٤/ ٨١.
(٦) الثقاة لابن حبان ٢/ ١٧٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٣٩.

فتبارزا فقتله زيد[١]، ثم قال زيد: والله لا أَتَكَلَّمُ اليومَ حتى نهزمَهم أو أَلْقَى اللهَ فأُكَلِّمهُ بِحُجَّتِي، عَضُّوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم، ثم قاتلَ زيدٌ حتى قتل[٢]، ثم قام البَرَاءُ بنُ مالك أخو أنس بن مالك وكان إذا حضرَ الحربَ أَخَذَتْهُ رِعْدَة ثم ينتفض ثائراً كما يثور الأسد، فلما رأى ما صنعَ الناس أَخَذَهُ الذي كان يأخذه ثم وَثَبَ فقال:أين يا معشر المسلمين أنا البراءُ بن مالك، هَلُمَّ إليّ، فاجتمع عنده جماعة من المسلمين فقاتَلوا القومَ قتالاً شديداً حتى دَنَوْا من سُورِ الحَدِيقة التي فيها مسيلمة[٣].

وكانت جموعٌ غفيرةٌ من الأعراب قد التَفَّتْ على مسيلمة وصاروا معه، حتى بلغ عددُهم مائةَ ألف أو يزيدون، والمسلمون لا يزيدون عن اثنَي عشرَ ألفا، فقال الأنصار والمهاجرون لخالد: خَلِّصْنَا يا خالد[٤]، يعني اجْعَلْنَا في جانبٍ من الجيش وحدَنا حتى نَعْلَمَ من الذي يَفِرّ، وكان المهاجرون والأنصار قريباً من ألفين وخمسمائة[٥]، فجعل خالد المهاجرين وحدَهم، والأنصارَ وحدَهم، وجعلَ كلَّ قبيلةٍ في ناحيةٍ وحدَها، حيث إن خالداً لما رأى الحربَ سجالاً تكونُ مرةً على المسلمين ومرة على الكافرين نادَى قائلا: أيها الناس امْتَازُوا لِنَعْلَمَ بلاءَ كلِّ حيّ، ولِنَعْلَمَ من أين نُؤْتَى، فامتازَ أهل القرى والبوادي، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر، فوقف بَنُو كُلِّ أبٍ على رايَتِهِم[٦].

(١) الطبري ٢/ ٢٨٠.
(٢) الكامل ١/ ٣٧٤.
(٣) سيرة ابن حبان ص٤٣٠.
(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٠٠.
(٥) البداية والنهاية ٦/ ٣٠٠.
(٦) الطبري ٢/ ١٦٠.

وأقبلَ المسلمون من كل جانب فقاتلوا بني حنيفة حتى كَشَفُوهم، وخَلَصَ المسلمون إلى مُحَكَّمِ اليمامة، وهو مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيْل وهو يقول لبني حنيفة: يا بني حنيفة ادْخُلُوا الحديقة فإني سأمنع أَدْبَارَكم، فدخلوا وظل هو يقاتل خلفهم حتى رماه عبد الرحمن بن أبي بكر بسهم وَقَعَ في نَحْرِه فقُتل[1].

وحَمَلَ خالد بن الوليد وقال لمن خلفه: لا أُوتَيَنَّ مِن خَلْفِي، وتقدم حتى كان قريباً من مسيلمة يطلبُ الفرصةَ ويَرْقُبُ مسيلمةَ لأنه يعلم أن الأمرَ لا ينتهي إلا بقتله[2]، فتقدم خالد فدعا مسيلمة لِيُكَلِّمَه، فأجابه، فعرض عليه خالد أشياءَ مما يشتهي مسيلمةُ حتى يرجع عن غَيِّه، فكان إذا هَمَّ بالقبول أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ مُسْتشيراً شيطانَه فَيَنْهَاهُ شيطانُه أن يقبل، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «إنَّ مع مسيلمةَ شيطاناً لا يَعْصِيه، فإذا اعْتَرَاهُ أَزْبَدَ كأنَّ شِدْقَيْهِ زَبِيبَتَانِ لا يَهمُّ بخيرٍ أبداً إلا صَرَفَه عنه»[3].

ثم برز خالد حتى إذا كان أمام الصفِّ دعا إلى المبارزة وقال: أنا ابن الوليد العَوْد، أنا ابنُ عامرٍ وزيد، ونادى بشعار المسلمين يومئذ، وكان شعارهم يومئذ (يا محمداه) فجَعَلَ لا يَبْرُزُ له أحدٌ إلا قتله ولا يبرز له شيءٌ إلا أكلَه[4].

ثم زحف المسلمون حتى أَلْجَؤوهم إلى حديقة الموت وفيها عدو الله مسيلمة الكذاب[5]، وأَغْلَقَ المرتدون بابَ الحديقة عليهم من الداخل، فقال البراء: يا معشر

(١) تاريخ الإسلام ٣/ ٣٨، وابن خلدون ٢/ ٧٥.
(٢) الطبري ٢/ ٢٨١.
(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٧.
(٤) تجارب الأمم ١/ ٢٨٥، الطبري ٢/ ٢٨١، والبداية والنهاية ٦/ ٣٥٧.
(٥) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي ٣/ ٥١.

المسلمين احملوني وألْقُوني عليهم في الحديقة[1]، فقال الناس: لا تفعل يا براء، فقال: والله لَتَطْرَحُنَّنِي عليهم فيها، فرفعوه حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار قَفَزَ أمامَ باب الحديقة من الداخل، فقاتلهم عن باب الحديقة حتى فَتَحَه للمسلمين[2]، ودخل المسلمون عليهم فيها فاقتتلوا قتالاً طاحناً لم يُر مثله، حيث كان في الحديقة غالبُ جيش مسيلمة، ولما دخل المسلمون اجتمع الجيشان معاً في مكان ضيقٍ لا مجالَ فيه للخيل ولا للكرِّ والفر، فَرَكِبَهُم المسلمون من كل وجه، وقال أصحابُ مسيلمة له: أينَ ما كنتَ تَعِدُنا؟ فقال: قَاتِلُوا عن أحسَابِكم[3].

وكَبَسَهُم المسلمون حتى انتهوا إلى قصر مسيلمة وهو واقفٌ خارجَه عند جدار كأنه جمل أَزْرَق - أي من سُمْرَتِه - وهو لا يكاد يَعْقِلُ من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانُه أزبد حتى يخرجَ الزبدُ من شدقَيْه[4]، فَدَنَا منه وحْشِيُّ بن حرب، قاتلُ حمزة، وفي يده حرْبَتُه، ودنا منه من الجهة الأخرى أبو دُجَانَة سِمَاكُ بنُ خَرَشَة الأنصاريُّ، فأمَّا وحشيٌّ فيقول: «فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً وبيده السيف ولم أكن أعرفه قبل ذلك، فتهيأْتُ له، فَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حتى إذا رَضِيتُها وضَبَطْتُهَا دَفَعْتُها عليه فوَقعَت فيه، وشدَّ عليه الأنصاري بالسيففَرَبُّكَ أَعْلَمُ أَيُّنَا قَتَلَه، فإنْ كنْتُ قَتَلْتُه فقد قتلتُ خيرَ الناس بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعني حمزة- وقتلت شرَّ الناس[5]».

فلما ضَرَبه وحشي بالحربة دخَلَت في مقدمَتِه فخَرَجَت من ظهره، وصرَخَت امرأةٌ

---

(١) السيرة لابن حبان ص٤٣٠.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٤٨.

(٣) الطبري ٢/ ٢٧٩.

(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٧.

(٥) الروض الأنف ٣/ ٢٥٣، سيرة ابن هشام ٢/ ٧٢.

منهم:إنَّ العبدَ الأسود قتل مسيلمة رسول الله[١]، فَوَلَّى الحنفيون الأدبارَ والمسلمون يقتلونهم كيفَ شاءوا، حتى قُتِلَ من بني حنيفة في وقعة عقرباء سبعة آلاف، وفي حديقة الموت أكثرُ من سبعة آلاف[٢].

لما فرغ المسلمون من مسيلمة أتى خالدٌ بمجَّاعة بن مُرارة مقيداً في الحديد لِيَدُلَّه على مسيلمة بين القتلى، فجعلَ يَكْشِفُ له القتلى حتى مر بمحكَّمِ بن الطفيل وكان رجلاً جسيماً وسيما، فلما رآه خالد قال: هذا صاحبكم؟ قال: لا هذا والله خيرٌ منه وأكرم، هذا محكم اليمامة[٣]، ثم مضى خالد يكشف له القتلى حتى دخل الحديقة فقلب له القتلى فإذا رُوَيْجِل أُصَيْفِرُ أُخَيْنِس[٤]، فقال مجاعة: هذا صاحبكم قد فرَغْتُم منه، فقال خالد لمجاعة: هذا صاحبكم الذي بِشُؤْمِهِ فُعِلَ بكم ما فُعِل، قال مجاعة: نعم قد كان ذلك يا خالد، وإنه والله ما جاءَكَ إلا مُقَدِّمَةُ الجيشِ وأَوَائِلُ الناس، وإنَّ جماهيرَ الناس وبقية الجيش لَفِي الحصون ينتظرون، فقال خالد:وَيْلَكَ ما تقول؟ قال: هو والله الحق، فَهَلُمَّ لِنَكْتُب بيننا صُلْحاً[٥].

فلما رأى خالد ذلك ورأى أن القتل قد فَشَا في كبار الصحابة، وأنه قُتِلَ من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلاثمائة أو يزيدون، وَافَقَ على الصلح، فصَالَحَهُ على ترك كل شيء إلا الرِّجال، فإن خالداً أبى إلا أن يَقْتُلَ رجالَهم جميعا، فقال مجاعة: دعني أَنْطَلِق إليهم

---

(١) أسد الغابة ٥/ ٤٠٩.

(٢) الكامل ١/ ٣٧٤.

(٣) سيرة ابن كثير ٢/ ٤٣٨، وتجارب الأمم ١/ ٣٨٦.

(٤) تصغير أخنس، والخَنَسُ انخفاض قَصَبَة أنفه مَعَ ارْتِفَاع قَلِيل فِي طرف الْأنف (ينظر: المعجم الوسيط١/ ٢٥٩).

(٥) الكامل ١/ ٣٧٤، والبداية والنهاية ٦/ ٣٧٥.

فأُشَاورهم وننظر في هذا الأمر ثم أَرْجِع إليك، فدَخَلَ مجاعة الحصونَ وليس فيها إلا النساء والصبيان وشيوخٌ أَفْنَاهُم الدهر ومَرْضَى، فأَمَرَ النساء أن يلبسن دروعَ الحديد والخُوَذَ وأن يُشْرِفْنَ على رُءُوس الحُصُون كأنهن رجالٌ حتى يخْرُجَ إلى خالد ويرجع إليهن مرة أخرى، ثم رجعَ فأتى خالداً فقال: قد أَبَوْا أن يُجِيزُوا ما اتفقتُ معك عليه مِن الموافقة على قتل الرجال، وقد أَشْرَفَ لك بعضُهم من على الحصن ناقِضِين عليَّ الصلحَ وهم مني بُرَآء، فنظرَ خالد إلى رؤوس الحصون وقد اسْوَدَّتْ من كثرة أعدادهم، ثم قال له مجاعة: إن شئت يا خالد صَنَعْتُ لك شيئاً، قال:ما هو؟ قال: تأخذ مني رُبُعَ السَّبْي وتَدَع رُبُعًا، قال خالد: قد قبلت، قال مجاعة: قد صَالَحْتُك[1].

فلما كتبا الصلح وشهد عليه الصحابة فُتِحَت الحصونُ فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء والمرضى من الرجال، فقال خالد لمجاعة: ويحَكَ خَدَعتَنِي، قال: يا خالد هؤلاء قومي ولم أستطع إلا ما صنعت[2]، فأمهله خالد ثلاثةَ أيام للوفاء بما اتفقوا عليه، وقال: والله لئن لم تُوَفُّوا وتَقْبَلُوا لَأَنْهَدَنَّ إليكم ثم لا أَقْبَلُ منكم خصْلَةً أبداً إلا القتل، فدخل مجاعة إلى الحصن فقال: أمَّا الآن فاقْبَلُوا، فقال سَلَمَةُ بن عمير الحنفي: لا والله لا نقبل، بل نبعثُ إلى أهل القرى والعبيدِ فنقاتل ولا نصالح خالداً، فإن الحصونَ حَصِينةٌ والطعامُ كثير والشتاء قد حَضَر، فقال مجاعة: إنك امرؤٌ مشؤُوم، أوقد غَرَّكَ أَنِّي خدعتُ القوم حتى أجابوني إلى الصلح، والله لولا أنا لَمَا بقيَ منكم أحدٌ فيه خير، ثم خرج مجاعة مع سبعةٍ من قومه حتى أتى خالداً فتَمَّمَ الصلح[3].

(١) الطبري ٢/ ٢٨٢، والبداية والنهاية ٦/ ٣٥٨، وتاريخ خليفة بن خياط ١/ ١١٠.
(٢) الكامل ١/ ٣٧٤، وتجارب الأمم ١/ ٢٨٨.
(٣) الطبري ٢/ ٢٨٣.

وكان أبو بكر قد بعث بكتابٍ إلى خالد مع سَلَمَةَ بن سَلاَمَةَ بن وَقْش يأمرُه إنْ أَظْفَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن يقتل ممن كان مع مسلمة كلَّ ذكرٍ بالغ، فَقَدِمَ الرسولُ بالكتاب فَوَجَد خالداً قد صَالَحَهم، فَوَفَّى لهم أبو بكر وأَتَمَّ الصلح على شروط خالد، وتَتَابَع بنو حنيفة على البَرَاء مما كانوا عليه ورجعوا إلى الإسلام[١].

ثم بعث خالد بن الوليد وفداً من بني حنيفة إلى أبي بكر، فلما قَدِمَتْ وفود بني حنيفة على الصديق قال لهم: ويحكم ما هذا الذي اسْتَزَلَّ منكم ما اسْتَزَل؟؟ قالوا: يا خليفة رسول الله قد كان الذي بَلَغَكَ مما أصابنا، وقد كان أمراً لم يبارِكِ الله عَزَّوَجَلَّ له ولا لعشيرته فيه، فقال: أَسْمِعُونا مِن قرآن مسيلمة، فقالوا: أو تَعْفِينَا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لا بد من ذلك، فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنتَ الضفْدِعِين نِقِّي لَكَمْ تَنِقِّين، لا الماء تُكَدِّرِين ولا الشاربَ تمنعين، رأسُك في الماء، وذَنَبُكَ في الطين، وكان يقول: والمبذراتِ زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبزا، والثَّارِدَات ثَرْدا، واللاقمات لقما، إِهَالَةً وسمنا، لقد فُضِّلْتِم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المَدَر، رَفِيقُكُم فامْنَعُوه، والمُعْتَرَّ فَآوُوه، والناعي فواسوه، وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فقال لهم: ويحكم، أين كان يُذْهَبُ بقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من أَلٍ.[٢].

وكانت هذه المعركة هي السبب الرئيسُ لجمع القرآن، حيث قُتِلَ فيها عدد كبير من القراء وحفاظ القرآن، فاقترح عمر على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن يَجمع القرآن في سِفْرٍ واحد[٣].

---

(١) الكامل ١/ ٣٧٥.

(٢) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان ٢/ ٤٣٩، والطبري ٢/ ٢٨٤، والروض الأنف للسهيلي ١/ ٤٠٠، والاكتفاء٣/ ٤٤، والإل: الأصل الجيد والمعدن الصحيح (الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ٤/ ١٨) ويعني أنه لم يخرج من الأصل الذي جاء منه القرآن.

(٣) عن زيد بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ- قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بعد مَقْتَلَ =

حيث قتل زيد بن الخطاب، شقيق عمر بن الخطاب، ولما رجع النّاس قال عمر لابنه عبد الله - وكان معهم - ألَا هَلَكْتَ قبلَ زيد؟ هَلَكَ زيدٌ وأنت حَيّ! ألا وَارَيْتَ وجهَك عني؟ فقال عبد الله: سَأَلَ اللهَ الشهادة فأُعْطِيَها، وجَهِدْتُ أنْ تُسَاق إليَّ فلم أُعْطَها[1].

وقتل حبيبُ بن زيد، وكان حبيب بن زيد وعبد الله بن وهب الأَسْلَمي في طريق العودةِ من اليمن وعمان، فتأخرا عن الجيش فأَسَرَهُما أصحابُ مسيلمة، فقال لهما: أتشهدان أني رسول لله؟ فقال الأسلميُّ: نعم، فأمر به فحُبس في حديد، وقال لحبيب: أتشهدُ أني رسول الله؟ فقال: لا أَسْمَع، فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فأمر به فقُطِعَ منهُ عضو، وكلما قال له: أتشهدُ أني رسول الله قال: لا أسمع، فإذا قال له: أتشهد أن محمداً رسول الله قال: نعم، وهو يَقْطَعُ منه عضواً عضواً حتى قَطَعَ يديه من المنكبين ورجليه من الوِركين ثم أَحْرَقَه بالنار وهو في كل ذلك لا يرجِعُ عن قوله، حتى ماتَ في النار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

وقُتِلَ جمعٌ كبير من كبار الصحابة منهم سالم مَوْلَى أبي حذيفة، وثابتُ بن قيس، والطُّفَيْلُ بن عمرو الدَّوْسِي، وعبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سَلُول، وعَبَّادُ بن بِشْر،

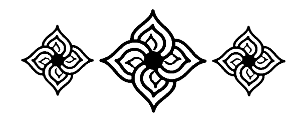
= أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللهُ لِذَلِكَ صَدْرِي وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلَا نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ (صحيح البخاري ١٤/ ٢٥٢ رقم ٤٣١١).

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع للمقريزي ١٤/ ٥٣٢.

(٢) الاكتفاء ٣/ ٦١.



والسَّائِبُ بن عثمان بن مَظْعُون، وعبد الله بن أبي بكر الصديق، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وأبو دُجَانة، والحارث بن قيس بن خَلْدَة، والحُبَابُ بن زيد، وجَزْءُ بن مالك، سَلِيط بن عمرو، وغيرُهم كثير.



الأَسْوَدُ العَنْسِيُّ ت١١هـ

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَاذِبَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي يُقَالُ لأَحَدِهِمَا مُسَيْلِمَةُ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ وَالْعَنْسِيُّ صَاحِبُ صَنْعَاءَ»[١].

كان أمراءُ اليمن في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تابعين لدولة الفرس، لأن الفرسَ ساعدوا أهل اليمن على التخلصِ من سيطرة الأحباشِ عليهم، فكان كسرى هو الذي يُوَلِّي أمراءَ اليمن ويعزلهم، ولما بَدأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إِرْسَالِ كُتُبِه إلى الملوك والأمراءِ أرسلَ إلى كسرى يقول له: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمدٍ رسول الله إلى كسرى عظيمِ الفرس، سلامٌ على من اتَّبَعَ الهدى وآمَنَ بالله ورسوله، وشَهِدَ أنْ لا اله لا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فأَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لِأُنْذِرَ مَن كان حياً ويحقَّ القولُ على الكافرين، فأَسْلِمْ تَسْلَم، فإنْ أَبَيْتَ فإنَّ إِثْمَ المَجُوسِ عليك»[٢]،فلما جاءه الكتاب قال: ما هذا؟ قالوا: هذا كتابٌ جاء من عند رجل بجزيرة العرب يزعم أنه نبي، فلما فتحَ الكتاب وَجَدَ النبيَّ قد بدأ باسمِه قبلَ اسم كسرى، فغضِبَ كسرى غضباً شديدا، وأخذَ الكتاب فمَزَّقَه قبل أن يقرأه، وكَتَبَ إلى عامله على

(١) صحيح البخاري٦/ ٢٥٨٠ رقم ٦٦٣٠.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ١/ ٢٧٩.

اليمن – وكان اسمه بَاذَام – «أما بعد، فإذا جاءك كتابي هذا فابْعَثْ مِن قِبَلَكَ أميرين إلى هذا الرجل الذي بجزيرة العرب، الذي يزعم أنه نبي، فابْعَثْهُ إليَّ في قَيد»[1].

فلما جاء الكتاب إلى بَاذَام، بَعَثَ من عنده أميرين عاقلين، وقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فانظرا ما هو، فإن كان كاذباً فخُذَاه في قيدٍ حتى تذهبا به إلى كسرى، وإن كان غيرَ ذلك فارجعا إليَّ فأخْبِرَاني ما هو حتى أنظرَ في أمْرِه، فَقَدِمَا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة، فوجداه على أَسَدِّ الأحوال وأَرْشَدِها، ورَأَيَا منه أموراً عجيبةً يطول ذكرُها، ومَكَثَا عندَه شهراً حتى بَلَّغَا ما جاءا له، ثم سألاه الجوابَ عن كتاب بَاذَام، فقال لهما: «ارْجِعَا إلى صاحبِكما فَأَخْبِرَاهُ أنَّ ربي قد قَتَلَ الليلةَ رَبَّه»[2]، فأَرَّخَا ذلك عندهما ثم رجعا سريعاً إلى اليمن فأخْبَرَا باذام بما قال لهما، فقال: أَرِّخُوا تلك الليلة، فإنْ ظهرَ الأمر كما قال فهو نبي، فجاءت الكتبُ من عند مَلِكِهم أنَّ كسرى قد قُتل في ليلةِ كذا وكذا، وهي الليلة نفسها التي قال عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان قد قتله بَنُوه، وقام بالمُلْك بعده ولده يَزْدَجِرْد، فلما تَوَلَّى كَتَبَ إلى باذام باليمن «خُذْ لي البيعةَ من قِبَلَك، واعْمَدْ إلى ذلك الرجل -يقصد النبيَّ – فلا تُهِنْهُ وأَكْرِمْه»[3].

فدخل الإسلامُ قلبَ باذام وذريته من أبناء فارس ممن باليمن، فأعلن إسلامه وبعث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامه وقَطَعَ الصِّلَاتِ كلها مع كسرى، فبعث إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنِيَابَةِ اليمن بِكَمَالِها، فلم يَعْزِلْهُ عنها حتى مات[4].

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٣٨.
(٢) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٢/ ١٠١٣ رقم ٢٥٧٨.
(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٣٨.
(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٣٨.

فلما ماتَ باذام استنابَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنَه شَهْرَ بنَ باذام على صنعاء وبعض نواحي اليمن، كما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طائفةً من أصحابه نُوَّاباً على مناطقَ أخرى، فبعثَ أولاً في سنة ١٠هـ علياً وخالدَ بن سعيد، ثم أرسل معاذاً وأبا موسى الأشعري، ثم جعل أمراءَ على بقية مدن اليمن، منهم عامر بن شَهْر الهَمَدَاني على همدان، وأبو موسى على مَأْرِب، وخالد بن سعيد بن العاص على نَجْرَان وزَبِيد، ويَعْلَى بن أمية على الجند، والطاهرَ بنَ أبي هَالَة على بني عَكٍّ والأشعريين، وعمرو بن حَرَام على نجران، وعلى بلاد حَضْرَمَوْت زياد بن لَبِيد، وعلى السَّكَاسِك عكاشةَ بن مَوْر بن أخضر، وعلى السَّكُون معاوية بن كندة، وبعث معاذ بن جبل مُعَلِّماً لأهل البلدين - اليمن وحضرموت -، يتنقل من بلد إلى بلد، وذلك كله في سنة ١٠هـ، آخر حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

فبينما هم على ذلك إذ ارْتَدَّ عَبْهَلَةُ بن كعب بن غَوث الملقب بالأسود العنسي، ويلقب أيضاً بذي الخمار لأنه كان مُعْتَماً مُتَخَمِّراً دائما، وقيل بل لقبه (ذو الحمار) لأنه كان له حمار مُعَلَّم يقول له اسجد فيسجد ويقول له اجْثُ فَيَجْثُو[٢]، وعَنْسُ بَطْنٌ من قبيلة مَذْحِج، وكان كاهناً مُشَعْبِذاً يُرِي قومه الأعاجيب ويُغْوِيهم بحلاوة منطقة، ادَّعى النبوة حين مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتبعه على ذلك جمعٌ غفيرٌ من مَذْحِج، وكانت ردتُه أولَ ردةٍ في الإسلام على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد سَمَّى نفسَه رَحْمان اليمن، أي أنه يتكلم باسم الرحمن كما سمى مسيلمةُ الكذابُ نفسه (رحمان اليمامة) ويقال كان له شيطان يُخْبِرُه بكل شيء[٣].

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي ٢/ ٣٣٢، والبداية والنهاية ٦/ ٣٣٩.

(٢) التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٤٠.

(٣) أبو بكر الصديق لمحمد رشيد رضا ص ٣٦.

وكان أول ظهوره في بلد يقال لها (كهف خُبَّان)[1] في سبعمائة مقاتل، وكتب إلى عُمَّالِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرض عليهم أن يُسَلِّموا ما في أيديهم من الأراضي والأموال وأنه سَيُقِرُّهُم على ما هم فيه من الإمارة، حيث أرسلَ يقول: «أيها المتمردون علينا، أَمْسِكُوا علينا ما أخذتم من أرضنا، وَوَفِّرُوا ما جَمَعتُم، فنحن أَوْلَى به، وأنتم على ما أنتُم عليه»[2].

ثم ركبَ فَتَوَجَّه إلى نجران فأخذها من عمرو بن حَرام بعد عشر ليال من مخرجه، ثم قصدَ إلى صنعاء، فخرج إليه شهرُ بن باذام فتقاتلا، فغَلَبَه الأسودُ وقتله، وكسرَ جيشه من أبناء اليمن واحتلَّ بلدةَ صنعاء بعد خمس وعشرين ليلة من مخرجه[3].

فلما سمع به معاذُ بن جبل خرج من هنالك واجتازَ بأبي موسى الأشعري فذهبا إلى حَضْرَمَوْت، وانحازَ عمالُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ناحية بعيدة عن صنعاء، ورجع عمرو بن حرام وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة، وأصبحَتِ اليمنُ بكمالِها للأسود العنسي، وجعل أَمْرُهُ يَسْتَطِيرُ استطارَةَ الشرار، وكان جيشُه يوم لَقِيَ شهرَ بن باذام سبعمائة فارس، وأخذ يُوَلِّي أمراء على المدن غير أمراء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واشتد مُلْكُه، واستَغْلَظَ أمرُه، وارتد خَلْقٌ من أهل اليمن، وعامله المسلمون الذين هناك بالتَّقِيَّة والمُدَارَاة[4]، وكان خليفَتُه على مَذْحِج وما حولها عمرو بن معدي كرب، ووَلى قيادة الجند قيس بن مَكشُوح، وأسندَ أمر الأبناء إلى فيروز الدَّيْلَمِي، وتزوج بامرأةِ شهرِ بن باذام، وهي ابنة

(١) قرية في واد قريب من نجران (معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٣٤٣).
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ١٥، وتاريخ دمشق ٤٩/ ٤٨٤.
(٣) الطبري ٢/ ١٣٠.
(٤) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٦٠.

عم فيروز الديلمي، واسمها زَاذ، وكانت امرأةً حسناء جميلة، وهي مع ذلك مؤمنة بالله ورسوله محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومن الصالحات[1].

فبعث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كتابه- حين بلغه أمر الأسود العنسي - مع رجل يقال له وَبَرُ بن يُحَنَّس الديلمي، يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسي ومصادَمَتِه، وقامَ معاذ بن جبل بهذا الكتاب أتمَّ القيام، وكان معاذُ قد تزوج امرأةً من السكُونِ يقال لها رَمْلَة، فقامت السكونُ كلها مع معاذ، وبَلَّغُوا كتابَ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى عمال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في المدن كلها، وجمعوا مَن قَدرُوا عليه من الناس[2].

وفي الوقت ذاته جرت مُقَاوَلَة وشَحناءُ بين الأسود العنسي وقيسِ بن مكشوح أميرِ جنده، فَهَمَّ قيسٌ بقتله، كما ساء الحال بين الأسود وبين فيروز الديلمي، فلما علمَ قيس بن مكشوح باجتماع أمراءِ المسلمين على قتالِ الأسود فَرِحَ بهم كأنما نَزَلُوا عليه من السماء، ووافقهم على الفَتْكِ بالأسود وتَوَافَقَ المسلمون على ذلك[3].

وكان للأسود تابع من الجن يخبره ببعض الأمور، فلما اجتمع المسلمون على ذلك أَطْلَعَه شيطانُه على شيءٍ من ذلك، فدعا قيسَ بن مكشوح، فقال له: يا قيس أَتَدْرِي ما يقول الوَحْيُ لي؟ قال: وما يقول؟ قال يقول: عَمَدْتَ إلى قيس بن مكشوح فأَكْرَمْتَه حتى إذا دخَلَ منك كلَّ مَدْخل، وصار في العِزِّ مثلَك، مالَ إلى عدوك، وحاول حِيَازَة مُلْكِك، وأَضْمَرَ الغدرَ بك، ويقول أيضاً: يا أَسْوَدُ يا أسود يا سَوْآه يا سَوْآه، خذ من قيس أعلاه، وإلا سَلَبَكَ ملكك وقَطَفَ قُنَّتَك[4].

---

(١) تاريخ الإسلام ٣/ ١٦.

(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٣٩.

(٣) تاريخ دمشق ٤٩ / ٤٥٨.

(٤) الكامل لابن الأثير ١/ ٣٦٣.

فقال قيس حالفًا: وحقِّ ذي الخمارِ لأَنْتَ أعظمُ في نفسي وأجَلُّ عندي مِن أَنْ أُحدِّثَ بخيانَتِك نفسي، فقال له الأسود: ما إِخَالُكَ تُكَذِّبُ المَلَكَ الذي أخبرني، فقد صَدَقَ المَلك، ولكننا عَرَفْنا الآنَ أنك تائب عما جال في خاطرك، ثم خرج قيس من بين يديه فجاء إلى أصحابه فيروز ودَاذَوَيْه، وأخبرهم بما قال له ورد عليه، فقالوا: إنا كُلّنَا على حذر وتَخَوُّف من هذا الرجل، فما الرأي؟؟، فبينما هم يَشْتَوِرُون إذ جاءهم رسولُ الأسود العنسي يطلب حضورَهم، فأحضرهم بين يديه وقال: ألم أُشَرِّفْكُم على قومكم؟ قالوا: بلى، قال: فماذا يَبْلُغُني عنكم؟، فقالوا: أَقِلْنَا مَرَّتَنَا هذه، فقال: لئن بلغني عنكم مرةً أخرى لا أُقيلُكُم، قال: فخرجنا من عنده ولم نكد ننجو، وهو في ارتيابٍ من أمرِنا، ونحن على خطر[1].

وازداد تَمَكُّنُ الأسودِ على سائر البلاد، وذات مرةٍ أَرْسَلَ إلى أبي مسلمٍ الخَوْلَانِي العابدِ الزاهدِ فلما جاء قال له الأسود: أتشهدُ أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، فأَمَرَ به فَأُلْقِيَ في نارٍ عظيمة فلم تَضُرَّه، فقيل للأسود: أَخْرِجْهُ من هذه البلاد وإلا أفسد عليك من اتبعَك، فأمرَه بالرحيل، فأتى المدينة وقد مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستُخْلِفَ أبو بكر، فأناخَ أبو مسلم الخولاني راحلتَه بباب المسجد، ودخل المسجد فقام يصلي إلى سارية، ورآهُ عمر بن الخطاب فقام إليه فقال: ممن الرجل؟ قال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الرجلُ الذي أحرَقَهُ الكذاب بالنار؟ قال: ذاكَ رجلٌ من المسلمين، فقال عمر: أَنْشُدُكَ الله أنتَ هو؟ قال: اللهم نعم، فأعتنقه عمر وبكى، ثم ذهب به فأجلسه فيما بينه وبين أبي بكر وقال: الحمد لله الذي لم يُمِتْنِي حتى أَرَاني في أمة محمدٍ مَن فُعِلَ به ما فُعِلَ بإبراهيم خليلِ الله[2].

---

(١) الكامل ١/ ٣٦٣.

(٢) أسد الغابة ٦/ ٣٠٤، والخصائص الكبرى للسيوطي ٢/ ١٢٢.

وظل قيس بن مكشوح وفيروز ومن معهم يجتمعون خُفْيَةً ويدبرون أمرهم ولكن لا يجدون فرصة، فقد عَظُمَ أمرُ الأسود والتفَّ عليه جمع غفير من المرتدين، يقول قيس: فبينما نحن على ذلك إذ جاءتنا كُتُبٌ من عامرِ بن شهرٍ أميرِ همَدَان وغيرِه من أمراء اليمن، يبذلون لنا الطاعة والنصر على مخالفة الأسود ونصرة الإسلام، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحُثُّهم على قتال الأسود العنسي، فَكَتَبْنَا إليهم أنْ لا يُحْدِثُوا شيئاً حتى نُبْرِمَ الأمرَ[1].

وتسلل قيسٌ فدخل على امرأة الأسود التي تزوجها غصباً بعد أن قَتَل زوجها شَهْرَ بنَ باذَام، وهي أَزَاد، ابنة عم فيروز، فقال لها: يا ابنة عمي قد عَرَفْتِ ما فعله هذا الرجل بقومك، قتَلَ زوجَك، وسار في قومك بالقتل، وفضَحَ النساء، فهل عندَكِ مُمَالأَةٌ عليه؟ قالت: على أيِّ أمر؟ قلت: على إخراجِه من بلادنا، قالت: أو قَتْلِه، قلت: أو قتله، قالت: نعم، والله ما خَلَق الله شخصاً هو أبغض إلي منه، فما يقوم للهِ على حَقٍّ ولا ينتهي له عن حرمة، فإذا عَزَمتم فأخبروني حتى أُعْلِمَكُم بما في هذا الأمر[2].

فخرج قيس فإذا فيروز وداذَوَيْه ينتظرانه يريدان أن ينهضَا في حرب الأسود، فلم يكد قيس يجتمع بهما حتى بعثَ إليه الأسود يطلب حضوره، فدخل قيس في عشرة من قومه، فقال له الأسود: ألم أخبرك بالحق وتخبرني بالكذب؟ إن المَلَكَ يقول: «يا سَوْآهُ يا سوآه، إن لم تقطع من قيس يدَه يقطعْ رقبَتَك العُلْيَا»، حتى ظن قيس أنه قَاتِلُه، فقال: إنه ليس من الحق أن أَهْلِكَ وأنت رسول الله، فَقَتْلِي أَحَبُّ إليَّ من مَوْتَاتٍ أموتها كل يوم بِظَنِّكَ في، فَرَقَّ له الأسود وأمره بالانصراف، فخرج إلى أصحابه فقال: اعْمَلُوا عَمَلَكم[3].

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٠.

(٢) أسد الغابة ١/ ٥١٠، وتاريخ دمشق ٤٩ / ٤٨٥.

(٣) الطبري ٢/ ٢٤٩.

فبينما هم وقوف بالباب يتشاورون، إذ خرج الأسود عليهم وقد جُمِعَ له مائةٌ ما بين بقرة وبعير، وهو يريد بذلك أن يُرِيَهم شجاعَته وقُوَّته، ويريد أيضاً أن يُلْمِحَ لهم بأنهم إن خالفوه سيفعل بهم مثل الذي سيفعل بهذه الأنعام، فقامَ وخَطَّ خَطاً وَوُضِعَت هذه الأنعام من وراء الخط، وقام الأسود أمامَها فنَحَرَها كلَّها من غير رباط ولا حَبل، فما اقتحم الخطَّ منها شيء، فجَالَتِ الأنعامُ واضطربت بدمائها إلى أن زَهقَتْ أرواحُها، قال قيس: فما رأيت أمراً كان أفظع منه، ولا يوماً أوحَشَ منه[1].

ثم قال الأسود: أحق ما بلغني عنك يا فيروز؟ لقد هممتُ أن أَنْحَرَكَ فأُلْحِقَك بهذه البهيمة، وأَبْدَى له الحَرْبَة، فقال له فيروز: اخْتَرْتَنَا لِصِهْرِك، وفضلتنا على الأبناء، فلو لم تكن نبياً ما بِعْنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمعَ لنا بك أمرُ الآخرة والدنيا؟ فلا تقبل علينا أَمْثَالَ ما يَبْلُغُك، فأنا بحيث تُحِب، فرضي عنه وأمره أن يقسم لحومَ تلك الأنعام، ففرقها فيروز في أهل صنعاء ثم عاد مسرعاً نحو الأسود، فإذا رجلٌ يحرضُه على فيروز ويسعى إليه فيه، واستمع له فيروز، فإذا الأسود يقول للرجل: أنا قَاتِلُه غداً هو وأصحابه، فأَحْضِرْهُ لي غدا، ثم التفت الأسود فإذا فيروز واقف، فقال: ما وراءَك؟، فأخبره فيروز بما صنع من تقسيم ذلك اللحم، فدخل الأسود دارَه، ورجع فيروز إلى أصحابه فأَعْلَمَهم بما سمع وبما قال وقِيل له[2].

فتشاوروا سريعاً فاجتمع رأيُهم على أن يعَاوِدُوا الذهاب إلى امرأته لتعينهم في أمره، فدخل أحدهم - وهو فيروز - إليها فقالت: إنه ليس في الدار بابٌ إلا والحرسُ محيطون به غير هذا البيت، فإنَّ ظَهْرَه إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فانْقبُوا عليه

---

(١) الطبري ٢/ ٢٤٩، وتاريخ دمشق ٤٩/ ٤٨٧.

(٢) الكامل ١/ ٣٦٤.

الحائطَ بعيداً عن الحرس، فلن يمنعكم من قتله شيء، وإني سأضع لكم في البيت سراجاً وسلاحاً، فلما خرج من عندها تَلَقَّاه الأسود فقال له: ما أَدْخَلَكَ على أهلي؟ وأَمْسَكَ برأس فيروز، وكان الأسود شديداً، فصاحت المرأة صياحاً شديداً أَشْغَلَه عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائرا، فقال: اسكتي لا أَبَا لك، قد وَهَبْتُه لك، فخرج فيروز على أصحابه فقال: النَّجَاءَ النَّجَاء، وأَخْبَرَهم الخبر، فَحَاروا ماذا يصنعون؟ فبَعَثَت المرأةُ إليهم تقول لهم: لا تَنْثَنُوا عما كنتم عازمين عليه[1].

فدخل عليها فيروز الديلمي فاسْتَثْبَتَ منها الخبر، ودخلوا إلى ذلك البيت فنَقَبُوا من داخله بعض اللَّبِنَات لِيَهُون عليهم النقبُ من الخارج، ثم جلس عندها جهرةً كالزائر.

فدخل الأسود فقال: وما هذا؟ فقالت: إنه أخي من الرَّضَاعة، وهو ابن عمي، فنَهَرَه الأسودُ وأخرجه، فرجع إلى أصحابه، فلما كان الليل نَضَحُوا الحائطَ بخلٍّ كثير حتى لَانَ معهم[2]، ثم نقبوا ذلك الجدارَ فدخلوا البيت فوجدوا فيه سِرَاجاً تحتَ جَفْنَةٍ، فتقَدَّم إليه فيروز الديلمي والأسود نائم على فراشٍ مِن حرير، قد غَرِقَ رأسُه في جسده، وهو سكران يَغِطُّ، حيث كانت المرأة تسقيه الخمر صِرْفاً خالصاً، فكلما قال لها: شُوبِيه بالماء، سَقَتْه صِرفاً حتى سَكِرَ وقام فدخل الفراش وهو من رِيش، والمرأة جالسة عنده، فلما قام فيروز على الباب أَجْلَسَ الأسودَ شيطانُه وتكلم على لسانه - وهو مع ذلك يَغِط - فقال: مَالِي ومالك يا فيروز؟ فخَشِيَ إنْ رَجَع أنْ يَهْلِكَ وتَهْلِكَ المرأةُ، فعَاجَلَه وهو مثل الجمل، فأخَذَ رأسَه فَدَقَّ عنقَه ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتله، ثم قام ليخرج إلى أصحابه ليخبرهم.

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٤١، والكامل ١/ ٣٦٤.

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي ٣/ ٢٨٨.

فأخذت المرأة بثوبه وقالت: أين تذهب وتتركُ ابنةَ عمك - وهي تظن أنه لم يقتله - فأخبرَها أنه قد قتله وأنه سيخرج ليُعْلِمَهم بقتله[1].

فدخلوا عليه ليقطعوا رأسه، فحَرَّكَه شيطانُه فاضطرب، فارتابَ الناس في أمره حتى جلس اثنان على ظهره، وأخذَت المرأةُ بشعره، فجعل يُبَرْبِرُ بلسانه بكلام لا يُفْهَم، فاحْتَزُّوا رقبتَه، فخَارَ كأشد خوارِ ثَوْرٍ سُمِعَ قط، فابْتَدَرَ الحرسُ إلى المقصورة، فقالوا: ما هذا ما هذا؟ فقالت المرأة: رسولُ الله يوحَى إليه، فرجعوا، وجلس قيس ودَاذَويه وفيروز يأتمرون كيف يُعْلِمُون أشياعهم، فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح ينادُون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين.

فلما طلعَ الصباحُ قام أحدهم- وهو قيس بن مكشوح - على سورِ الحصنِ فنادى بشعارهم، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن، فنادى قيس: أشهد أن محمداً رسول الله، وأنَّ عَبْهَلَةَ كذاب، وألْقَى إليهم رأسَه فانهزم أصحابُه وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق ويأسِرُونهم، واخْتَطَفَ حَرَسُ الأسودِ عدداً من صبيان المسلمين، فَتَرَاسَلَ الفريقان على أن يتركَ كلُّ فريق ما في يده، فتركَ المسلمون الأسرى وتَرَكَ المرتدون الصبيان، وظهرَ الإسلامُ وأهلُه، وتَراجَع نوابُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أعمالهم[2].

وكتبوا بالخبر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأتى الخبر إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماء في الليلة التي قُتِلَ فيها العَنْسِيُّ ليبشر المسلمين، فقال: «قُتِلَ العَنْسِيُّ البارحة، قَتَلَه رجلٌ

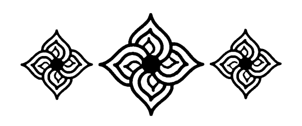
(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٨.، والبداية والنهاية ٦/ ٣٤١.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١/ ١٣٣، وتاريخ الإسلام ٣/ ١٩، والطبري٢/ ١٣٤.



مباركٌ من أهل بيتٍ مَبَارَكِين، قيل: ومَن؟ قال: فيروزٌ فيرروز»[1]، وقيل بل إن خبرَ مقتله وصل المدينة بعد وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوائل خلافة أبي بكر[2].

وقد قيل: إن مدةَ مُلْكِه منذُ ظهرَ إلى أن قُتِلَ ثلاثة أشهر، ويقال: بل قريب من أربعة أشهر[3]، فالله أعلم.



(١) أخرجه الهندي في كنز العمال ٣/ ٥٧٢ رقم ٣٧٤٧٢.

(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٢.

(٣) الكامل ١/ ٣٦٥.

لَقِيطُ بنُ مَالِكٍ الأَزْدِيُّ (ذو التَّاج)ت١٢هـ

في الوقت الذي كان المسلمون يقاتلون مسيلمة الكذاب في اليمامة ارتدَّ رجلٌ من أهل عمان يقال له (ذو التاج) لَقِيطُ بنُ مَالِك الأَزْدِي، وكان يسمى في الجاهلية الجَلَنْدِي[١]، فادَّعَى النبوة أيضاً، وتابَعه الجهلة من أهل عمان، فتغلب عليها وقَهرَ أميرَيْها المسلمين جَيْفَراً وعَبَّاداً، فتَحَصَّنا منه في نواحي الجبال والبحر، فبعث جَيْفَر إلى أبي بكر الصِّدِّيق فأخبرَه الخبر وطلب منه المدد، فبعث إليه الصِّدِّيق بأميرين وهما حُذَيْفَة بن مِحْصَن الحِمْيَري، وعَرْفَجَة البَارِقِيّ من الأزد، حيث سار حذيفةُ إلى عمان، وسار عرفجةُ إلى مَهْرَة، وأَمَرَهما أن يجتمعا ويتفقا ويَبْتِدئَا بعُمان، فإذا اجتمعا فحذيفة هو الأمير، فإذا ساروا إلى بلاد مَهْرَة فعرفجةُ هو الأمير[٢].

وكان عكرمةُ بن أبي جهل قد سار إلى اليمامة بأمر الصديق لقتال مسيلمة، وأَتْبَعَهُ الصديق بشرحبيل بن حسَنة ليكون ظهيراً له، فتَعَجَّلَ عكرمةُ وصادَمَ مسيلمة قبل مجيءِ شرحبيل ليفوزَ بالظفر وحده، فانهزم هو ومن معه، فكتب إليه الصديق يلومه على تَسَرُّعِه، وقال له: «لا أَرَيَنَّكَ ولا أَسْمَعَنَّ بك إلا بعد بَلاء»، وأمره أن يلحق بحذيفةَ وعَرْفَجَة إلى عُمان ليقاتلَ معهما ذا التاج لقيطَ بن مالك، وقال له: «كُلٌّ منكم أميرٌ على جيشه، وحذيفةُ ما دمتم بعمان فهو أمير الناس، فإذا فرغتم فاذهبوا إلى مَهْرة، فإذا فرغتم

(١) الطبري ٢/ ١٧٠.
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٦٣، والكامل ١/ ٣٧٨.

منها فاذهب إلى اليمن وحضرموت فكن مع المهاجِرِ بن أبي أُمية، ومن لقيتَه من المرتدةِ بين عمان إلى حضرموت واليمن فَنَكِّلْ به»[1].

فسار عكرمة لما أمره به الصديق، فلحق حذيفةَ وعرفجةَ قبل أن يصلا إلى عمان، وقد كتب إليهما الصديق أن ينتهيا إلى رأي عكرمة بعد الفراغِ من المسير من عمان أو المقام بها، فساروا فلما اقتربوا من عُمان راسلوا الأميرين جَيْفَراً وعَبَّادا[2].

وبلغ لقيطَ بنَ مالك مجيءُ الجيش، فخرج في جموعه فعسكر بمكان يقال له دَبَا، وهي كبرى مدن تلك البلاد وسوقها العظمى، وجعل الأطفالَ والأموال وراء ظهورهم، ليكونَ أقوى لحربهم، واجتمعَ جيفرٌ وعبادٌ ومَن معهما بمكان يقال له صَحَار، فعسكرا به وبعثا إلى أمراء الصديق فَقَدِمُوا على المسلمين، فتقابل الجيشان هنالك، وتقاتلوا قتالاً شديدا، وابْتُلِيَ المسلمون وكادوا أن يُوَلُّوا[3].

وفي الوقت ذاته اجتمع عددٌ من أمراء بني نَاجِيَة وعبد القيس واتفقوا على أن يذهبوا ليكونوا مدداً للمسلمين، فلما التقى الصَّفَّان كان جَمْعُ المرتدين كبيرا، ومَجَالُ خَيْلِهم أوسع، فتراجَع المسلمون قليلا، وبدأت ملامحُ الهزيمةِ تَلُوحُ في الأفق، وحَضَّ المرتدون بعضهم بعضاً لما رأوا النصرَ قد اقترب، وبينما الخيلُ تجولُ إذْ وصلَ المدد من بني ناجيةَ وعبد القيس، فلما وصلَ هؤلاء ودخلوا الميدان وَلَّى المشركون مُدبرين، وركبَ المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل وسَبَوْا الذَرَارِي وأخذوا الأموال ومَلَكُوا السوقَ بكاملها، وبعثوا بالخُمْسِ إلى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أحد القادة[4].

(١) الطبري ٢/ ١٧٠، والبداية والنهاية ٣/ ٣٦٣.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ١٥٧.
(٣) الطبري ٢/ ١٧٠.
(٤) البداية والنهاية٦/ ٣٦٣، والكامل ١/ ٣٧٨.

(أم صَادِر)
سَجَاحُ بنتُ الحارِث بن سُوَيْدٍ التَّمِيمِيَّة (ت ٥٥هـ)

تعد سَجَاح أول امرأةٍ في التاريخ تَدَّعِي النبوة، حيث تَنَبَّأَت بعد موت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجزيرة في بني تَغْلِب، حيث أصبح الناس بعد وفاة النبي في بني تغلبٍ في حَيْرة من أمرهم، فبعضُهم قد جَاهَرَ بردَّتِه، وبعضهم ثابت على الإسلام، وبعضهم يُقَدِّمُ رِجلاً ويؤخر أخرى، وبينما هم كذلك إذ فاجأتهم سجاحُ بمن تبعها من بني تغلب، وكان معها الهُذَيْلُ بن عِمران زعيم تغلب، وعَقَّةُ بن هلال زعيم النَّمِرْ، وزعماء إِيَادٍ، والسَّلِيلُ بْن قيس زعيم شَيْبَان، وكل هؤلاء الرؤساء قد أقبلوا معها لتغزوَ بهم أبَا بكر[١].

فلما انتهت إلى مضاربِ تميم رَاسَلَتْ مالكَ بنَ نُوَيْرَة وَدَعَتْهُ إلى المُوَادَعة فأجابها وصرفَها عن غزو المدينة، وشَجَّعَها على طلب النصرة من بني تميم على أحياء العرب، فقالت: نَعَم فَشَأْنُكَ بما رأيتَ فإني إنما أنا امرأة من بني يَرْبُوع، وإن كانَ لي مُلْك فالمُلْكُ مُلْكُكُم[٢]، فأرسلت إلى بني مالكِ بن حَنظلة تدعوهم إلى الموادعة، فاجتمع سادتُهم مع مالكٍ وسَجَاح وقد وَادَعَ بعضُهم بعضا، واجتمعوا على قتال الناس، وقالوا: بِمَن نبدأ؟ فقالت سَجاح: «أَعِدُّوا الرِّكَاب، واستَعِدُّوا للنِّهَاب، ثم أغِيرُوا على الرِّبَاب، فليس دونَهم حِجَاب»[٣].

(١) الكامل ١/ ٣٧٠.
(٢) الطبري ٢/ ٢٦٩.
(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٢.

فسارت فئةٌ من جيشها وهم بنو حنظلة إلى بني ضَبَّة- وهم من الرَّبَاب - وسارت سجاحٌ ومن معها من بني تغلب والنَّمِرْ بن قَاسِط لقتال بني عَدِيٍّ وثَوْر -وهما أيضاً من الرباب- فأما بنو حنظلة فلَقُوا بني ضَبَّة فتقاتلوا قتالاً شديداً فهَزَمَتْهُم ضَبة، ولَقِيَتْ سَجاحٌ ومَن معها بني عدي وبني ثور فقاتلوهم قتالاً شديداً، وجاءت بني عدي وثور وفودُ بني تغلب والنمر وإياد مَدَداً لهم، فَتَقَهْقَرَت سَجَاح بمن معها[1].

ثم قالت: «عليكم باليمامة، فإنها دارُ إِقَامَة، نَلْقَى أبا ثُمامَة، فإن كان نبيًّا ففي النبي علامة، وإن كان كَذُوباً فَلَه ولقومِه الندامة، ولا يَلْحَقُكم بعدُ مَلامَة»[2]، ثم خرجَت في جنودِ الجزيرة حتى بلغَت مكاناً يسمى النَّبَّاج في طريقها نحو اليمامة، فأغار عليهم جمعٌ من بني هُجَيْم عليهم أَوْسُ بن خُزَيْمَة، فَأَسَرَ كبارَ قادة سجاح، حيث أسرَ الهذيلَ بن عِمران وأسرَ عَقَّة بن هلال، وتَحَاجَزُوا على أن يردَّ كلُّ فريق ما في يده من الأسرى، ووافق الطرفان على أن تنصرفَ سجاح ومن معها عنهم ولا يجتازوا عليهم، وتَوَثَّقُوا عليها وعليهما أن يرجعوا عنهم ولا يتخذوهم طريقاً إلا مِنْ وَرَائِهم، فَوَفَّوْا لهم[3].

ولما رجعَ الهذيلُ وعَقة إليها واجتمع رؤساء أهل الجزيرة قالوا لها: ما تأمريننا؟ فقد اجتمعَ رأيُ مالك بن نُوَيْرَة ومَن معه مِن قومه على عدم نصرتنا، ولا يَزِيدُوننا على أن نَجُوزَ في أرضهم، فقالت:اليمامة، فقالوا: إن شَوْكَةَ أهلِ اليمامة شديدة، وقد غَلُظَ أمرُ مسيلمة، فقالت: «عليكُم باليَمامة، ودُفُّوا دَفِيفَ الحمامة، فإنها غزوةٌ صَرَّامَة، لا يَلحقكُم بعدَها مَلاَمَة»[4].

---

(١) الأوائل للعسكري ص١٢٥.
(٢) الأوائل للعسكري ص١٢٥.
(٣) ابن خلدون ٢/ ٧٢.
(٤) الطبري ٢/ ٢٧٠.

ثم قصدَت ومن معها نحو بني حنيفة، وبلغَ ذلك مسيلمة فَهَابَها وخاف إنْ هو شُغِلَ بها أنْ يَغْلِبَه ثُمامة الذي يُخَذِّلُ الناسَ عنه، أو شُرَحْبيل بن حسَنة الذي أرسله أبو بكر بجيش المسلمين، أو القبائل التي حولهم، فأَهْدَى لها ثم أرسلَ إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتِيَها، فنزلت جنودُها عندَ آبار المياه وأَذِنَت له وأَمَّنَتْه، فجاءها وافداً في أربعين من بني حنيفة، وكانت راسخةً في النصرانية قد عَلِمَت مِن علم نصارَى تغلب، فقال مسيلمة: إنَّ لنا نصفَ الأرض وكان لقريش نصفُها لو عَدَلَتْ، ولكن قريشاً جَارَتْ فسَلَبَهم اللهُ النصفَ ورَدَّهُ عليكِ وحَبَاكِ به(١).

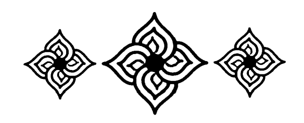
وبعد حوارٍ سخيفٍ سَبَقَ ذِكْرُه في خبر مسيلمة عَرَضَ كلُّ واحدٍ منهما قرآنَه على الآخر، فقالت سجاح: أَشْهَدُ أَنَّكَ نبي، قال: هل لكِ أنْ أتزوَّجَكِ فَآكُل بقومي وقومِكِ العرب؟ قالت: نعم، فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرَفَت إلى قومها فقالوا: ما عندَكِ؟ قالت: كانَ على الحق فاتبَعْتُه فتَزَوَّجْتُه، قالوا: فهل أَصْدَقَكِ شيئا؟ قالت: لا، قالوا: ارجِعي إليه فَقَبِيحٌ بمثْلِكِ أن تَرجِعَ بغير صَداق، فرجَعَتْ فلما رآها مسيلمة أغلقَ الحصن وقال: مَالَكِ؟ قالت: أَصْدِقْنِي صَداقا، قال: مَنْ مُؤَذِّنُكِ؟ قالت: شَبَثُ بن رِبْعِي الرِّيَاحي، قال: عَلَيَّ به، فجاء فقال: نَادِ في أصحابك أنَّ مسيلمةَ بنَ حبيب رسول الله قد وَضَعَ عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد، صلاةَ العشاء وصلاةَ الفجر(٢).

ولم يكن هناك ما يدعو كثيراً من الناسِ لاتِّبَاعِ سَجَاح إلا العصبية القبلية، بل إن بعضَ الأخبار الواردة تَقْطَعُ بأن العقلاءَ من أتباعها كانوا يَسْخَرُون منها ومن ادعائها النبوة، فيقول عُطَارِد بن حَاجب:

(١) الطبري ٢/ ١٥١.
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٣.

أَمْسَت نَبِيَّتُنَا أُنثَى نَطِيفُ بها وأَصْبَحَتْ أنبياءُ الناسِ ذُكْرَانا[1]

ثم اتفق معها مسيلمةُ على أن يَحْمِلَ إليها النصفَ من غَلَّات اليمامة، فاحْتَمَلَتْه وانصَرَفَت به إلى الجزيرة وخَلَّفَت ثلاثةً من أتباعها وهم الهذيلُ وعَقة وزِياداً، فلم يَفْجَأْهُم إلا دُنُوّ خالد بن الوليد منهم ومعه جمهور الصحابة لقتال مسيلمة، فلما سَمِعَتْ به سجاح أدْرَكَتْ أن الأمرَ جد، فَوَلَّوْا هارِبين لا يَلْوُون على أحد، واخْتَفَت سجاحٌ وانقطع خبرُها وزالت دعوتُها، فلم تَزَلْ مستخفيةً في مضارب بني تغلب حتى نَفَاهُم معاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عامَ الجماعة إلى نواحي الشام والعراق، ثم أَسْلَمَت سجاحٌ وحَسُنَ إسلامُها وماتت في البصرة[2].



(١) أسد الغابة ١/ ٧٧١، والمعارف لابن قتيبة ص٩٣.

(٢) الطبري ٢/ ٢٧١، الكامل ١/ ٣٧١، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ١/ ١٠٧، وتاريخ ابن الوردي ١/ ١٣٤.

طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيُّ ت٢١هـ

كان طليحةُ بن خُوَيْلِد الأسدي ممن ادعى النبوة وجمعَ الجيوش وحاربَ المسلمين، حيث اجتمعت عليه قبائلُ أسدٍ وغَطَفَان وبعثوا وفوداً إلى المدينة لِيُفَاوِضوا أبا بكر على ما يريدونَ تَرْكَه من أركان الإسلام، فنزلت وفودُهم على كبار الناس في المدينة، فذهبوا بهم إلى أبي بكر، فكلَّمُوه على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فأَجْرَى اللهُ الحقَّ على لسان أبي بكر فقال: لو مَنَعُوني عِقَالاً كانوا يؤدونه لرسول الله لجَاهَدْتهُم عليه[1].

ولما رَدَّهم أبو بكر بعد رفض مطالبهم رجعوا إلى عشائرهم فأخبروهم بِقِلَّةِ أهل المدينة، وأطْمَعُوهم فيها، وفَطِنَ أبو بكر لهذا الأمر فجعل الحرسَ على مداخل المدينة، فجعل على أحدِ المداخل علياً، وعلى الثاني الزبيرَ، وعلى الثالث طلحة، وعلى الرابع ابنَ مسعود، ومع كلٍّ منهم عددٌ من المسلمين، وأَلْزَمَ أهلَ المدينة بحضور المسجد، وقال: قد رَأَى وَفْدُهُم منكم قِلَّةً، وإنكم لا تدرون ليلاً يأتون أم نهارا، وأَقْرَبُهُم منكم على مسافة قريبة، وقد كان القوم يُؤَمِّلُون أن نقبلَ منهم ونُوَادِعَهم وقد أَبَيْنا عليهم، فاستعدوا وأعدوا، فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى شنَّ المرتدون غارةً على المدينة وخلَّفوا نصفَهم بذي حُسَى[2] ليكونوا رِدْءاً لهم، وأرسل الحرسُ إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم: أن الْزَمُوا مكانكم[3].

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٤، والعواصم من القواصم ص٦٤.
(٢) أرض بديار عبس وغطفان (ينظر: معم البلدان ٢/ ٢٥٨).
(٣) تاريخ دمشق ٢٥ / ١٥٩، والطبري ٢/ ٢٥٥.

وخرج أبو بكر في أهل المسجد على الإبل إليهم، فتراجع المرتدون وتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسَى، فخرج عليهم بقيَّتُهُم فالتقوا مع الجمع، فاقتتلوا ساعة فكان النصر للمسلمين[1].

وعاد المسلمون إلى المدينة فتجهزوا ثم خَرَج أبو بكر في أهل المدينة والأمراء الذين وضعهم على المداخل، إلى من حولَ المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه من بني عَبْسٍ وبني مُرَّة وذُبْيَان، ومن نَاصَرهم من بني كنانة، وأَمَدَّهُم طُلَيْحَةُ بابنه حِبَال، فلما تواجه الفريقان كان المرتدون قد صنعوا مكيدةً وهي أنهم عَمَدُوا إلى جُلُودٍ فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إبلُ المسلمين نَفَرَتْ وذهبت كلَّ مذهب، فلم يملكوا مِن أمرها شيئاً إلى الليل، وبعضُها رجعَ إلى المدينة.

فلما وقعَ ما وقع ظن المرتدون بالمسلمين الوَهَن، وبعثوا إلى عشائرهم من النواحي كلها فاجتمعوا، وباتَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائماً لَيْلَه يُعَبِّئُ الناس، ثم خرج على تعبئةٍ من آخر الليل، وعلى ميمَنَتِه النعمان بن مُقَرِّن، وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرن، وعلى الساقةِ أخوهما سُوَيْدُ بن مُقَرِّن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيدٍ واحد، فما سمعوا للمسلمين حِساً ولا همسا، فوضع المسلمون فيهم السيوف، فما طلعت الشمس حتى ولوا الأدبار، وغلبهم المسلمون على عامة ما يملكونه، وقُتِلَ حِبال بن طليحة، وتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصَّة[2]، وكان هذا أولَ فتح للمسلمين، وأَذَلَّ الله به المشركين، وأَعَزَّ به المسلمين[3].

---

(١) الطبري ٢/ ٢٥٥.

(٢) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا (ينظر: معجم البلدان ٤/ ٣٦٦).

(٣) الكامل ١/ ٣٦٦.

فلما سمع المرتدون بهذا النصر وثَبَتْ بنو ذبيان وعبس على مَن فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفَعَلَ مَن وراءهم كَفِعْلِهم، فحَلَفَ أبو بكر لَيَقْتُلَنَّ مِن كل قبيلة بِمَن قتلوا من المسلمين وزيادَة[1].

فكانت هذه الوقعة من أكبر العونِ على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عَزَّ المسلمون في كل قبيلة، وذَلَّ الكفار في كل قبيلة، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤَيَّداً منصوراً سالماً غانما، وجاءت المدينة في الليل صدقاتُ عَدِيٍّ بنِ حاتم وصفوانَ والزِّبْرقَان[2]، حيث جاء صفوان بن صفوان بصدقاتِ بني عمرو في أول الليل من جهة الباب الذي عليه سعد بن أبي وقاص، فجاءَ سعد مسرعاً يبشِّرُ أبا بكر، وجاء الزبرقان بن بدر بصدقات بني عَوْف من جهة الباب الذي عليه عبد الرحمن بن عوف، وجاء عدي بن حاتم بصدقات قومه طَيء من جهة الباب الذي عليه ابن مسعود، فَقَوِيَ المسلمون بذلك وفرحوا فرحاً شديدا[3].

وقد جرى ذلك كله في أقل من ستِّين يوماً من وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما هي إلا أيام حتى جاء أسامةُ بنُ زيد بالجيش الذي بعثَه به أبو بكر إلى الشام طاعةً لأمر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل وفاته، فاستخلفه أبو بكر على المدينة وأمرَ الجيش أن يُرِيحوا ظهرَهم، ثم ركب أبو بكر في الذين كانوا معه في الوقعة

المتقدمة إلى ذي القَصَّة، فقال له المسلمون: لو رجعتَ إلى المدينة وأرسلتَ رجلًا، فقال: والله لا أفعل، ولَأُوَاسِيَنَّكُم بنفسي[4].

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٥.

(٢) تاريخ دمشق ٢٥ / ١٦١.

(٣) الطبري ٢/ ٢٥٦.

(٤) الطبري ٢/ ٢٥٦، والبداية والنهاية ٦/ ٣٤٦.

فخرج في تعبئته إلى ذي حُسَى وذي القَصَّة، والنعمان وعبد الله وسويد بنو مُقَرِّن على ما كانوا عليه من قيادة الميمنة والقلب والميسرة، حتى نزل على أهل الرَّبَذَة[1]، وهناك جماعة من بني عبس وذبيان وطائفة من بني كنانة من المرتدين، فاقتتلوا فهزَمَهم الله وفرت بنو عبس وبنو بَكر، وأقام أبو بكر هناك أياماً أَخَذَ خلالَهَا البلادَ كلها من بني ذُبْيَان، وقال: حَرَامٌ على بني ذبيان أن يَتَمَلَّكُوا هذه البلادَ بعد إِذْ أَغْنَمَنَاهَا الله[2].

ولما فرت عبس وذبيان صاروا إلى مُؤازرَةِ طليحة وهو نازلٌ على مكان يسمى بُزَاخَة[3].

وكان أبو بكر لما رجع من القصة قد عقد الألوية للجيوش وعزم على تفريقها والخروج بنفسه، فلما استوى على راحلته أخذَ عليٌّ بن أبي طالب بزمَامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقولُ لك ما قالَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد: لمَّ سَيْفَكَ ولا تَفْجَعْنَا بنفسِك، وارجع إلى المدينة، فو الله لَئِنْ فُجِعنا بك لا يكون للإسلام بعدَك نظامٌ أبدا، فرَجَعَ وأَمْضَى الجيش[4].

قال سيف بن عمر: لما استراح أسامة وجندُه وقد جاءت صدقاتٌ كثيرة تزيد عن حاجتهم قطع أبو بكر البعوث، وعقد الألوية، فعقد أحدَ عشر لواء، عقد لخالد بن الوليد وأمرَه بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرَة إنِ استمرَّ على غَيِّه، وقال له: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «نِعْمَ عبدُ الله وأخو العشيرة خالد بن

(١) من قرى المدينة قريبة من ذات عِرْقٍ على طريق الحجاز (ينظر: معجم البلدان٣/ ٢٤).
(٢) تاريخ دمشق ٢٥ / ١٦١.
(٣) ماء لبني طيء وأسد ببلاد نجد (ينظر: معجم البلدان ١/ ٤٠٨).
(٤) الكامل ٢/ ٢٦٤.

الوليد، سيفٌ من سيوف الله سَلَّهُ الله على الكفار والمنافقين»[١] ولما توجه خالد من ذي القصة وَاعَدَهُ الصديقُ أنه سَيلْقَاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء - وأظهروا ذلك ليُرْعِبُوا الأعراب - وأَمَره أن يذهبَ أولاً إلى طليحة الأسدي، ثم يذهب بعده إلى بني تميم ومالك بن نُوَيْرَة[٢].

وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد وبني غطفان، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان، كما قام بمؤازرته عُيَيْنَة بن حِصن الذي ارتَدَّ عن الإسلام، وقال لقومه فَزَارَة: والله لَنَبِيٌّ مِن بني أسد أحبُّ إليَّ مِن نَبِيٍّ مِن بَنِي هاشم، وقد مات محمدٌ وهذا طليحةُ فاتَّبعوه، فوافقَه قومُه على ذلك[٣]، كما بعث طليحة إلى بني جَدِيْلَة والغوث وطيء يستدعيهم إليه فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم وأخبروه أنهم لاحقون بهم سريعاً.

وكان الصديق قد بَعَثَ عديَّ بن حاتم الطائي قبلَ خالد بن الوليد وقال له: أَدْرِكْ قومَك بني طيء لا يَلْحَقُوا بطليحةَ فيكون دَمَارَهم، فذهب عدي إلى قومه بني طيء فأمَرَهم أن يبايعوا الصديق، وأن يُراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نبايع أبا الفَصِيلِ أبدا - يعْنُونَ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فقال: والله لَيَأْتِيَنَّكم جيشٌ فلا يزالون يقاتلونكم حتى تَعْلَموا أنه أبو الفَحْلِ الأكبر، ولم يزَلْ عديٌّ يجادلهم حتى لَانُوا[٤].

وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمته الأنصار، وبعث بين يديه ثابتَ بن أَقْرَم وعُكَّاشَة بن مِحْصَن طليعةً للجيش، فتلقاهما طليحةُ وأخوه سَلَمَةُ ومعهما طائفة من

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٨ رقم ٤٣ وقال الأرنؤوط: صحيح بشواهده.
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٩.
(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٠.
(٤) الطبري ٤/ ٦٤.

الجيش، فلما وجدا ثابتاً وعكاشة تبارزوا فَقَتَلَ عُكَّاشَةُ حِبالَ بن طليحة، وقيل: بل كان قَتَلَ حِبَالاً قبل ذلك وأخذ ما معه، وحمَلَ عليه طليحة فقتله، ثم حمَلَ هو وأخوه سَلَمَةُ على ثابت بن أقرم فقتلوه أيضاً، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين، فَشَقَّ ذلك على المسلمين[1].

وَبلَغَ بَني أَسدٍ أَنَّ خَالد بنَ الوليدِ قَد دَنَا منْ أَرضِهم، فَأَقبلُوا عَلَى طليحة ابن خُوَيلدٍ، فقالُوا: يا أَبا عَامرٍ، إِنَّا نَظنُّ أَنَّ هذا الرَّجلَ قَد سارَ إِلَينا وذلكَ أَنَّا قَتلنَا ثَلاثةَ أَنفُسٍ من أَصحَابهِ، فَلَو بَعَثْتَ مَن يَتجَسَّس لَنَا خَبرَهُ، فقال طليحة مِن قرآنه (أرأيتم إِنْ بَعَثْتُمْ بِفَارِسَيْنِ، بَطَلَينِ عَلَى فَرَسَيْنِ، عَتِيقَينِ أدهَمَيْنِ، أَغَرَّيْنِ مُحَجَّلينَ، مِن بَنِي نَصْرِ بْنِ قُعَيْنٍ، أَتَيَاكُم مِنَ الْقَوْمِ بِعَيْنٍ) فقال لهُ بعضُ أصحابه: أبا عامرٍ، نشهدُ أنّك لَنَبيٌّ حقًّا، فليس هذا الكلامُ إلا من كلامِ الأنبياء[2].

ثُمّ بعث القومُ بفارسين على ما وَصَف طُليحةُ ليتجَسَّسا أخبارَ خالد بن الوليد، فرَجَعا يركُضان وهُما يقُولان: هذا خالدُ بنُ الوليدِ قد أقبلَ في المُهاجرين والأنصار، فازدادَ القومُ فتنةً إلى فتنتهم، وجعلَ طُليحةُ يُشجِّعُ أصحابَهُ ويقُولُ: يا معشرَ بني أسدٍ، لا يُهولَنَّكُم ما قد اجتمعَ إلى خالدٍ من هذا الجيش، فإنّهُم عَلى باطلٍ وغُرُورٍ، ألا تَرونهم يلُوذُون بهذِه الصّلاةِ وهُم يظُنُّون أنّهُم مُحْسِنُون، ولقد أتاني جبريلُ يُخبرُني عن ربِّي أنّهُ ليس يحتاجُ إلى تعفيرِ وُجُوهِكُم، وفَتْحِ أدباركُم، ولا يُرِيدُ منكُم رُكُوعًا ولا سُجُودًا، ولكن يُرِيدُ منكُم أنْ تذكُرُوهُ قيامًا وقُعُودًا، فامنعُوا القومَ أموَالَكُم كما منعتُمُوها في جَاهِليَّتِكُم[3].

---

(١) الثقاة لابن حبان٢/ ١٦٧.
(٢) الردة للواقدي ص٨٧.
(٣) الردة ص٨٧.

ثُمّ تقدّم إلى طُليحة بن خُويلدٍ جماعةٌ من أصحابه فقالُوا: يا أبا عامر، أنا قد أَضَرَّ بِنَا العطشُ، فهل عندك مِن حيلةٍ، فقال طُليحةُ: (نَعَم، ارْكَبُوا عِلَالا، فَاضْرِبُوا أَمْيَالا، وَجَاوِزُوا الرِّمَالا، وَشَارِفُوا الْجِبَالا، وَيَمِّمُوا التِّلالا، تَجِدُوا هُنَاكَ قِلالا)[1].

وأراد خالدٌ أنْ يبدأَ بقتال بني طيءٍ قبلَ مُصَادَمَةِ طليحةَ فخَرَج إليه عَدي بن حاتم الطائي فقال:أَنْظِرْنِي ثلاثةَ أيام، فإنهم قد اسْتَنْظَرُوني حتى يُعِيدُوا مَن ذَهَبَ منهم إلى طليحة، فإنهم يخشَوْن إنْ تَابَعُوكَ أن يَقْتُلَ طليحةُ مَن سارَ إليه منهم، وهذا أَحَبُّ إليكَ من أن يُقْتَلوا على الردة، فلما كان بعد ثلاثٍ جاءَه عديٌّ في خمسمائة مقاتل من طيءٍ ممن رجعَ إلى الحق[2]، فالْتَحقوا بجيش خالد، وقصدَ خالدٌ بجيشه إلى بني جَدِيلَة، فقال له عدي أيضاً: يا خالد، أَجِّلْنِي أياماً حتى آتِيهِم فَلَعَلَّ اللهَ أن يُنْقِذَهم كما أَنْقَذَ طَيْئا[3]، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تَابَعُوه، فجاء خالداً بإسلامِهم، ولَحِقَ بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خيرَ مولودٍ وأَعْظَمَه بَرَكَةٍ على قومه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4].

ثم سار خالد بجيشه حتى نزل على جَبَلَيْ أَجَأ وسَلْمَى ببلاد طيء، وهنالك الْتَقَى مع طليحةَ الأسدي بمكان يقال له: بُزَاخَة، ووقفت أحياءٌ كثيرة من الأعراب ينظرون على مَن تكونُ الدائرة، وجاء طليحةُ فيمن معه من قومِه ومن الْتَفَّ معهم وانْضَافَ إليهم، وقد حضر معه عيينةُ بن حِصن في سبعمائةٍ من قومِه بني فَزَارَة، واصطفَّ الناس، وجلس طليحة مُلْتَفاً في كساء له يتنبأُ لهم يَنْظرُ ما يُوْحَى إليه فيما يزعم، ولما انتهى خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمسلمين إلى عسكر طليحة وجدَه قد ضُرِبَت له قبةٌ من أُدْم وأصحابُه حولَه مُعَسْكِرُون،

(١) الردة ص٨٨.
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٤٩.
(٣) الطبري ٤/ ٩٤.
(٤) الكامل ١/ ٣٦٧.

فضرَب خالد عسكرَه على ميل أو نحوه من عسكرِ طليحة، واقتربَ الفريقان فجعل خالد على الميمنة عديَّ بن حاتم، وعلى الميسرة زَيْدَ الخَيل[1]، فاختَلَطَتِ الصفوفُ واختلَفَت السيوفُ وثَبتَ خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القتال فجعلَ يندفع بفرسه نحو الصفوف والمسلمون يقولون له: اللهَ اللهَ، احْفَظْ نفسَك فإنك أمير القوم ولا ينبغي لك أنْ تُهْلِكَ نفسك، فيقول: والله إني لأعرفُ ما تقولون ولكني والله ما رأيتُنِي أصبر، وأخاف هزيمة المسلمين[2].

وأخرج طليحة أربعين غلاماً من جُنْدِه فيهم الفتوةُ والقوةُ فَأَقَامَهُمْ في الميمنة وقال: اضربوا حتى تأتوا الميسرةَ وإذا وصلتم الميسرة فافعلوا مثل ذلك، وانهزم المسلمون وتراجعوا قليلا، فقال خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا رأى ذلك: يا معشر الأنصار، اللهَ اللهَ، واقتحمَ وسطَ القوم وَكَرَّ معه أصحابُه، وحينئذ اختلفت الصفوف، ونادى رجلٌ مِن طيء: يا خالد عليكَ باللجوء إلى جبلَيْ سَلْمى وأَجَا، فقال: بل إلى الله الملجأ، ثم حمل، فما رجع حتى لم يَبْقَ من أولئك الأربعين رجلٌ واحد[3].

وجعل عيينةُ يقاتل حتى إذا ضَجِرَ من القتال يجيءُ إلى طليحة وهو ملتفٌّ في كسائه فيقول: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي «إنَّ لكَ رَحَاءً كَرَحَاه، وحديثاً لا تَنْسَاه» فقال عيينة هازئاً: قد عَلِمَ الله سيكونُ لك حديثٌ لا تنساه[4]، ثم قال: يا بني فزارة وَيْحَكُم يَا بَنِي عَمِّي، هَذَا واللهِ رَجلٌ كذَّابٌ فانْصَرِفوا، وخرج عيينة منهزماً فانهزم الناس عن طليحة،فَقالَت نَوَّارُ امْرَأَةُ

(١) الردة ص٨٩.
(٢) الاكتفاء للكلاعي ٣/ ٢٤.
(٣) الاكتفاء ٣/ ٢٤.
(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٠.



طُليحَةَ: أَمَا إِنَّهُ لَو كَانَت لَكُم نِيَّةٌ صادِقَةٌ لَمَا انهَزَمْتُم عَن نبِيِّكُم، فَقَال لَهَا رَجلٌ منهم: يَا نوَّارُ، لَو كَان زوجُكِ هَذا نَبيًّا لَمَا خَذلَهُ رَبُّهُ[١].

فلما زحف المسلمون وفَرَّ عيينة مع بني فَزَارة رَكِبَ طليحة على فرس كان قد أَعَدَّها لنفسه، وأَرْكَبَ امرأته النوار على بعير له، ثم انهزمَ بها إلى الشام وتَفَرَّقَ جَمْعُه، وقد قتلَ الله طائفةً ممن كان معه، فلما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقعَ قالت بنو عامرٍ وسُلَيْم وهَوَازن: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، ونُسَلِّمُ لحكمه في أموالنا وأنفسنا[٢].

وأسر خالد عيينةَ بنَ حصن، وبعث به إلى المدينة مَجْمُوعَةً يداهُ إلى عنقه، فدخل المدينة وهو كذلك فجعل الوِلْدَانُ والغلمانُ يطعنونه بأيديهم ويقولون: أي عدوَّ الله، ارتددْتَ عن الإسلام؟ فيقول: والله ما كنتُ آمنتُ قَطّ[٣]، فلما وقف بين يدي الصديق استتابه وحقَنَ دمَه، ثم حَسُن إسلامُه بعد ذلك، وكذلك مَنَّ الصديق على قُرَّةَ بن هُبَيْرَة، وكان أحد الأمراء مع طليحة، وأما طليحة فإنه رَاجَعَ الإسلامَ بعد ذلك أيضاً، وذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق، واستَحْيَى أن يواجهه مدةَ حياته، وقد رجعَ فشهدَ القتالَ مع خالد، وكتب الصديق إلى خالد: أنِ اسْتَشِرْهُ في الحرب ولا تُؤَمِّرْه - يريدُ بذلك أن يعامله بنقيض ما كان قَصَدَه من الرياسة - وهذا من فقه الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه[٤].

وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي، فقال: إنه كان يقول: «الحمامُ واليمام، والصُّرَد

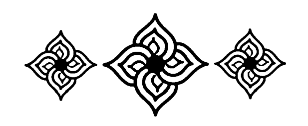
(١) الردة ص ٩١ و٩٢.
(٢) الكامل ١/ ٣٦٨.
(٣) أسد الغابة ٤/ ١٦٧.
(٤) البداية والنهاية ٦/ ٣٥٠.



الصَوَّام، قد صُمْنَ قبلكم بأعوام، لَيَبْلُغَنَّ مُلْكُنا العراقَ والشام»[1] إلى غير ذلك من الخرافات والهذيانات السَّمِجَة.

وأقام خالد ببُزَاخَة شهرا، يُصَعِّدُ فيها ويُصَوِّب ويرجع إليها في طلب المرتدين، فجعل يأخذ بثأر من قُتِلُوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حَرَّقَه بالنار، ومنهم من رَضَخَه بالحجارة، ومنهم من رمَى به من شَوَاهِقِ الجبال، كل هذا لِيَعْتَبِرَ بهم من يسمع بخبرهم من مُرْتَدَّةِ العرب[2].

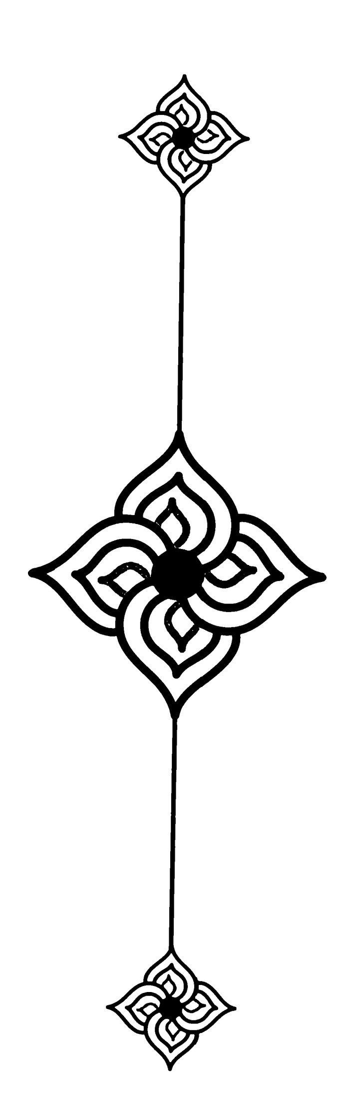
وقد حَسُنَ إسلامُ طليحة بن خويلد وكان في جيش المسلمين في فتوح بلاد فارس، واستشهد بِنَهَاوَنْد ببلاد فارس سنة ٢١هـ[3].



(١) السيرة الحلبية ٢/ ٦٣١.
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٥١.
(٣) أسد الغابة ٣/ ٦٦.

الفصل الثاني





المُخْتَارُ بنُ أبي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ ت٦٧هـ

لما قَتَلَ الحَجَّاجُ بنُ يوسف عبدَ الله بنَ الزبير وصَلَبَه سنة ٧٣هـ[١]؛ دخل الحجاجُ على أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال لها: يَا أُمَّاه، إنَّ أمير المؤمنين -يعني عبدَ الملك بن مروان- أوصاني بك، فهل لكِ مِن حاجة؟ فقالت: لَسْتُ لكَ بِأُمٍّ، ولكني أُمّ المصلوبِ على رأس الثَّنِيَّة، وما لِي من حاجة،ولكنْ انْتَظِرْ حتى أحدثَك بما سمعتُ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: «يَخْرُجُ مِن ثَقِيف كذابٌ ومُبِير»[٢] فأما الكذاب فقد رأيناه -تقصد المختارَ بن أبي عبيد- وأما المبير فأنت، فقال الحجاج: أنا مُبِير المنافقين[٣].

وروى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنَّ في ثقيف كذاباً ومُبِيرا»[٤].

---

(١) بعد وفاة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفض عبد الله بن الزبير مبايعة يزيد بن معاوية بالخلافة، وبعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعلن ابن الزبير نفسه خليفة للمسلمين، فأصبح ابن الزبير خليفةً في مكة ويزيد خليفةً في الشام، وبعد موت يزيد تولى مروان بن الحكم الخلافة، وظلت الأمور كما هي مع اتساع في ملك عبد الله بن الزبير، ولما مات مروان بن الحكم تولى من بعده ابنُه عبد الملك بن مروان، فجهز جيْشاً كبيراً تحت إمرة الحجاج بن يوسف الثقفي لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي تحصَّنَ في المسجد الحرام ومعه أتباعه، وجاء الحجاج بالجيش فنَصَبَ المجانيق وضرب الكعبة وما حولها بالحجارة والنار حتى هُزِمَ ابن الزبير، فقتله الحجاج وصلبه على مدخل مكة سنة ٧٣هـ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧١ رقم٨٦٠٢ وقال: صحيح الإسناد، والمبير: المُبِيدُ القَتَّال (ينظر: المنتخب من كلام العرب للأزدي ص٧٥٥).

(٣) أخبار مكة للفاكهي ٤/ ٣٤١.

(٤) صحيح مسلم ١٢ / ٣٨٠ رقم ٤٦١٧.

وروى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «إنه سيخرجُ من ثقيف كذابان، الآخر منهما شَرٌّ من الأولِ، وهو مبير»[1].

وروى الإمام الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «في ثقيف كذابٌ ومُبِير»[2]، قال أبو عيسى: يقال الكذابُ المختارُ بن أبي عُبَيْد والمبيرُ الحجاج بن يوسف[3].

ففي هذه الأحاديث خبر صادق عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كذاباً سيخرج من قبيلة ثقيف، فلما خرجَ المختار بن أبي عبيد الثقفي وادَّعى ما ادّعاه من نزولِ جبريل عليه بالوحي عَرَفَ الناس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقصدُه حين قال (يخرج من ثقيف كذاب).

وهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عَفْرَة بن عُمَيْرَة بن عوف بن ثقيف الثقفي، أسلَمَ أبوه أبو عبيد في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرَه، فلهذا لم يذكرْه أكثرُ الناس في الصحابة، وإنما ذكرَه ابن الأثير في أُسْدِ الغابة، وكان عمر قد بعث أبا عبيد هذا في جيش كثيفٍ لقتال الفُرْسِ سنة ١٣هـ، فقُتِلَ يومئذ شهيداً وقُتل معه نحوٌ من أربعة آلاف من المسلمين[4] عند الجسرِ الذي عُرِف باسمه بعد ذلك، وهو جسر على

(١) مسند أحمد ٦/ ٣٥٢ رقم ٢٧٠١٩ وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٩٢ رقم ٣٠٩٠ وصححه الألباني.

(٣) سنن الترمذي ٢/ ٩٢.

(٤) كانت موقعة الجسر سنة ١٣هـ، وكان جيش المسلمين بقيادة أبي عبيد على ناحية من نهر الفرات وجيش الفرس على الناحية الأخرى، وبين الناحيتين جسر عائم صغير كان الفرس قد صنعوه قديما، فأرسل الفرس إلى المسلمين (أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم) فقال أبو عبيد: لن يكونوا أجرأ على الموت منا، فلنعبر إليهم، فأفسح لهم الفرس وعبر المسلمون، ولم يتم عبور جيش المسلمين حتى حمل عليهم الفرس بخيلهم وفِيَلَتِهم فتقهقر المسلمون ونفرت الخيل من الفيلة وقُتِل أبو عبيد وغَرِقَ كثير من المسلمين في الفرات وقتلَ أكثرُ الجيش، فسمي الجسر من يومها جسر أبي عبيد. (ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ١٢٦ وما بعدها).

دجلة سُمِّي بجسر أبي عبيد، وكان له من الولد غير المختار صفية بنت أبي عبيد، وكانت من الصالحات العابدات.

وصفية هذه كانت زوجةَ عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان عبد الله لها مُكْرِمًا ومحبا، وماتت في حياته، وأما أخوها المختار هذا فإنه كان أولًا يُبْغِضُ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغضًا شديدا، وكان مقيماً عند عمه في مدينة المَدَائِن، وكان عمُّه نَائِبَها، فلما دخلها الحسين بن علي بعد أن خَذَله أهلُ العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه، قال المختار لعمه: لو أَخَذْتَ الحسينَ فبَعَثْتَه إلى معاوية لكانت لك عنده يدٌ بيضاء أبدَ الدهر، فقال له عمه: بئسَ ما تأمرني به يا بنَ أخي[1].

ثم دار الزمن بالمختار فصار من أنصار مسلمِ بن عَقِيل بن أبي طالب، وذلك أن الحسين بن علي أرسل مسلمَ بنَ عقيل إلى الكوفة ليأخذ له البيعة من أهلها، فتحول المختار إلى نصرة مسلم بن عقيل بن أبي طالب في دعواه، فظَفِرَ بهم عُبَيْدُ الله بنُ زياد نائبُ يزيد بن معاوية فقَتَلَ مسلمَ بنَ عقيل وحبس المختار بعد أن جَلَدَه مائة جلدة، فأرسل عبدُ الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية يتشفع فيه، فأرسل يزيد إلى نائبه ابنِ زياد فأطلَقَه وسَيَّرَه إلى الحجاز[2].

فلما خرج المختار من السجن صار إلى ابن الزبير بمكة فقاتَلَ معه حين جرت الحرب بينه وبين جيش الأمويين وحين حوصر في الكعبة، وكان المختار قد سأل ابنَ الزبير أن يكتب له كتابًا إلى ابنِ مُطِيعٍ نائبِه على الكوفة، فكتب ابن الزبير له كتاباً إلى ابن مطيع يأمره فيه باستشارة المختار والتعاون فيما بينهما لمحاربة بني أمية وأتباعهم[3].

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٣١٩.
(٢) البداية والنهاية ٨/ ٣١٩.
(٣) تاريخ دمشق ٥٨/ ٢٣٥.

فأخذ المختار كتابَ عبد الله بن الزبير وسار إلى الكوفة، فلما وصلها كان يُظْهِرُ مَدْحَ ابن الزبير في العلانية، بينما كان يسبه في السر ويمدح محمدَ بنَ الحَنَفِيَّة ويدعو إليه، وما زال يمكر ويرتب ويدبر حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بثأر الحسين، وبسبب ذلك التَفَّتْ عليه جماعات كثيرة من الشيعة، ثم طرد ابنَ مطيع عاملَ ابن الزبير منها، واستقر مُلْكُ المختار بها، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتذر إليه ويخبره أنَّ ابنَ مطيع كان مُدَاهِنًا لبني أمية، وأنه ما فعل ذلك إلا نصرةً له لما رأى ابن مطيع متهاوناً في تتبع أتباع بني أمية وقتلهم، وأنه مقيمٌ هو ومن معه على طاعة ابن الزبير، فصَدَّقَه ابن الزبير لأنه كان يدعو إليه على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس ويُظْهِرُ طاعته[1].

فلما استقر الأمرُ للمختار في الكوفة شرع في تَتَبُّعِ قَتَلَةِ الحسين ومَن شهد الوقعة بكربلاء مع ابن زياد من الذين شاركوا في قتل الحسين، فقَتَلَ منهم خَلقًا كثيراً، وظفر برءُوس كبارِهم وقادَتِهم كعُمَرِ بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذي قتل الحسين، وشَمِر بن ذِي الجَوْشَنِ أمير الألف الذين تولوا قتل الحسين، وسِنَان بن أبي أنس، وخَوْلِي بن يزيد الأَصْبَحِي، وغيرهم كثير[2].

وما زال يرتب أمورَه ويُقَوِّي جيشه حتى قرر أن يبعث قائد جيشه إبراهيم بن الأَشْتَر في عشرين ألفًا لمحاربة ابن زياد قائد جيوش بني أمية، وكان ابن زياد حين التقاه في جيشٍ أعظم من جيشه، حيث كانوا ثمانين ألفاً، وقيل ستين ألفاً، فقتلَ ابنُ الأشتر ابنَ زياد وكسرَ جيشَه وأخذ ما في معسكره، ثم بعث برأس ابن زياد ورؤوس أصحابه مع

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤١.

البشارة إلى المختار بن أبي عبيد، ففرح المختار بذلك فرحًا شديداً وبعث برأس ابن زياد ورأس حُصَيْن بن نُمَيْر ومن معهما إلى ابن الزبير بمكة، فأمر ابن الزبير بها فنُصِبَت على عَقَبة الحَجُونِ[1].

ولما استتبَّ الأمر للمختار بالكوفة بدأ يُظْهِرُ نِحْلَتَه الفاسدة، وظهرت عليه أمورٌ منكرة من الكذب والادعاء والكفر، فيذكر الإمام أحمد عن رفاعة القَبَّابي قال: دخلت على المختار فأَشارَ إِلَي وسادةً وقال: لو لا أن أخي جبريل قام عن هذه لألْقَيْتُهَا لك، قال رفاعة: فأردتُ أن أضربَ عنقه فذَكَرْتُ حديثًا حَدَّثَنِيه أخي عمرو بن الحَمِق، قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَيما مؤمنٍ أَمَّنَ مؤمنًا على دَمِهِ فَقَتَلَه فأنا من القَاتل بريءٌ»[2].

وروي عن الشعبي أنه قال: افْتَخَرْتُ على أهل البصرة بأهلِ الكوفة فَغَلَبْتُهُم، والأحنفُ بن قيس جالسٌ وهو ساكت لا يتكلم، فلما غَلَبْتُهُم غَضِبَ الأحنفُ وقال لخادمه: يا غلام هات الصحيفة، فأتاه غلامه بصحيفة فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنفِ بن قيس، أما بعد فويلٌ لبني ربيعة من مُضَر، فإنَّ الأحنفَ يُوْرِدُ قومَه سَقَر، حيث لا يَقْدِرُون على الصَّدر، وقد بلغني أنكم تُكذبوني، فإنْ كُذِّبْتُ فقد كُذِّبَتْ رسلٌ مِن قبلي، ولست بخيرٍ منهم والسلام»، يقول الشعبي: فلما قَرَأْتُه قال الأحنف: أخبِرْنِي يا شعبي عن هذا، أَمِنْ أهلِ البَصْرَةِ أو مِن أهلِ الكوفة؟ قلت: يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بَحْرٍ إنما كنا نَمْزَحُ ونضحك، قال: لَتُخْبِرَنِّي ممن هو، قلت: يغفر الله لك يا أبا بحر، قال: لتخبرني، قلت: مِن أهل الكوفة، قال: فكيفَ تُفَاخِرُ أهلَ البصرة وهذا مِنْكُم؟[3].

(١) سمط النجوم العوالي للعصامي ٢/ ١١٢.
(٢) مسند أحمد ٥/ ٢٢٣ رقم ٢١٩٩٧ وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ٣٠٣.

ولما وصلت هذه الأخبار إلى عبد الله بن عمر وقيل له إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال: صَدَقَ، فإن الله تعالى يقول ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[1] [الانعام: ١٢١].

وروى ابنُ أبي حاتم عن عكرمة قال: قَدِمْتُ على المختار فأَكْرَمني وأَنْزلني عنده، وكان يتعاهد مَبِيتِي بالليل، قال: فقال لي: اخْرُج فَحَدِّثِ الناسَ وذَكِّرْهُم بالله، قال: فخرجت فجاء رجل فقال: ما تقولُ في الوحي؟ فقلت الوحي وَحْيَان قال الله تعالى ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يوسف:٣] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [الأنعام: ١١٢] قال: فَهَمُّوا أن يأخذوني ويضربوني فقلت: مَالَكم؟! إني مُفْتِيكُم وضَيْفُكم، فتَرَكُوني[2]، وإنما أراد عكرمةُ بهذا القول أن يُعَرِّضَ بالمختار وكَذِبِه في ادِّعَائه أنَّ الوحيَ ينزلُ عليه[3].

وروى الطبراني من طريق أُنَيْسَة بنت زيد بن أَرْقَم أن أباها زيداً دخل على المختار بن أبي عبيد فأخبره المختار أنه لو تَقَدَّمَ في المجيءِ قليلاً وتَطَلَّعَ إلى مجلسه لرأى جبريلَ وميكائيل، فقال له زيد: خَسِرْتَ وتَعِسْتَ، أنت أَهْوَنُ على الله من ذلك، إنما أنت كذاب مُفْتَرٍ على الله ورسوله[4].

وقد مر أن الحجاج بن يوسف دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال: إن ابْنَكِ أَلْحَدَ في هذا البيت، وإنَّ الله أَذَاقَه مِن عذاب أليم، وفَعَلَ به وفَعَل، فقالت له: كذبت، كان بَارًّا بالوالدين صَوَّامًا قَوَّاما، والله لقد أخبرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول، وهو

(١) المعجم الوسيط ١/ ٢٨٣ رقم ٩٢٤.
(٢) البداية والنهاية ٨/ ٣٢١.
(٣) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار للصلابي ٢/ ٤٢٤.
(٤) البداية والنهاية ٨/ ٣٢١.

مبير»[١]، وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد[٢]، وكان يُظْهِرُ التشيع ويبطن الكهانة، وأَسَرَّ إلى أَخِصَّائِه أنه يُوحَى إليه، وكان قد وُضِعَ له كرسيٌّ يُعَظِّمُ ويَحِفُّ به الرجال، ويُسْتَرَ بالحرير، ويُحْمَلُ على البغال، وكان يُضَاهِي به تابوتَ بني إسرائيل المذكورَ في القرآن، ولا شكَّ أنه كان ضالًّا مُضِلًّا، وأما المبير فهو القَتَّال وهو الحجاج بن يوسف الثقفي نائب العراق لعبد الملك بن مروان[٣].

وروى عمرو بن مُرَّة عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «القرآن ما مِنْهُ حَرْفٌ - أو قال آية - إلا وقد عَمِلَ بها قوم، أو سيعملون بها» يقول عمرو بن مُرة: فكنت ذات مرة أقرأ قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام ٩٣] فَذَكَرْتُ قولَ ابنِ مسعود وقلتُ مَنْ عَمِلَ بهذه؟؟ حتى كان المختار بن أبي عبيد[٤].

ولما سُئِلَ عبيدةُ السُّلَيْمانِي عن أقوال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خروج الكذابين فقيل له: أَتَرَى هذا منهم - يعني المختار -؟ فقال عبيدة: أَمَا إنه مِن الرُّءُوس، فكان الكذاب هذا قد ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يَعْلَمُ الغيب[٥].

واتخذ المختار لنفسه كُرْسيًّا ادَّعَى أن فيه سِراً مثل تابوت بني إسرائيل، فَبِهِ يَنْزِلُ النصرُ، وبه تُقَادُ الجيوش، وبه تُدْحَرُ الأعداء، وهذا الكرسي له قصة طريفة تدل على دهاء المختار ومَكرِهِ بالناس، فعن طُفَيْل بن جَعْدَة بن هُبَيْرَة، قال: كان لي جارٌ زَيَّاتٌ له

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٢٥٤.
(٢) سنن الترمذي ٢/ ٩٢ رقم ٣٠٩٠.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ٣٢١.
(٤) غريب الحديث لابن سلام ٢/ ١٢.
(٥) سنن أبي داود ١/ ٤١٠ رقم ٣٧٧٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٩.

كرسي، فافْتَقَرْتُ يوماً واحْتَجْتُ إلى ما يُغْنِيني، فذهَبْتُ إلى المختار فقلت له: إني كنتُ أَكْتُمُكَ شيئا، والآنَ أَذْكُرُه لك، قال: وما هو؟ قلت: كرسيٌّ كان أبي جَعْدَةُ بن هُبَيْرَة يجلس عليه، وكان يرى أن فيه أَثَارَةً مِن عِلْمٍ وأنَّ فيه سِرّا، فقال المختار: سبحان الله، لِمَ لَمْ تخبرني به؟ فَجِيءَ به وعليه ستر، فأمر لي باثني عشر ألف درهم، ودعا بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: إنه لم يكن في الأمم الخالية أَمْرٌ إلا وهو كَائِنٌ فيكم مثله، وقد كان في بني إسرائيل التابوت، وإن فينا مثله، اكْشِفُوا هذا، فَكَشَفوا الأثوابَ التي على الكرسي، وقام أَتْبَاعُه فرفعوا أيديهم وافْتُتِنُوا به، فلما رآه ابنُ الأشْتر قال: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، هِيَ سُنَّة بني إسرائيل إذْ عَكَفُوا على العِجْل، وأَنْكَر عليهم شَبَث بن رِبْعِي فضربوه، فلما انتصر المختار على عبيد الله بن زياد وكسروا جيوشه الغفيرة افتتنوا بهذا الكرسي وتغالوا فيه، فلما زاد كلام الناس في الكرسي وزاد افتتان الناس به غُيِّبَ فلا يُدْرَى أينَ ذَهَبُوا به[1].

وكانت تحدث مع المختار أمورٌ قَدَرِيَّة صُدْفَةً فيظن أتباعُه أنها بترتيبه وأنه قد عَلِمَها مُسْبَقا، فيقول الشعبي: خرجت أنا وأبي في جيش المختار فقال لنا: أَبْشِروا، فإنَّ جيشَ الله قد قَتَلُوا أعداءَ الله وحَسُّوهُم بالسيوف بقُرْبِ نَصِيبِين[2]، ثم دخلنا المدائن وقام المختار خطيباً فجاءته البشرى بالنصر على جيش الأمويين في نواحي الموصل، فقال: ألم أبشركم بهذا؟ قالوا: بلى، فقال رجل من همَدَان للشعبي: أتؤمنُ الآنَ يا شَعْبِي؟ قال: بماذا؟ قال: بأن المختار يعلم الغيب، ألم يَقُلْ لنا إنهم هُزِمُوا؟ فقال الشعبيُّ: إنما زَعَمَ أن ذلك بِنَصِيبِين، بينما وَقَع ذلك في نواحي المَوْصِل، فقال لي: والله لا تؤمن يا شعبي حتى

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤١.
(٢) مدينة عامرة في طريق الموصل إلى الشام (ينظر: معجم البلدان ٥/ ٢٨٨).



ترى العذابَ الأليم[1]، وقال آخر: قد وَضَعَ المختارُ لنا اليومَ وَحْياً ما سَمِعَ الناسُ بمثْلِه، فيه نبأُ ما يكون[2].

فلما تَبَيَّن لعبد الله بن الزبير خداعُه ومكرُه وسوءُ مذهبه وكذبُه بعث أخاه مصعبًا أميرًا على العراق، فسار إلى البصرة فجمع العساكر ثم سار إلى المختار في جيش هائل في أول سنة ٦٧هـ، وكان المختار في نحوٍ من عشرين ألفا، فَحَملَ المختار على مصعبٍ مرةً فهزمه، ولكن لم يثبت أتباعُ المختار معه، فجعلوا ينصرفون إلى مصعب ويتركون المختار، ويَنْقِمُون عليه ما هو فيه من الكهانة والكذب، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الإمارة فحاصرَه مصعب فيه أربعة أشهر، ثم قَتَلَه في رابع عشر رمضان سنة سبع وستين، وله من العمر سبع وستون سنة، ثم قَطَعَ رأسَه وأمر بصلب كَفِّه على باب المسجد، وبعث مصعب برأس المختار على البريد إلى أخيه عبد الله بن الزبير، فوصل مكةَ بعد العشاء فوجدَ عبدَ الله يَتَنَفَّل، فما زال يصلي حتى جاءَ السحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس، فلما كان قريب الفجر قال: ما جاء بك؟ فألْقَى إليه الكتاب فقرأه، فقال: يا أمير المؤمنين معي الرأس، فقال: أَلْقِهِ على باب المسجد، فألقاه وقال: جَائِزَتِي يا أمير المؤمنين، فقال: جائزَتُك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق[3].

وزالت دولةُ المختار شأنُها شأن كل دولة تبنى على الباطل والزور.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤٢.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ٣٢٠.

الحارثُ بنُ سعيدٍ الكذاب ت٦٩هـ

كان الحارث بن سعيد مولى لرجل يسمى أبا الجَلَّاس العَبْدَرِي، وقيل بل كان مولى لمروان بن الحكم الخليفة الأموي الرابع، ويقال له أيضاً: الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقي، كان أصله من الحُولَة[1] فنزلَ دمشقَ وتَعَبَّدَ بها وتَنَسَّكَ وتَزَهَّد ثم مَكَرَ به الشيطان فجعل يُرِيه أشياء يَفْتِنُه بها لِيَظُنَّ أنه من الصالحين، فارتدَّ على عَقِبَيه وانسلخَ من آيات الله تعالى، وفارقَ حزبَ الله المفلحين واتَّبَعَ الشيطان فكان من الغاوين[2].

قال ابن أبي خَيْثَمَة: كان الحارثُ الكذاب من أهل دمشق، وكان له أبٌ بالحُولَة، فعرضَ له إبليس، وكان رجلاً متعبداً زاهداً لو لَبِسَ ثوباً من ذهب لَرُئِيَ عليه الزهد والعبادة، وكان إذا أخذَ بالتحميد لم يَسْمَعِ السامعون مثلَ تحميده ولا أحسنَ من كلامه، فكتب إلى أبيه وكان بالحُولَة يقول له: «يا أبتاه أَعْجِلْ عليَّ وائْتِنِي، فإني قد رأيت أشياءَ أَتَخَوَّفُ أن يكون الشيطان قد عَرَضَ لي» قال: فَزَادَه أبوه غَيًّا على غَيِّه وكتبَ إليه: «يا بني أَقْبِل على ما أُمِرْتَ به، فإنَّ الله تعالى يقول ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢] ولستَ بأفاكٍ ولا أثيم، فامْضِ لِمَا أُمِرْتَ به»[3].

(١) بين بَانيَاس وصُور، من أعمال دمشق (ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٢٣).
(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٤.
(٣) تاريخ الإسلام ٥/ ٣٨٧.

وكان يجيءُ إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذكرُ لهم أَمْرَه وما يجري معه ويأخذُ عليهم العهدَ والميثاق إنْ رَأَوْا ما يَرْضَوْه أن يتبعوه أو يكتموا أمرَه حتى يَتِمَّ، فكان بِحِيَلِهِ الشيطانية ودَجَلِهِ يُرِيهم الأعاجيب، حيث كان يأتي إلى رُخَامَةٍ في المسجد فَيَنْقُرها بيدِه فَتُسَبِّحُ تسبيحاً بليغاً يَسْمَعُه أهلُ المسجد حتى يَضِجَّ من ذلك الحاضرون[1].

يقول ابنُ تَيْمِية: كان يَنْقُرُ هذه الرخامةَ الحمراءَ التي في مقصورة المسجد فتسبح تسبيحاً يسمعه مَنْ حَوله، وكان زِنْدِيقا[2].

وكان الحارث يُطْعِمُهُم فاكهةَ الشتاءَ في الصيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء، وكان يقول لهم: اخْرُجُوا أُرِيكُم الملائكة، فيَخْرُجُ بهم إلى دَيْرِ المُرَّان[3] فيُرِيهم رجلاً أبيضَ الثياب على خيلٍ فَيَتبعُه على ذلك بَشَرٌ كثير، وشاع ذِكْرُهُ في المسجد وكَثُرَ أصحابُه وأتباعُه[4]، حتى وصلَ الأمرُ إلى القاسم بن مُخَيْمِرَة، فعَزَمَ أن يزور الحارث، فلما جاءه القاسم أخذ الحارث عليه العهدَ إنْ هو رضيَ ما يراه أن يَقْبَلَ ويَرْضَى ولا يعاند، وإنْ كَرِهَه كتَمَ عليه، ثم قال للقاسم: إني نَبِي، فقال القاسم: كَذَبْتَ يا عَدُوَّ الله، ما أنت نبي، ولكنكَ أحدُ الكذابين الدَّجَّالين الذين أخبرَ عنهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الساعةَ لا تقوم حتى يَخرجَ ثلاثون دَجَّالُون كذابون كلهم يزعمُ أنَّه نبي»[5] وأنت أحدُهم، ولا عهدَ لك عندي[6].

---

(١) تلبيس إبليس ص٣٣٤.
(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٥.
(٣) دير المُرَّان: عقبةٌ مشرفة على غُوطَةِ دمشق، والدَّيْر في سفح جبل قَاسيُون المطل على دمشق من الغرب (ينظر: غوطة دمشق لمحمد كرد علي ص ١٩٦).
(٤) البداية والنهاية ٩/ ٣٥.
(٥) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٢١٢ رقم ٤٣٣٥ وصححه الألباني.
(٦) تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٧.

ثم قام القاسم مسرعاً فخرج إلى أبي إِدْرِيس - وكان على القضاء بدمشق - فأَعْلَمَهُ بما سَمِعَ من الحارث، فأرسلَ أبو إدريس إلى الخليفة عبد الملك بن مروان بذلك(١).

ولما سمع عَالِمَا الشامِ مَكْحُولٌ وعبدُ الله بنُ زَائِدَة بالحارث دخلا عليه فدعاهما إلى نبوته، فكَذَّباه وَرَدَّا عليه ما قال، ثم دخلا على الخليفة عبد الملك فأَعْلَمَاه بأمره، فتَطَلَّبَه عبدُ الملك طلبًا حَثِيثاً(٢)، واخْتَفَى الحارثُ وفر إلى دارٍ منعزلةٍ ببيت المقدس يدعو إلى نفسه سرا، واهتم عبدُ الملك بشأنه اهتماماً كبيرا، وذات مرةٍ ركب عبد الملك إلى مدينة النَّصْرِيَّة فنزَلها، وخلالَ إقامَتِه بها وَفَدَ عليه هناك رجلٌ من أهل النَّصْرِيَّة ممن كان يدخل على الحارث وهو ببيت المقدس، فأخبرَ عبد الملك بمكان الحارث، وطلبَ من عبد الملك أن يبعثَ معه بطائفةٍ من الجند الأتراكِ لِيَقْبِضَ عليه، فأرسلَ الخليفةُ معه طائفةً من الجنود وكتب إلى نائب القدس ليكونَ في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يأمره به، فلما وصل الرجل إلى النصرية ببيت المقدس بمن معه انتدب نائب القدس لخدمته، فأَمَرَهُ النصريُّ أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعلَ مع كل رجل شَمْعَة، فإذا أَمَرَهُم بإشعالها في الليل أَشْعَلُوها كلُّهم في وقت واحدٍ في سائِرِ الطرق والأَزِقَّة حتى لا يَخْفَى أمرُ الحارث(٣).

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يتابع خبر الحارث يوماً بيوم، فكانت عيونُه تسير مع النَّصْرِي حيث سار، فذهب النصري بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث، فقال لِبَوَّابِه: اسْتَأْذِن لي على نبيِّ الله، فقال البواب: في هذه الساعة لا يُؤْذَن عليه حتى يصبح، فصاحَ النصريُّ:أَسْرِجُوا، فأشعلَ الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار، وهَمَّ

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٥.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٣٥.

(٣) تلبيس إبليس ص٣٣٥.

النصريُّ ليقبض على الحارث فاختفى منه في سِرْبٍ ضيق في آخر الدار، فقال أصحاب الحارث: هيهات يريدون أن يَصِلُوا إلى نبي الله، إنه قد رُفِعَ إلى السماء، فأَدْخَلَ النصريُّ يدَه في ذلك السرب فإذا بِثَوْبِ الحارث، فجَذَبَه فأخرَجَه، ثم قال لجنود الخليفة عليكم به، فأخذوه وقيدوه[1].

وعلى الرغم من وقوع الحارث في الأسر تجدُه لا يَنْفَكُّ عن غيه ولا يفارق أَمْرَ شيطانه، فإنه لما قيدوه بقيدٍ من حديدٍ سقَطَ القيدُ مِن عنقه مِرَاراً ويعيدُه الجنود إلى عنقه، وجعل يقول ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ ٥٠] وقال لأولئك الأتراك ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [غافر ٢٨] فقال له الجنود: هذا قُرْآنُنَا فَهَات قُرْآنَك[2].

وجاء البشير إلى عبد الملك بالقبض على الحارث، فلما انْتَهَوْا به إلى عبد الملك أمر رجالاً من أهل الفقه والعلمِ أن يَعِظُوه ويُعْلِمُوه أن هذا الذي به من الشيطان، فأَبَى أن يقبل منهم فَصَلَبه بعد ذلك، وهذا من تمام العدل والدين[3].

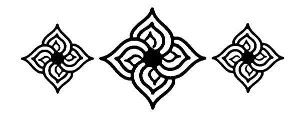
ولما صلبه على خشبةٍ أمرَ رجلاً فطَعَنَه بِحَرْبَةٍ فانْثَنَتِ في ضِلْعٍ من أضلاعه، فصاح بعضُ الجهلاء: إنَّ السلاحَ لا يَعْمَلُ في جسد الأنبياء، فقال عبد الملك للجُنْدِي: ويحَكَ أَذَكَرْتَ اسمَ الله حينَ طعنتَه؟ فقال: نسيت، فقال: ويحك سَمِّ اللهَ ثم اطْعَنْه، فذَكَر اسم الله ثم طَعَنه فقَتَلَه[4].

---

(١) تاريخ الإسلام ٥/ ٣٨٨.
(٢) تاريخ دمشق ١١/ ٤٣٠.
(٣) البداية والنهاية ٩/ ٣٦.
(٤) البداية والنهاية ٩/ ٣٦.



ولما قُتِلَ الحارثُ قال العلاء بن زياد العَدَوي: ما غَبَطْتَ عبدَ الملك بشيءٍ مِن ولايته إلا بقتله الحارث الكذاب، حيث إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ ثلاثون دجَّالون كذابون كلُّهم يزعم أنه نبي، فَمَنْ قَالَه فاقتلوه، ومَن قَتَلَ منهم أحداً فَلَهُ الجنةُ»(١).



(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١١/ ٤٢٧، وينظر الخبر في تاريخ الإسلام ٥/ ٣٨٩.

المُغِيرَةُ بنُ سعيدٍ البَجِلِيُّ (ت١١٩هـ)

كان المغيرةُ بن سعيد البجِلِي الكوفي ساحراً خبيثَ المذهب، ادَّعَى النبوة وفتنَ كثيراً من الناس، وتَكَوَّنَت فرقة باسمه تدعى (المُغِيرِيَّة) آمنوا بنبوته وأن الوحي ينزل عليه، فقد رُوي عن الأعمش أنه قال: سمعت المغيرة بن سعيد يقول:لو أَرَدْتُ أنْ أُحْيِيَ عَاداً أو ثمودَ وقُرُوناً بين ذلك كثيراً لأَحْيَيْتُهُم(١).

ويذكر عبد الرحمن بن أبي ليلى شيئاً من دَجَلِه وفِتْنَتِه للناس بأنه يعرف أخبارهم وإنما ذلك عن طريق الشياطين حيث قال: قَدِمَ علينا رجل من أهل البصرة يطلب العلم، فمكث عندنا، فأمرتُ جاريتي يوماً أن تشتري لي سمكاً بدرهمين، ثم انْطَلَقْتُ أنا والبصريُّ إلى المغيرة بن سعيد، فقال لي المغيرة: أَتُحِبُّ أنْ أخبرِكَ لِمَ افْتَرَقَ حاجباك؟ قلت: لا، قال: أفَتُحِبُّ أن أخبرَكَ لِمَ سَمَّاكَ أهلُك محمدا؟ قلت: لا، وإنما يُلِحُّ على ذلك من أجل أنْ أَتْرُكَ له فرصةً ليخبرني بشيءٍ من مَخْفِيِّ أَمْرِي حتى يَفْتَتِنَ به مَن حولَه ممن يَسْمَعُنا، وأنا أقول له لا حتى لا أُعِينَه على ذلك، فلما لم يَجِدَ فرصةً قال: أَمَا إنكَ قد بَعَثْتَ خَادِمَك يشتري لك سمكاً بدرهمين، قال: فَنَهَضْنا عنه وعَلِمْنَا أنه سَاحر(٢).

وكان المغيرة يقول: إن اللهَ على صورةِ رجلٍ على رأسه تاج، وإنَّ أعضاءَه على عدد

---

(١) الطبري ٤/ ١٥٧.

(٢) لسان الميزان لابن حجر ٦ / ٧٧.



حروف الهجاء[1]، وكان يقول: إن الله تعالى لما أراد أن يخلقَ تَكَلَّمَ باسمه الأعظم وطارَ سبحانه فوقع على تاجه، ثم كتب بإصبعه على كَفِّه أعمالَ عبادِه من المعاصي والطاعات، فلما رأى المعاصي تَصَبَّبَ عَرَقُه سبحانه، فاجتمع من عَرَقِه بحران أحدُهما مِلْحٌ مُظلم والآخر عذب نَيِّر، ثم اطَّلَع في البحر فرأى ظِلَّه فذهب لِيَأخُذَه فَطارَ الظلُّ فأَدْرَكَهُ اللهُ فَقَلَعَ عَيْنَيْ ذلك الظلِّ ومَحَقَه، فخَلَقَ من عينيه الشمسَ وسماءً أخرى، وخلقَ من البحر الملح الكفارَ، ومن البحر العذب المؤمنين[2]، وكان يقول بإلهيَّةِ عليٍّ وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا مَن ثبتَ مع علي، وكان يقول بتحريم ماءِ الفرات وكلِّ نهرٍ أو عينٍ أو بئرٍ وقَعَت فيه نجاسة[3].

وجاء المغيرة يوماً إلى محمد البَاقِرِ لِيُشْرِكَه معه في مذهبه الفاسد وقال له: يا محمد إنْ أَقْرَرْتَ أَنَّكَ تعلمُ الغيبَ لأَجْبِيَنَّ لك خراجَ العراق كله، فَنَهَرَهُ وطرَده، وجاء إلى ابنه جعفر بن محمد الصادق فقال له مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله![4].

وقد سمعه جماعة من الناس مرةً وهو يقول مفسراً قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل ٩٠] يقول: إن الله يأمر بالعدل (علي) والإحسان (فاطمة) وإيتاء ذي القربى (الحسن والحسين) وينهي عن الفحشاء (أبي بكر) والمنكر (عمر) والبغي (عثمان)، ويُحْكى عنه في تفسير قوله تعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ [الحشر ١٦]، أن الشيطان هنا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[5]

(١) الفصل في الملل ٤/ ١٤١.
(٢) الكامل ٢/ ٤١٩.
(٣) الكامل ٢/ ٤١٩.
(٤) الكامل ٢/ ٤١٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٧٥.
(٥) سيرة أمير المؤمنين علي للصلابي ٣/ ٧٢.

وكان الأعمش يذكر المغيرة دائماً ويقول: أدركتُ الناس يسمونه ومن معه (الكذابين) فاذْكُرُوهم عندَ الناس بالكذب فإني لا آمَنُهُم أن يقولوا وَجَدْنَا الأعمَش على امرأةٍ يزني بها[1]، ولا أَنْسَى أنَّ المغيرة بن سعيد أتاني مرةً فوَثَبَ مِن خارج البيت حتى صار في جَوفِه، فقلت: ما شَأْنُكَ تَثِبُ هكذا ولا تطرُقُ البابَ كما أُمِرْنا؟ قال: إنَّ حِيطانكم نجسةٌ فلا أَمَسُّها بيدي، فأَرَدْتُ أن أمْتَحِنَه بما يَدَّعيه في مذهبه فقلت: أكان عليٌّ يحيي الموتى؟ قال: إي والذي نفسي بيده لو شاءَ لأحيا عاداً وثمود، قلت: مِن أين عَلِمْتَ هذا الكلام؟؟ قال: إني أتيت رجلاً من أهل البيت فَتَفَلَ في فِيَّ فما بقيَ شيءٌ من علوم الدنيا إلا وأنا أعلمه، ثم تنفسَ الصُّعَدَاء، فقلت: ما شأنُك؟؟ قال: طُوبَى لمن رُوِيَ مِن ماء الفرات، قلت: كُلُّ الناس رُوِيَ مِن ماء الفرات، فليس للناس شرابٌ غيره، قال: أَتَرَى أن أَشْرَبَ منه؟ قلت: فَمِنْ أينَ تشربُ إنْ لم تَشْرَبْ منه؟ قال: مِن بئرٍ لبعضِ هؤلاء العامة، فالفراتُ يَحْرُمُ الشربُ منه[2].

وقال الجوزجاني: إنما كان سبب قتل المغيرة بن سعيد ادعاءَ النبوة، ورَوى أبو عُوَانة، عن الأعمش قال: أتاني المغيرة بن سعيد فذَكَر عَلياً وذكر الأنبياء ففَضَّلَ عَلِياً عليهم، ثم قال: كان عليٌّ بالبصرة فَأَتَاه أعمى فَمَسَح عَلِيٌّ بيده على عينيه فأبصر، ثم قال للأعمى: أتحبُّ أنْ تَرى الكوفة؟ فقال الرجل: نعم، قال: فأمَرَ عليٌّ بالكوفة فَحُمِلَت إليه حتى نظر إليها ثم قال لها: ارجعي، فَرَجَعَت، يقول الأعمش فقلتُ مُنْكِراً مُسْتَهْزِئا: سبحان الله سبحان الله، فلما رَأَى إنكاري عليه تركني وقام[3].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٧/ ٤٧٦.

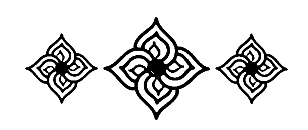
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي٦/ ٣٥٣.

(٣) تاريخ الإسلام ٧/ ٤٧٦، ضعفاء العقيلي ٤/ ١٧٩.

وفي يوم من الأيام كان المغيرة جالساً عند الشعبي، فأراد الشعبي أن يُعَرِّض بمذهَبِه الخبيثِ في سب الصحابة والطعن فيهم فقال: افْتَرَقَ الناسُ في عثمان وعليٍّ أرْبَعَ فِرَق، مُحِبٌّ لعليٍّ مُبْغِض لعثمان، ومحبّ لعثمانَ مبغض لعلي، ومحب لهما جميعا، ومبغضٌ لهما جميعا، قيل له: يا أبا عمرو مِنْ أيِّ الفِرَق أنت؟ فضَرَبَ على فَخذِ المغيرة بن سعيد وقال: إنِّي مُخَالِفٌ لهذا(١).

وروى فُضَيْلُ بن مرزوق، قال: سمعت الحسنَ يقول: دخل عليَّ المغيرة بن سعيد فذَكَرَ قرابتي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشَبَهِي به - وكنت أُشَبَّهُ وأنا شابٌّ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم لَعَنَ أبا بكر وعمر، فقلت: يا عدوَّ الله، أَتَلْعَنُهُما عندي!؟ ثم خَنَقْتُه - والله - حتى خَرَجَ لسانُه من فمه(٢).

وَجَدَّ خَالدٌ القَسْرِيُّ أميرُ العراقِ في طلب المغيرة وأصحابه حتى ظفرَ بهم، فلما جيءَ به ومعه ستة من أتباعه أمر خالدٌ بكرسيٍّ فأُخْرِجَ إلى صحن المسجد الجامع، فجلس واجتمع الناس من كل حدب وصوب، وأمر بأَطْنَانٍ من الأعوادِ والخَشَب والنِّفْطِ، ثم أمر المغيرة أن يَحْتَضِنَ طُناً منها، فَجَبُنَ وخاف، فَصُبَّت السياطُ على رأسه وجسده فاحْتَضَن طُناً منها، فَرُبِطَ فيه بالحديد ثم صُبَّ عليه وعلى الطنِّ نِفْطٌ ثم أُلْهِبَتْ فيهما النارُ فاحترقا، ثم أمر ببقية أتباعه فأحرقوا عن آخرهم، وكان ذلك سنة ١١٩هـ(٣).

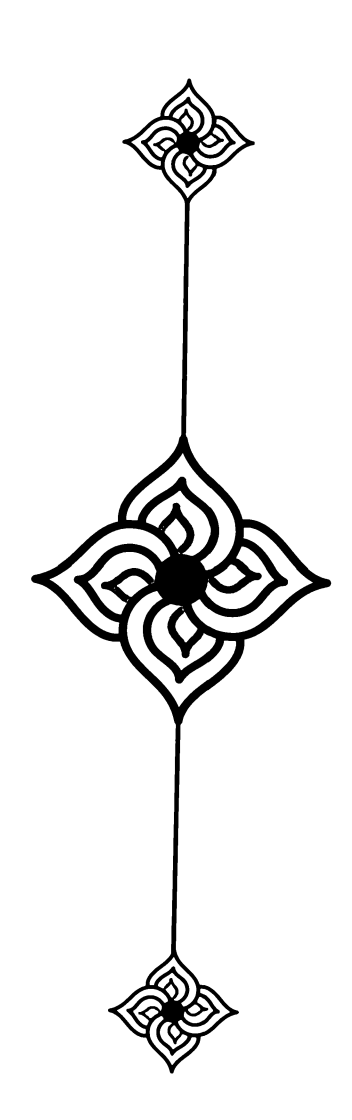


(١) تاريخ دمشق ٢٥ / ٣٧١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٦.
(٣) الطبري ٤/ ١٧٤.

الفصل الثالث



المُتَنَبِّئُونَ في العصرِ العباسِيِّ وما بَعْده



إِسْحَاق الأَخْرَس

في خلافة أبي العباس السَّفَاحِ الخليفة العباسي الأول ظَهَرَ بأَصْفَهَانَ رجل يعرف بإسحاق الأخرس، ادَّعَى النبوة وتبعه خَلقٌ كثير، وشاع ذكْرُه في أراض واسعة بين البصرة وعَمَّان، وفَرَضَ على الناس فرائضَ وسنناً وقسَّم لهم القرآن على ما أراد.

وكان مِن حديثه أنه نشأ بالمغرب فَتَعَلَّم القرآن ثم قرأ الإنجيلَ والتوراة وأَتْقَنَهُما إتقاناً كبيرا، ثم أتقنَ الشرائع، وعَلِمَ أخبارَ الأنبياء السابقين، ولم يدخل في علمٍ إلا أَتْقَنَه، ثم ادَّعى أنه أخرس لا يتكلم، ثم سافر إلى المشرق حتى نزل أصفهان، وعمل خادماً لأحد القائمين على مدرسةٍ كبيرةٍ هناك، فأقام بها عشر سنين وعَرَف جميعَ أهل أصفهان، رجالَها ونساءَها وكبارَها وصغارَها.

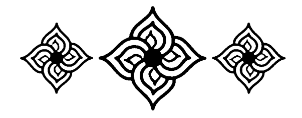
ثم أراد أن يَشْرَع في الدعوة إلى ما نواه، فصنع لنفسه أَدْهَاناً بِصَنْعَةٍ كيميائية مُتْقَنَة، فكان إذا دهنَ بها وجهه ينعكس الضوء على هذه الأدهان فلا يُمْكِنُ النظر إليه من شدة الأنوار، ثم نام يوماً في المدرسة وأغلقَ الأبواب، فلما نام الناس وهدأتِ الأصواتُ قام ودهنَ وجهه من ذلك الدهن، ثم أَوْقَدَ شمعتين عظيمتين، ثم صرخَ صرخةً أَزْعَجَتِ الناس، ثم أَتْبَعَها ثانيةً وثالثة، ثم انتصب في المحراب يصلي ويقرأ القرآن بصوت أطيب ما يكون، ونَغَمَةٍ أحسن ما يُسمع، فلما سمع فقهاء المدرسة هذا الصوت هَبُّوا نحوه مسرعين وأَشْرَفُوا عليه من خارج المدرسة وهو على هذا الحال، فحارت عقولهم من ضياءِ وجهِه وحلاوة منطقه بعد أن كان أَخْرَس، وأَخْبَرُوا كبيرَ المدرسين في المدرسة،

فجاء فأشرف عليه وهو على تلك الحالة، فلما رآه خَرَّ مغشياً عليه، فلما أفاقَ عمَدَ إلى باب المدرسة ليفْتَحَه ليدخلَ عليه فلم يقدر على ذلك، ثم خرج ومعه الفقهاء إلى القاضي، واتصل الخبر بالوزير، فلما علم الأخرسُ بذلك قام ففتحَ الأقفال وترك الأبواب على هيئة الإغلاق كما هي.

فلما اجتمع القاضي وكبراء البلد وعامةُ الناس على الباب اطَّلَعُوا عليه وقالوا له: بِالَّذِي أعطاك هذه الدرجَة افتح لنا أقفالَ الباب، فأشار بيده إلى الأبواب وقال: تَفَتَّحِي أَيَّتُها الأقفال، فَسَمِعُوا وَقْعَ الأقفال على الأرض فازداد الناس به افتتانا، فدخل الناس وسأله القاضي عن ذلك فقال: أنا منذ أربعين يوماً أَطَّلِعُ على أسرار الخلق وأراها عَيَانا، فلما كانت هذه الليلة أتاني مَلَكَان فأَيْقَظَاني وغَسَّلَاني، ثم سَلَّما عليَّ بالنبوة وقالا لي: السلام عليك يا نبي الله، فَخِفْتُ من ذلك وأَرَدْت أن أردَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فلم أستطع، فقال لي أحدهما: افتح فمك وقل بسم الله الأَزَلِيّ، ففتحت فمي وقلت في قلبي بسم الله الأزلي، فوضع المَلَكُ في فمي شيئاً أبيضَ لا أعلم ما هو، فهو أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأزكى من المسك، فلما دخل جوفي نَطَقَ لساني.

فكان أول ما قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال لي الملكان: وأنت أيضاً رسول الله حقًّا، فقلت: ما هذا الكلام أيها السادة؟ فقالا: إن الله قد بعَثَكَ نبيًّا، فقلت: وكيف ذلك والله تعالى قد أخبرنا عن سيد المرسلين محمدٍ أنه خاتم النبيين؟؟ فقالا: صَدَقْتَ، ولكنَّ الله أرادَ بذلك أنه خاتم النبيين الذين ليسوا على مِلَّتِه وشريعَتِه، أما النبيون الذين هم على شريعته فهم كثير، فقلت: إني لا أَدَّعِي ذلك ولا أُصَدِّق، وليس لي معجزات يصدقني بها الناس، فقالا: إن الله الذي أنطقك بعد الخَرَس هو من سَيُوْقِعُ صدْقَك في قلوب الناس، وأما المعجزات التي أعطاك الله إياها فهي أنك تعرف الكتبَ

المنزَّلة وتعرف شرائع الأنبياء وسُنَنَهم، ثم قالا لي: اقرأ الإنجيل، فقرأته، ثم قالا: اقرأ التوراة، فقرأتها، ثم الزبور كذلك، فقالا لي: قم فأَنْذِرِ الناس وخَوِّفْهم عذاب الله، ثم انصرفا عني، وهذا آخر خبري، فمن آمن بالله وبمحمدٍ ثم بي فهو مؤمن، ومن كَذَّبَ بي فقد عَطَّلَ شريعة محمد وأصبح كافرا، والسلام، فعند ذلك سمع له خلق كثير من العوام، وانتشر خبره ما بين البصرة وعمان، واستفحل أمره، ولم يزل كذلك حتى قُتِلَ في خلافة أبي جعفر المنصور، ولا يُدْرَى كيف قتل[1].



(١) المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، عبد الرحمن الجوبري ص ٤٣، ٤٤، والجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري ١/ ٣٩.

صَالِحُ بنُ طَرِيف

ولد صالح بن طَرِيف سنة ١١٠هـ، وهو ينتسب إلى قبيلة بَرْغَوَاطَة من أهل تَامَسْنَا[١] بالمغرب، وكان في أول حياتِه من أهل الخير، حيث يقول عنه ابن خُلْدُون: «وكان من أهل العلمِ والخير، ثم انْسَلَخَ من آيات الله وانْتَحَلَ دعوى النبوة، وشرَعَ لهم الديانة التي كانوا عليها مِن بعده زَمَنا»[٢]، وكان أبوه طريفٌ من الخوارج الصُّفْرِيَّة[٣]، ويذكر الناصِرِيُّ في كتابه الاسْتِقْصَا أنَّ صالحَ بن طريف يهودي الأصل من سِبْطِ شَمْعُون بن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه نشأ ببلاد المغرب ثم رحلَ إلى المشرق وقرأ على كبارِ المعتزلة واشتغلَ بالسحر وجَمَعَ منه فنونا، ثم قَدِمَ المغرب فنزل ببلاد تَامَسْنَا فوجد بها قبائلَ جُهَّالاً من البربر فاظْهَرَ لهم الصلاح والزهد ومَوَّهَ عليهم وخَدَعَهُم بلسانه، وسحَرهم بتَرْكِيبَاته الكيميائية فصَدَّقوه واتبعوه، فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآنا[٤]، وافتتنَ به جمعٌ غفيرٌ من أهل هذه المنطقة حتى كَوَّنوا طائفةً كبيرة بل دولة كبيرة، حيث تَكَوَّنت طائفةُ (البَرْغَوَاطِيَّة) في القرن الثَّانِي للهجرة في إقليم تَامَسْنَا أو ما يُسمى اليوم بالشَّاوِيَّة[٥].

(١) إقليم ببلاد المغرب قريبة من مدينة سَلَا (ينظر: معجم المؤلفين ٥/ ٧)

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٢٠٧.

(٣) الصُّفْرِيَّة فرقة من الخَوَارِج، أتْبَاع زِيَاد بن الأَصْفَر، وَقَوْلهمْ فِي الجُمْلَة كَقَوْل الأزَارِقَة فِي أَن أَصْحَاب الذُّنُوب مشركون، غير أَن الصفرية لَا يرَوْنَ قتل أَطْفَال مخالفيهم وَنِسَائِهِمْ كما يفعل الأزارقة (الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي ص٧٠)

(٤) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري ٢/ ١٥.

(٥) فقه التمكين عند دولة المرابطين ص٥١.

وصارت هذه الطائفة (البرغواطية) معقلَ صالح وأنصارَ دعوته، واستولوا على مساحات واسعة من أرض الإسلام، حيث كانت دولتُهم تمتدُّ من الرِّبَاط الحاليَّة إلى قاعِدَتِها البحرية التي كانت تنطلق منها الأساطيل، وهي مساحة شاسعةٌ جداً إذا ما قِيسَت بأن أَصْحَابَها أَهْلُ ملةٍ زائفةٍ وكفرٍ وضلال[١].

ونجد أن المؤرخين اختلفوا حول اسم بَرْغَوَاطَة، فبعضهم يرى بأنَّه لم يكن اسمًا لقبيلة مُعينة يجمعها أصل واحد أو أب واحد، بل كان اسمًا لأَخْلاطٍ من البربر اجتمعوا على شخص يهودي الأصل ادَّعى النبوة، اسمه صالح بن طريف بن شمعون البَرْبَاطِي، نسبة إلى وادي بَرْبَاط[٢] فى جنوب الأَنْدَلُس، فصارت كلمةُ بَرْبَاطِي تُطلق على كل من اعتنق ديانَتَه، ثم حُرِّفَت إلى بَرْغَوَاطِي[٣].

لكن ابن خلدون يرَى أن بَرْغَوَاطَة قبيلة من المَصَامِدَة[٤]، وأنَّ ملوكها كانوا من مَصَامِدَةِ المغرب[٥].

ومن عقائد هذه الطائفة الضالَّة اعتقادُهم بأنَّ صالحَ بن طريف هو المقصود بكلمة (صالح) في قوله تعالى في سورة التحريم: «وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» [التحريم٤] بل إنه كان يقول لقومه صراحة: أنا صالحُ المؤمنين المذكور في الآية[٦].

---

(١) فقه التمكين ص٥٥.

(٢) واد جنوب الأندلس يتبع مدينة شَذُونَة (ينظر: معجم البلدان ١/ ٣٦٨)

(٣) فقه التمكين ص ٥٥.

(٤) قبيلة كبيرة ببلاد المغرب منازلهم قريبة من جبل السوس، وهم يتفرعون إلى قبائل عديدة (ينظر: هامش ذيل لب اللباب في تهذيب الأنساب، شهاب الدين الوفائي الأزهري ص٢٣٩).

(٥) ابن خلدون ٢/ ٢١٠.

(٦) البيان المغرب لابن عذارى ص٢٣.

وزَعَمَ صالحٌ أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال المسيح الدجال، وأن عيسى ابنَ مريم يكون من أصحابِه ويُصلِّي خلفه[1].

وكان يزعم أن اسْمَه في اللسان العربي (صالح)، وفي السرياني (مالك)، وفي العجمي (عالم)، وفي العِبْرَانِيِّ (رُوبِيل)، وفي البَرْبَرِي (وَاربَا) ومعناه الذي ليس بعده نبي[2].

وأخذ صالح يشرع لأتباعه الشرائع والأحكام تقليداً للأنبياء، فشرَعَ لأتباعه صومَ رجبٍ مكانَ رمضان، وفي الوضوء شرع غسلَ السُرَّةِ والخَاصِرَتين بالإضافة إلى طريقة الوضوء عند المُسْلِمين، وفرض عليهم خمس صلوات في النَّهار وخمس صلوات في الليل، وبعضُ صلواتهم إيماءٌ بلا سجود، وبعضها على كيفية صلاة المُسْلِمين لكنهم يسجدون في آخر ركعة خمسَ سجدات، وعند ابتداء الصلاة يضع الواحد منهم إحدى يديه على الأخرى، ويقول بالبربرية: (ابسمن باكش)، وتفسيره باسم الله، ثم (مقر ياكش) أي الله أكبر، ويقولون في تسليمهم بالبربرية: (أيحن ياكش، ووردام ياكش) الله أحدٌ لا مثيلَ له[3].

وكان من جملة شريعته أنه أمَرَهم أن يُخْرِجوا عُشْرَ أموالِهم مِن جَمِيع الثمارِ وأباح لهم أن يَتَزَوَّجَ الرجل من النساء ما شاء، ولا يتزوج من بناتِ عمه، ويُطَلِّقُونَ ويُرَاجِعُون ألفَ مرةٍ في اليوم فلا تَحْرُم عليهم المرأةُ بشيء من ذلك، وأمَرَهم بقتلِ السارق حيث وُجِدَ وزعم أنه لا يُطَهِّرُهُ من ذنبه إلا السيف، وأن الدِّيَةَ تكون من البقر، وحرم عليهم رأسَ كلِّ حيوان، وأن الدجاجةَ مكروهٌ أكلُها، ومن ذبحَ دِيكاً أو أَكَلَه أعتقَ رَقَبة، وأمرهم أن يَلْحَسُوا بُصَاقَ وُلَاتِهم على سبيل التَّبَرُّكِ، فكان يَبْصُقُ في أَكُفِّهِم فيلحسونه

(١) دولة المرابطين ص٥٦.
(٢) العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي ص١٠.
(٣) الاستقصا ١/ ١٧٠، والبيان المغرب ص٩٧.

ويَحْمِلُونَه إلى مَرْضَاهم يَسْتَشْفُون به، وحرَّم الحوت - أي السمك وأمر ألا يُؤكَل سمكٌ إلا أن يُذَكَّى -أي يُذبح- والبيضُ عندهم حرام، وأنَّ الأضحية واجبةٌ على كل شخص في الحادي والعشرين من المحرم، وأمرهم أن لا يغتسلوا من جنابة إلا من حرام إلى غير ذلك من التعاليم الشيطانية، ووضع لهم قرآناً يقرؤونه في صلواتهم ويتلونه في مساجدهم وزعم أنه نزلَ عليه وأنه وَحْيٌ من الله تعالى إليه، ومَن شكَّ في ذلك فهو كافر، والقرآن الذي شرعه لهم ثمانون سورة سماها لهم بأسماء النبيين وغيرهم، منها سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هارون وسورة بني إسرائيل وسورة الأسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجمل وسورة الديك وسورة الحِجْل وسورة الجراد وسورة هاروت وماروت وسورة إبليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم، حرَّم فيها وحَلَّلَ وشرَع وفَصَّل، وتَسَمَّى فيهم بصالحِ المؤمنين[1].

وقد كانت تعاليمُ هذه الدولة الكفرية متأثرةً بتعاليم اليهود المنحرفة، وكذلك ببعض التعاليم الإسلامية، حيث يُمْكِنُنَا أن نقولَ إنَّها ديانة مشوَّهَةٌ للإسلام تعمل للقضاء عليه، وكان أهل السنة والجماعة ينظرون إلى هذه الدولة على أنها دولةٌ مجوسيةٌ منحرفةٌ مارقةٌ عن الدين الحنيف، ولهذا قَاتَلَهم المسلمون واسْتَحَلُّوا دماءهم[2].

ثم خرج صالح مهاجراً إلى المشرق سنة ١٧٤هـ بعد أن مَلَكَهم سبعاً وأربعين سنة، ووَعَدَهم أنه سيرجع إليهم في دولةِ الأميرِ السابعِ من أبنائه[3]، ولم يَرَه أحدٌ بعد

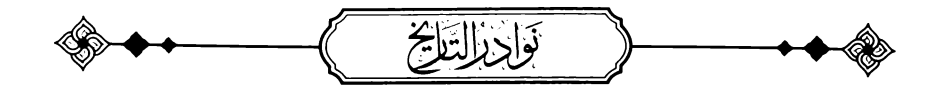
(١) الاستقصا ١/ ١٧٠ و١٧٢.
(٢) دولة المرابطين ص٥٧.
(٣) الاستقصا ٢/ ١٦.

ذلك، وكان قد أَوْصَى بنيه بالتمسك بدينه، فتوارَثوا ضلاله من بعده إلى أواسط المائة الخامسة، حيث أوصى صالحٌ بشريعته إلى ابنه إِلْيَاس بن صالح، ولم يزل إلياسُ مُظْهِراً للإسلام ليخدَع الناس، مُصِرًّا على ما أوصاه به أبوه من كلمة الكفر، وكان متظاهراً بالعفاف والزهد إلى أنْ هَلَكَ سنة ٢٢٤هـ، ثم تولَّى مِن بعده ابنُه يونس بن إلياس فأظهرَ دينَهم ودعا إلى كفرهم، وقَتَلَ من لم يدخل في أمره، حتى أنه أَحْرَق مدناً كثيرة، وهلك سنة ٢٦٨هـ[١].

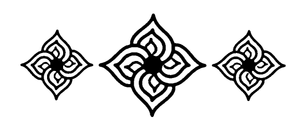
وظل أَمْرُهُم هكذا يصيرُ من واحدٍ إلى الذي يليه إلى أن جاءت دولة المُرَابِطِين ودخلوا أرضَ المغرب وفتحوا بلاد تَامَسْنَا وما حولَها، فأخبرَ الناسُ قائدَ المرابطين عبدَ الله بن ياسين بأنَّ بِسَاحِلِهَا قبائلَ بَرْغَوَاطَة في عدد كثير وجمع عظيم، وأنهم مجوسٌ أهلُ ضلالة وكفر، وأخبروه بما تمسكوا به من ديانتهم الخبيثة، وقيل له إن برغواطة قبائل كثيرة وأخلاطٌ شتى اجتمعوا في أول أمْرِهم على صالح بن طريف المتنبئ الكذاب، واستمر حالهم على الضلالة والكفر إلى الآن، فلما سمع عبدُ الله بنُ ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الكفر رَأَى أن الواجب تقديمُ جهادهم على جهاد غيرهم، فسار إليهم في جيوش المرابطين، والأميرُ على بَرْغَوَاطةِ هو أبو حفص عبد الله من ذرية صالح بن طريف، فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحمُ وحروبٌ طويلة مات فيها من الفريقين خلق كثير، وأصيب فيها عبدُ الله بن ياسين قائدُ المرابطين فكان فيها شَهَادَتُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

ولما مات ابن ياسين تَسَلَّمَ الأمرَ مِن بعده الأميرُ أبو بكر بن عمر، فكان أولَ ما فعله بعد تجهيزِه إياه ودَفْنِه أنْ زَحَفَ إلى برغواطة سنة ٤٥٠هـ مصمماً في حربهم متوكلاً على

(١) تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢٠٧.
(٢) الاستقصا ٢/ ١٨.



الله في جهادهم، فَأَثْخَنَ فيهم قَتْلاً وَسَبْياً حتى تفرقوا في المَكَامِن والجبال والكهوف، واسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُم وقطع دابِرَهم، وأسلم الباقون إسلاماً جديدا، ومَحَا أبو بكر بن عمر أثَرَ دعوتِهم من المغرب جميعه، وجمع غنائِمَهُم وقَسَّمَها بين المرابطين[1].



(١) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب ٢/ ١٨٢.

حَامِيمُ بنُ مَنِّ اللهِ بنُ جَرِير (ت ٣١٥هـ)

في سنة ٣١٣هـ ظهر رجل في المغرب في جبال غُمَارَة[١] قريباً من مدينة تَطْوَان اسمه حَامِيمُ بنُ مَنِّ الله، وكنية أبيه (أبو يَخْلُف)، وأصله من قبيلة مَحْسَكَة، وكان أهلُ غمارة كما وصفهم ابن خُلدون «عَرِيقُون في الجاهلية، بل الجَهَالة، والبعدِ عن الشرائع بسببِ البَدَاوَةِ والانْتِبَاذِ عن مواطن الخير»[٢].

ولما ظهر هذا الكذاب لقَّبَه المسلمون بـ (المُفْتَرِي) واجتمع إليه كثيرٌ من عوام غمارة وأَقَرُّوا بنبوته، وإمعاناً في خداع الناس لم يُنْكِرْ نُبُوَّةَ رسول الله ﷺ، بل أَخْبَرَهُم أنه جاء ليكمل ما بدأه رسول الله ﷺ[٣].

وشَرَعَ لهم شرائعَ وعبادات وصَنَعَ لهم قرآناً كان يتلوه عليهم بلسانه، فمما شرع لهم صلاتان في كل يوم، واحدة عند طلوع الشمس والأخرى عند غروبها، ثلاث ركعات في كل صلاة، ويسجدون وبُطُونُ أيديهم تحتَ وجوههم، ومِن قرآنهم الذي كانوا يقرؤونه بعد تهليلٍ يهللون به بلسانهم «خَلِّنِي من الذنوب يا من خَلَّى النظرَ يَنْظُرُ في الدنيا، أَخْرِجْنِي من الذنوب يا مَن أَخْرَجَ يونسَ مِن بطن الحوت وموسى من البحر»ثم يقول في ركوعه: «آمنتُ بِحَامِيم وبِأَبِيه أبي يَخْلُف مَنِّ الله، وآمَنَ رأسِي وعَقِلِي

(١) سلسلة جبال صغيرة على شاطئ البحر (ينظر: الروض المعطار للحميري ص٢١١).
(٢) ابن خلدون ٦/ ٢١٦.
(٣) الاستقصا ١/ ٢٤٨.

ومـا يُكِنُّهُ صدري وما أحاطَ به دمي ولحمي، وآمنْتُ بتَالِيَةَ عَمَّةِ حَامِيم أختِ أَبِي يَخْلُف مَنِّ الله» ثم يسجد[1].

وكانت تَالِيَةُ عمةَ حاميم هذه امرأةً كاهنة ساحرة، وكان حاميمُ يُلَقَّب بالمفتري، وكانت أختُه دَبُو كاهنة ساحرة أيضاً، وكانوا يستغيثون بها في الحرب والقَحْط[2].

وفَرَض حاميم على قومه صومَ الاثنين، وصومَ الخميس إلى الظهر، وصوم الجمعة، وصوم عشرة أيام من رمضان، ويومين من شوال،ومن أفطر في يوم الخميس عمداً فكفارته أن يتصدق بثلاثة ثيران،ومن أفطر في يوم الاثنين فكفارته أن يتصدق بثورين، وفرض عليهم في الزكاة العُشْرِ في كل شيء، وأسقط عنهم الحج والوضوء والغسل من الجنابة، وأَحَلَّ لهم أكلَ الأنثى من الخنزير وقال: إنما حَرَّمَ قرآنُ محمد الخنزيرَ الذكر، وأمرَ أن لا يؤكلَ الحُوتُ إلا بذكاة، وحرَّم عليهم أكلَ البيض وأكلَ الرأس من كل حيوان[3].

ويقول أحد شعراء المغرب عن هذا الكذاب ومِلَّتِه الفاسدة:

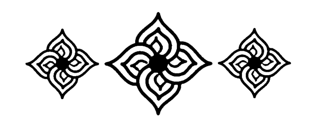
وقالوا افتراءً إنّ حَامِيمَ مُرْسَلٌ	إليهم بدينٍ واضحِ الحقِّ بَاهِرِ
قلتُ كذبْتُم بَدَّدَ اللهُ شَمْلَكُمْ	فما هو إلّا عَاهِرٌ وابنُ عَاهِرِ
فإنْ كانَ حاميمٌ رسولاً فإنّني	بإرْسَالِ حَاميمٍ لَأَوَّلُ كَافِرِ
أحاديثُ إِفْكٍ حَاكَ إبليسُ نَسْجَهَا	يُسِرُّونَهَا واللهُ مُبْدِي السَّرَائِرِ

(١) الاستقصا ١/ ٢٤٨.
(٢) ابن خلدون ٦/ ٢١٦.
(٣) الاستقصا ١/ ٢٤٨.



رَوَوْا عن عجوزٍ ذاتِ إِفْـكٍ فَهِيمَةٍ تُـفَـاوِقُ في أَسْحَارِها كلَّ ساحرِ[١]

فلما شاع ذِكْرُه بين العامة بعثَ إليه عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس جيشاً، وجمع حاميمُ أتباعه وصَفَّهُم عندَ قصر مَصْمُودَة قريباً من طَنْجَة، فالتقى الفريقان ودارت المعركة التي لم تَدُم طويلا، فسرعان ما انهزم حاميم وأتباعه، وقُتِلَ حاميمُ وصُلِب بالقصر المذكور، وبعثوا برأسه إلى الناصر بقرطبة، ورجع مَن بقي من أتباعه إلى الإسلام، وذلك سنة ٣١٥هـ[٢].



(١) البيان المغرب ص٨٣، والمسالك والممالك للبكري ٢/ ٧٧٧.

(٢) ابن خلدون ١/ ٢٤٩.

عاصمُ بنُ جَمِيل ت ١٤٠هـ

كان حبيبُ بن عبد الرحمن - وهو حفيدُ عقبةَ بنِ نَافِعِ الفِهْرِيّ - أميراً لإفريقية وبلاد المغرب سنة ١٣٩هـ، وكان أحد الشجعان المشهورين، وكان أبوه عبد الرحمن والياً لهذه البِقَاع مِن قِبَله، وأثناء ولاية أبيه قامَ عمُّه إلياس بقتل أبيه، فنَهَضَ حبيبُ بن عبد الرحمن بعد مقتل أبيه وجمعَ الجيوش لمحاربة عمه إلياس، وظلت الحروب بينهما زمناً حتى انتصر حبيب واستطاع قتلَ عمه إلياس[١].

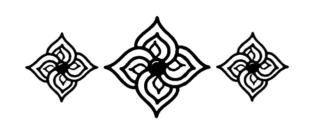
ولما قَتَلَ حبيبٌ عمَّه إلياس هرب عمُّه الآخر عبدُ الوارث بن حبيب ومن كان معه إلى جماعة من البربر يقال لهم (وَرْفَجُومَة) لاجئين إليهم، وكان الأمير على وَرفَجُومَة عاصمُ بن جميل، وهو ابنُ أختِ طارِقِ بن زِيَاد، وكان من الخوارج الصفرية، وكَانَ عاصم هذا قَدِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَالْكَهانَةَ، فبدَّلَ الدِّينَ وزَادَ في الصَّلَاةِ وأَسْقطَ ذِكْرَ النبيّ ﷺ مِنَ الْأَذانِ[٢]، فكتب إليه حبيبٌ يأمره أن يرسلَ إليه الفَارِّين، فلم يفعل عاصم، فزحف إليه حبيب ولَقِيَهُ عاصمُ بن جميل ومعه كلُّ مَن هَرَبَ مِن حبيب، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم حبيب وفَرَّ إلى قَابِسْ[٣].

(١) الاستقصا ١/ ١٧٨.
(٢) الكامل ٤/ ٣٢٦.
(٣) ابن خلدون ٤/ ١٩١.

وكان حبيب إذا خرج لملاقاةِ عَدُوِّه استخلفَ على القيروان أبا كُرَيْبٍ القاضي، فلما انهزم وفر إلى قابس كتب بعض أهل القيروان إلى عاصم بن جميل ومَن معه لِيَقْدِمُوا عليهم ويَتَسَلَّموا البلد، وظنوا أنهم يُوفُونَ لهم بالعهد، فزحف عاصم بن جميل وأخوه مُكَرَّم من كان معهم من البربر ومن لجأ إليهم من العرب بعد أن هَزَمُوا حبيباً وساروا إلى القيروان[١].

فلما دنا جيش عاصم من القيروان خرج القاضي أبو كُرَيب ومعه جماعة من أهل القيروان لِصَدِّهم، فهجم عليهم جندُ عاصم بن جميل وقتلوا منهم جماعة، وتفرقَ الناسُ مِن حول القاضي ورجعوا إلى القيروان، ولم يعلموا ما يَحِلُّ بهم من البربر إن هم دخلوا عليهم المدينة، وثَبتَ أبو كريب في نحو ألفِ رجلٍ من أهل الدِّين، مُسْتَسْلِمِين للموت، فقاتلوا حتى قُتِلَ أبو كريب وأكثرُ أصحابه، ودخل عاصمٌ ومن معه القيروان، ولما استوثَقَ عاصمٌ من المدينة أباحَ لجنوده كلَّ شيء، فاستَحَلُّوا المحارم، وارتكبوا الكبائر[٢].

واستراحَ عاصمٌ ومَن معه بالقيروان أياماً ثم استخلف عل القيروان أحدَ رجاله وسار إلى حبيبٍ المتَحَصِّنِ في قابس، فلما سمع به حبيب فرَّ ولَحِقَ بجبلِ أُورَاس، فسار إليه عاصم والتقى الفريقان في معركة طاحنةٍ فهَزَمَه حبيب، وقتَلَه مع جُمْلَةٍ من أصحابه سنة ١٤٠هـ[٣].



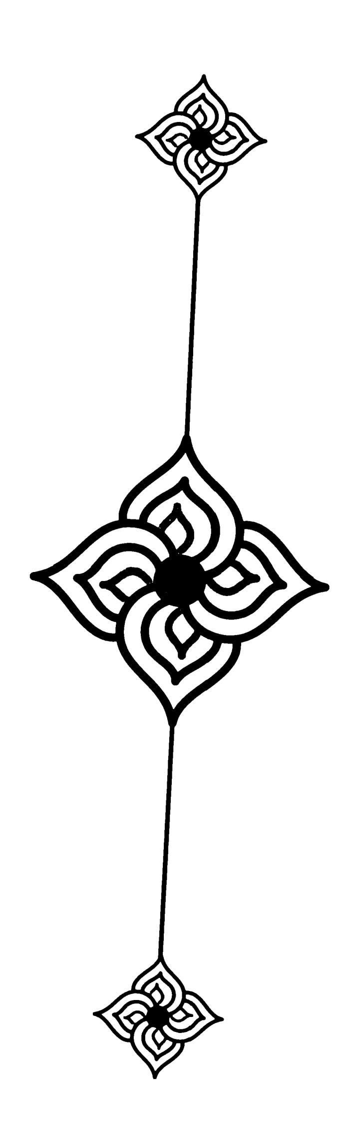
(١) البيان المغرب ص٢٩.

(٢) الاستقصا ١/ ١٧٨.

(٣) البيان المغرب ص٢٩.

الفصل الرابع







(جُنْدُبُ بنُ كُلْثُوم)

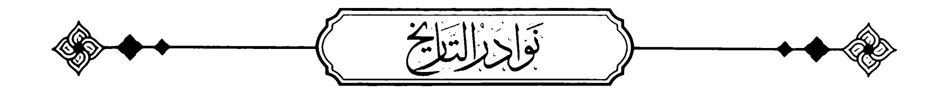
ذكر الوَاقِدِيُّ[1] أن رجلًا من بني يَرْبُوع يقال له جُندب بن كلثوم، كان يلقب بـ (كَرْدَان)، ادَّعَى النبوة على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يزعم أن دَلِيلَة على نبوته أنْ يَجْعَلَ مَسَامِيرَ الحديدِ والطين تضيءُ كالسراج، وهذا لأنه كان يَعتمد على حيلةٍ كيميائية يَجْهَلُها الناس، حيث كان يَطْلِي مساميرَ الطين والحديد بدهنِ البَيْلَسَان[2]، فعندما تَعْمَلُ فيه النارُ يُضِيءُ كأنه سِرَاج[3].

***

(كَهْمَسُ الكِلَابِي)

ادَّعى النبوةَ رجلٌ يقال له كَهْمَسٌ الكِلابي[4]، وكان يزعم أن الله تعالى أوحى إليه قرآناً منه «يَا أيها الجائعْ، اشْرَبْ لَبنًا تَشْبَع، ولا تضربِ الذي لا يَنْفَع؛ فإنه ليس بِمُقْنِعْ» وزعم أن دليلَه على نبوته أنه يُطْرَح بين السباعِ الضارِيَة فلا تأكله، وحِيلَتُه في ذلك أنه يأخذُ دهنَ الغَارِ[5] وحَجَرَ البَرْسَان[6]، وقُنْفُذًا[7] مُحَرَّقًا، وزَبَدَ البحر، وصَدَفًا مُحَرَّقًا مسحوقًا،

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٤١٨.
(٢) البَيْلَسَان: شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد، وهو من الفصيلة البُخُورِية، ويستخرج من بعض أنواعه عطر (ينظر: صيد الخاطر ص٤١٨).
(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٤١٨.
(٤) لم أقف على ترجمته، وإنما ذكر ابن الجوزي اسمه فقط.
(٥) شجر ينبت في سواحل الشام وجبالها، طيب الرائحة، وَرَقُه دائم الاخضرار، وخشبة صلب، يستخرج منه عطر (ينظر: صيد الخاطر ص٤١٩).
(٦) لم أقف عليه.
(٧) القُنْفُذ: الحيوان المعروف الذي يمتاز بشوك يغطي جسمه.



وشيئًا من الصَّبْرِ[١] والخَبَطِ[٢]، فَيَطْلِي به جسمَه؛ فإذا قربت منه السباع فشَمَّت تلك الأَرْيَاحَ المُنْتِنَةَ الكريهةَ نفَرت[٣].

***

(أبو جَعْوَانَة)

وتنبأ بالطائفِ رجل يقال له: أبو جَعْوَانَة العامري[٤]، وزعَمَ أن دليلَه أنه يَطْرَحُ القطنَ في النار فلا يحترق، وهي حيلة ساذجةٌ، لأنه يَدْهِنُه بدهنٍ معروف يمنعه من الاحتراق[٥].

***

(هُذَيْلُ بنُ يَعْفُور)

وادعَّى النبوة رجل من بني سعد بن زهير يسمى هذيل بن يعفور، حكَى عنه الأصمعيُّ أنه عارَضَ سورةَ الإخلاص، فقال: «قُلْ هُوَ الله أحد، إلهٌ كالأسدْ، جالسٌ على الرَّصَدْ، لا يَفُوتُه أحدْ»[٦].

***

(١) الصَّبرُ: عصارة شجر كريه الرائحة (ينظر: العين للخليل بن أحمد ٧/ ١١٥).
(٢) الخَبَط: ورق العِضَاهِ، والعِضَاهُ شجر له شوك (ينظر: العين ١/ ٩٩).
(٣) صيد الخاطر ص٤١٩.
(٤) لم أقف على ترجمته.
(٥) صيد الخاطر ص٤١٩.
(٦) صيد الخاطر ص٤١٩.



(حَنْظَلَةُ بنُ يزيد)

ومنهم حنظلة بن يزيد الكوفي، كان يزعم أن دليلَه على نبوته أنه يُدْخِلُ البيضةَ في الزجاجة ويخرجها منها صحيحة غير مكسورة، وذلك أنه كان يَنْقَعُ البيضةَ في الخَلِّ الحامِضِ، فَيَلِينُ قِشْرُها، ثم يَصُبُّ ماءً في الزجاجة، ثم يدفعُ البيضة في الزجاجة، فإذا دخَلَتِ البيضةُ وخالَطَتِ الماء صَلُبَ قِشْرُها، فيرَاها الناس بيضةً سليمةً صَلْبَةً داخلَ الزجاجة[1].

***

(بَيَانُ بنُ سَمْعَان التَّمِيمي)

في عهد بني أمية ظهرَتْ فرقةٌ مَارِقَة تسمى (البَيَانِيَّة) ادَّعوا أن لهم نبياً أرسلَهُ الله إليهم، وهو بيانُ بنُ سمعان، وقد اختلفت البيانية في بيان هذا، فمنهم من زَعمَ أنه نبي جاء لِنَسْخِ بعضِ شريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم من زعم أنه إِلَه[2].

وكان بيانُ لعنه الله يقول إنَّ الإلهَ الذي يعبده نورٌ مُكَوَّنٌ من أعضاءَ مثل أعضاءِ البَشَر، وأنه يَفْنَى كلُّه إلا وجهَه فقط، وظنَّ المجنونُ أنه أخذ هذا المعنى من قوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[3]، وكان لعنه الله يقول إن الله قد قَصَدَه هو بقوله ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾[4] وكان يذهبُ إلى أن الإمام الحقَّ الذي يجبُ اتِّبَاعُه هو

---

(١) صيد الخاطر ص٤١٩.

(٢) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي ص٢٢٧.

(٣) الوافي بالوفيات ٣/ ٤٣٨.

(٤) البدء والتاريخ ص٢٩٧.

هاشم بن عبد الله بن محمد ابن الحنفية، وكذلك قال بأُلُوهية علي بن أبي طالب، فيرى أن علياً كان يعلم الغيب، وأن رُوحَ الإله تَعَالَى حَلَّت في علي، ثم مِن بعده في ابنه محمد بن الحنفية، ثم من بعده في ابنه هاشم، ثم من بعدِه في بَيَان نفسِه[١].

واستمر بيانُ هذا على غَيِّه حتى صار يرسل الكتبَ إلى العلماء وأعيانِ الناس يدعوهم إلى نِحلته، حيث كتب بيان إلى محمدٍ الباقِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاباً مع رجل يسمى عمر بن أبي عَفِيف دعاه فيه إلى نفسه وكان من جملته: «أَسْلِمْ تَسْلَم وتَرْقَى في سُلَّم، فإنك لا تدري حيث يجعلُ الله النبوة» فأمر الباقر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسولَ بيان أنْ يأكلَ كِتَابَه، فأَكَله، فماتَ مِن ساعته[٢].

ولما شاعَ أمرُه وانتشر ذكرُه تَنَاهَتْ أخبارُه إلى خالدٍ القَسْرِي أمير العراق على عهد هشام بن الملك بن مروان الأموي، فقبض عليه وجيءَ به إلى خالد، فأمر خالد فجيء بحزمةٍ عظيمة من الخشب وأمر أن يُرْبَط فيها هذا الكذاب، ثم أمر أن يصبَّ الزيتُ عليه وعلى الخشب، ثم أشعلوا فيه النار حتى أصبح رمادا[٣].

***

(بَزِيغُ الحَائِك)

وظهرت في الحقبة نفسها فرقةٌ تسمى (البَزِيغِيَّة) زعموا أن قائدهم (بزيغ الحائك) نبيٌّ

(١) التبصرة في الدين، طاهر الإسفراييني ص٣٢.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٩.
(٣) الفصل في الملل والنحل لابن حزم الظاهري ٤/ ١٤١.

يُوَحى إليه، وكان بزيغ هذا يزعم أن جعفرَ الصادق هو الإله، أي أن الإله ظهرَ للخلق بصورة جعفر، وزعم أن كلَّ مؤمن يوحَى إليه من الله، وأن مِن أصحابه من هو أفضل من جبريلَ وميكائيل، وأن الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال له إنه قد مات، ولكن الواحدَ منهم إذا بلغ النهاية قيل: رَجَع إلى المَلَكُوت، ثم انتقَلَت دعواه إلى أتباعه فادَّعَوْا كلُّهم أنهم يوحى إليهم، وأنهم يُعايِنُونَ أمواتهم ويرَونهم بكرةً وعشية[1].

وزعم بزيغ أنه صَعَد إلى السماء وأنَّ الله مسَحَ على رأسه ومَجَّ في فمه، وأن الحكمة تَنْبُتُ في صدره كما تَنْبُتُ الكَمأَةُ في الأرض، وأنه رأى عليًّا قاعداً على يمين الرب جَلَّجَلَالُهُ[2].

وظل هكذا على نِحلته هذه حتى هَلك، وبموته اضْمَحَلَّت دعوتُه حتى انتهت تماما.

***

(منصورٌ المُسْتِيرُ العِجْلِي)

في نهاية القرن الأول الهجري ظهر رجل يدْعَى منصور المستير العجلي، ادعى النبوة واتبعه على ذلك طائفة من العوام وصدقوا بنبوته، ولقب نفسه بـ(الكِسْف)، لأنه زَعَمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ قد قصده هو بقوله ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[3].

ولما التَفَّتْ حوله الناس جعل يخترع لهم أباطيل وخُزَعْبَلَات ليَفْتِنَهُم بها، فقد كان لعنه الله يقول إنه عُرِج به إلى السماء، وأن الله تعالى مسحَ رأسَه بيده وقال له: يا بُنَيَّ

(١) الملل والنحل ١/ ١٧٢.
(٢) البدء والتاريخ ص٢٩٨.
(٣) الفصل في الملل ٤/ ١٤١.

اذهبْ فبَلِّغْ عني، وكان أصحابُه عندما يُقْسِمُون يقولون (لا والكِلَّة) وهي صُوفَة حمراء كانوا يَتَبَرَّكُون بها[1]، وقيل بل يقولون (لا والكَلِمَة)، يعنون كلمةَ الله التي ألقاها إلى سيدهم، وكان لعنه الله يقول إن أول مَن خلق الله تعالى عيسى بن مريم ثم علي بن أبي طالب، وأباحَ المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنازير والدم، وقال: إنما هي أسماءُ رجالٍ كانوا قديماً، وقد فاتَ زمانُهم فلا معنى لتحريمها الآن، واسقطَ الصلاة والزكاة والصيام والحج[2].

وأصحابه كلهم يستعملون الخَنْقَ والرَّضْخَ بالحجارة إذا أرادوا قتل أحد، وذلك أنهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يَخْرُجَ مَهْدِيُّهم الذي ينتظرونه فيَقُودُهم بالسلاح، فهم يقتلون الناس بالخنقِ وبالضربِ بالحجارة وبالخشب فقط[3].

ووَرَدَ في أخبارهم أنهم أيضاً يقتلون أَتْبَاعَهم، فإذا سُئِلُوا عن ذلك قالوا: نُعَجِّلُ المؤمنَ إلى الجنة ونعجل الكافر إلى النار، وكانوا يستحلون أموالَ من يقتلونه خَنقاً أو رَضْخاً ويَعُدُّونَها غنيمةً تَجْرِي عليها أحكام الغنيمة ويؤدون منها الخُمْسَ لإمامهم،[4] ولما شاع خبره قَبَضَ عليه يوسفُ بن عمر والي العراق على عهد هشام بن عبد الملك وصلبه في الكوفة في الربع الأول من القرن الثاني[5].

* * *

(١) التبصير في الدين للإسفراييني ص ١٢٦.
(٢) الحور العين، نشوان الحميري ص٤٨.
(٣) الحور العين ص٤٨.
(٤) الفصل في الملل ٤/ ١٤٢.
(٥) الفصل في الملل ٤/ ١٤١.



(محمودُ بن الفَرَج النَّيْسَابُورِي)

ظهر في خلافة المتوكل العباسي سنة ٢٣٥هـ رجل بِسَامِرّاء يقال له محمود بن الفرج النيسابوري، وزَعَمَ أنه نبي وأنه ذُو القرنين، وتبعه سبعةٌ وعشرون رجلاً، وأَظْهَرَ رَجُلَان من أصحابه دعوَته ببغداد بباب العامة، واثنان آخران بالجانب الغربي من بغداد، فأُتِيَ به وبأصحابه إلى المتوكل فضُرِبَ ضرباً شديداً، وحُمِلَ إلى باب العامة فَشَهِدَ على نفسه بالكذب، فأمر المتوكلُ أصحابَه أن يَصْفَعَهُ كلُّ واحدٍ منهم عشر صفعات ففعلوا، ووجدُوا معه كتاباً فيه كلام قد جَمَعَه وذَكَرَ أنه قرآن، وأن جبريلَ نزلَ به عليه، ثم ماتَ من الضرب في ذي الحجة من السنة نفسها[1].

***

(التَّكْرُورِيُّ)

في أوائل رمضان سنة ١١٤٧هـ ظهرَ بالجامع الأزهر رجلٌ من تَكْرُور[2] وادعى النبوة، فاحضروه بين يدي الشيخ أحمد العَمَاوِي[3] فسأله عن حاله، فأخبره أنه كان في شِرْبِين[4] فنزل عليه جبريل، وعَرَجَ به إلى السماء ليلة السابع والعشرين من رجب، وأنه صلى بالملائكة ركعتين وأَذَّنَ له جبريل، ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقةً وقال له:

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٢/ ٢٠٣.
(٢) بلدة جنوب المغرب سكانها أشبه ما يكون بالزنوج (ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٨).
(٣) أحد كبار شيوخ الأزهر في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري.
(٤) إحدى مدن محافظة الدقهلية بمصر.

أنتَ نبيٌّ مرسَل، فانْزِلْ وبَلِّغ الرسالة وأَظْهِر المعجزات، فلما سمع الشيخُ كلامه قال له: أنت مجنون، فقال: لست بمجنون وإنما أنا نبي مرسل، فأمر بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع، ثم سَمِعَ به عثمانُ كَتْخُدَا[1] فأحضرَه وسأله فقال مثل ما قاله للشيخ العماوي، فأرسله إلى المَارِسْتَان، فاجتمع عليه الناس والعامة رجالاً ونساء وفُتِنُوا به، فأمر كتخدا بإخفائه عن أعين الناس، ثم طلبه الباشا فسأله فأجابه بمثل كلامه الأول فأمر بحبسه في السجن ثلاثة أيام، ثم إنه جمعَ العلماء في منتصف شهر رمضان وسألوه فلم يتَحَوَّل عن كلامه، فأمروه بالتوبة فامتنعَ وأَصَرَّ على ما هو عليه، فأمر الباشا بقتله فقتلوه بحُوشِ الدِّيوان وهو يقول «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» ثم أنزلوه وأَلْقَوْهُ بالطريق ثلاثة أيام[2].

***

(الصَّنَادِيقِي)

عندما ظهر القَرَامِطَةُ بالبحرين وانتشرت دعوتهم الباطلة كان لهم دعاة في شتى أرجاء الجزيرة العربية، وكان منهم رجل يسمى أبا الفَوَارِس، وفي سنة ٢٠٧هـ أرسل أبو الفوارس هذا رجلاً من أتباعه ليكون داعيةً لدعوتهم في اليمن، وهذا الرجل هو أبو القاسم الحسن بن فَرج الصَّنَادِيقِي[3].

(١) الأمير عثمان كَتْخُدَا القازدوغلي، والد الأمير عبد الرحمن كتخدا صاحب المنشئات والعمائر في شتى ربوع مصر، توفي سنة ١١٤٩هـ (ينظر: عجائب الآثار للجبرتي ١/ ٢٥٠).

(٢) عجائب الآثار ١/ ٢١٩.

(٣) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تقي الدين المقريزي ص٤٩.

فهاجر الصناديقي إلى اليمن، وادَّعَى النبوة، ودخل في دعوته خلقٌ كثير من العامة، ففعل عظائمَ الأمور من قتل الأطفال، وسَبْيِ النساء، وتَسَمَّى بِرَبِّ العِزَّة، وكان يُكَاتِبُ الناس بهذا اللقب، وأعلن سبَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائر الأنبياء، واتخذ داراً خاصة سماها دارَ الصفوة، كان يجتمع فيها النساءُ ويأمرُ الرجالَ بمخالطتهن ووطْئِهن، ومَن تَحْمِلُ منهن يَحْتَفِظُ بها في تلك الدار حتى تلد، ويتخذ هؤلاء الأولادَ لنفسه خَدَماً وحراسا، ويسميهم أولادَ الصفوة، وكان يقول لأتباعه: إنكم إذا فعلتم هذا لم يَتَمَيَّزْ مالٌ مِن مال، ولا ولد من ولد، فتكونوا كَنَفْسٍ واحِدَة[1].

فعظُمَت فتنتُه باليمن، وفرَّ أكثرُ أهل اليمن عنه، وحارَبَ عاملَ اليمن وأَخْرَجَه منه، وقاتل محمد بن يحيى العلوي وأَزَالَه عن عمله مِن صَعْدَة[2] فَفَرَّ منه بعياله[3].

واتسع مُلْكُه وكَثُرَ أتباعه، وأثناء تجهيز محمد بن يحيى العلوي جيشَه لمحاربة الصناديقي حدث أمر عجيب من عند الله، وهو أن الله جَلَّتْ قدرتُه ألقى على عسكره بالليل بَرداً وثلجاً عظيم القدر قَتَلَ به أكثرَ أصحابه في ليلة واحدة، وقَلَّما نَزَل مثل ذلك الثلج في تلك الناحية، ثم سلط الله عليه الطاعون، وذلك أن محمد بن يحيى العلوي أنفذَ إليه طبيباً بِمِبْضَعٍ مسموم فَصَدَهُ به فقتله، وأنزل الله بالبلدان التي بايَعَتْه وباءً مل البُثُورِ يَخْرُجُ في كَتِفِ الرجل منهم فيموت سريعا، وخرَّب الله أكثر تلك البلاد التي ملكها، وأَفْنَى أهلها بموتٍ ذَرِيع، وهلك الصناديقي، وبقي من أتباعه بقية فاستأمنوا إلى محمد بن يحيى العلوي، ولم يبق لهذا الفاسق لعنه الله ولا لمن كان على دعوته بقيةٌ تذكر بل بَادُوا وهلكوا جميعا[4].

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ١٤٦.

(٢) مدينة عامرة باليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخا (ينظر: معجم البلدان ٣/ ٤٠٦).

(٣) نهاية الأرب ٢٥/ ١٤٧.

(٤) اتعاظ الحنفاء ص٤٩.



(المُقَنَّع الخُرَاسَانِي ت١٦٣هـ)

اسمه عطاء، وقيل اسمه حكيم، والأول أشهر، وكان في بداية أمره قَصَّاراً من أهل مَرْو، وكان يعرف شيئاً من السحر وعلوم الكيمياء والهندسة، فادَّعى النبوة ثم الربوبية، وكان ظهوره في خلافة المهدي وإمارةِ حُمَيْد بن قَحْطَبَة على خراسان، واشتدت شوكته ودامَت فتنتُه أربع عشرة سنة، وكانت بمُدُنِ ما وراء النهر وما قاربها من بلاد التُّرْك(١).

وقال لأشياعه والذين اتبعوه: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تَحَوَّلَ إلى صورة آدم، ولذلك قال للملائكة: اسجدوا له فسجدوا إلا إبليس فاستحق بذلك السخط، ثم تحول اللهُ من آدم إلى صورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم تحول إلى صور الأنبياء واحداً بعدَ واحد، حتى استقرَّ في صورةِ أبي مُسْلِم الخراساني(٢)، ثم انتقل من أبي مسلم إليه(٣).

فَقَبِلَ دعوَته قومٌ كثيرون من أهل تلك المناطق، وعبدوه وقاتلوا دونه، مع ما عاينوا من عظيم ادعائه وقبح صورته، لأنه كان مُشَوَّهَ الخَلْقِ أعْوَرَ ألْكَنَ قصيراً، وكان لا يُسْفِرُ عن وجهه بل اتخذ وَجْهاً من ذهب فتَقَنَّع به، فلذلك قيل له (المقنع)، وإنما غلب على عقولهم بالتَّمْوِيهَات التي أظهرها لهم بالسحر والكيمياء، وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قَمَرٍ يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب، فعَظُمَ اعتقادُهم به(٤).

---

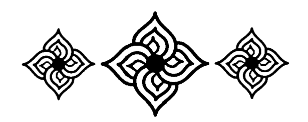
(١) غرر الخصائص الواضحة للوطواط ص١١٢.

(٢) عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، قائد وداهية، يعد من أكبر مؤسسي الدولة العباسية، قتل سنة ١٣٧هـ (ينظر: الطبري ٩/ ١٥٩).

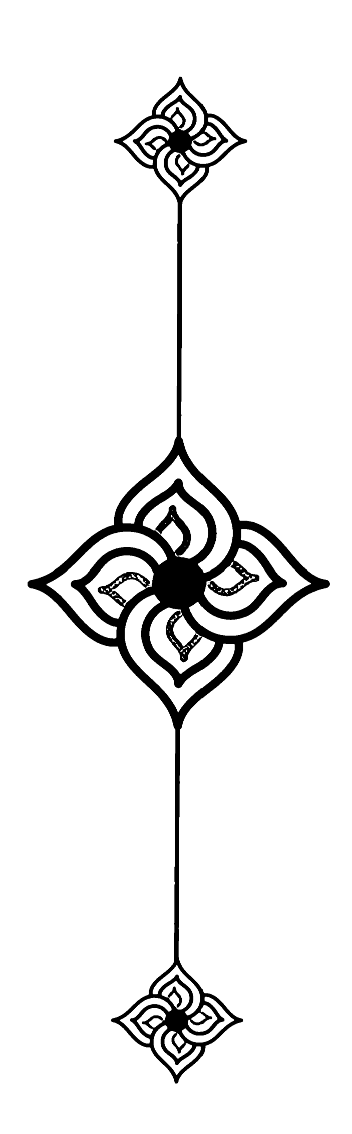
(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٣.

(٤) خلاصة الأثر للمحبي ٢/ ٦١.

ولما اشتهر أمرُ المقنع وانتشر ذكْرُه ثار عليه الناس، وأنفذ إليه الخليفة المهدي جيشاً فقاتله، فكانت الحرب بينه وبين جموعه سِجَالاً، فتَحَصَّن في قلعته فقصدوه في قلعته وحاصروه بها، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءَه وسقاهن سمًّا فَمِتْنَ جميعاً، ثم تناول شربةً من ذلك السم فمات، ودخل المسلمون قلعته فقتلوا مَن فيها من أشياعه وأتباعه، وقيل إنه أمر أن يُغْلَى له سكر وقَطِرَان ثم ألقى نفسه فيه فذابَ ولم يَبْقَ له أثر، فازداد أصحابه بذلك ضلالاً وقالوا قد رُفِع إلى السماء، لأنه كان وَعَدَهم قبل ذلك أن تتَحَوَّل روحُه إلى شكل رجل أشيب على بِرْذَوْنٍ أَشْهَب، وأنه سيعود إليهم بعد كذا سنة ويُمَلِّكُهم الأرضَ كلها، فهم ينتظرونه ويثقون بعودته، وكان مقتله في سنة ١٦٣هـ[1].



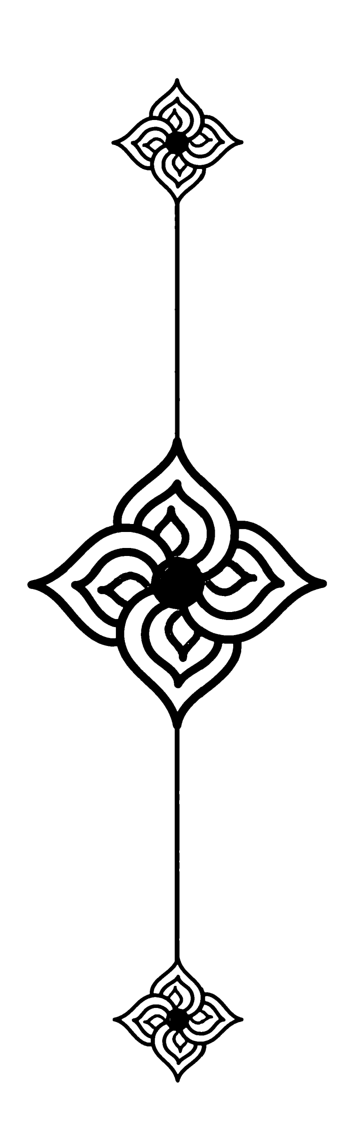
(١) البداية والنهاية ١٠/ ١٥٥، ووفيات الأعيان ٣/ ١٦٤.



الفصل الخامس



من ادَّعَى النبوةَ لِجُنُون أو حُمقٍ أو لِقَصْدِ اللّهْوِ والعَبَث



* قال خلف بن خليفة الشاعر: ادَّعَى رجلٌ النبوة في زمن خالد بن عبد الله القَسْرِي أمير العراق، وعَارَضَ القرآن، فأتى به خالد، فقال له: ما تقول؟ قال: عارضتُ في القرآن ما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ فقلتُ أنا ما هو أحسن من هذا: «إنا أعطيناكَ الجَمَاهِرْ، فصَلِّ لربك وجَاهِرْ، ولا تُطِعْ كل ساحر وكافر» فأمر به خالد فضُرِبت عنقُه وصُلب على خشبة، فَمَرَّ به خلف بنُ خليفة الشاعر وقال: «إنا أعطيناك العَمُود، فَصَلِّ لربك على عُود، وأنَا ضَامِنٌ ألَّا تَعُود»[1].

* * *

* ادّعَى رجل النبوة أيام محمد بن سليمان أمير البصرة أيام الخليفة المهدي، فأُدْخِلَ إليه وهو مقيد فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: مُرْسَل؟ قال: أنا الساعة مُوْثَق، قال: وَيْلَك مَنْ غَرَّكَ؟ قال له: أبهذا أيها الجاهل تخاطَب الأنبياء؟ والله لولا أني مُوثَقٌ لأمرتُ جبريلَ أن يُدَمْدِمَها عليكم، قال له: وهل الموثَقُ لا تُجاب له دعوة؟ قال: أجل الأنبياء خاصةً إذا قُيِّدَت لم يُرْتَفع دعاؤُها، فضحك منه محمد بن سليمان ثم قال له: متى قُيِّدتَ؟ قال: اليوم، قال: ومَن قَيَّدَك؟ قال: خَلِيفَتُك، قال: فنحن نُطْلِقُكَ وتأمر جبريل فإنْ أَطَاعَكَ آمنا بك، قال: صدق الله حيث يقول: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ فإن شئتَ فافعل، فأمر بإطلاقه، فلما تخلص من قيده قال: يا جبريل -ومَدَّ بها صوتَه- ابْعَثُوا نبياً غيري فلن أتولى لكم عملًا، هذا محمد بن سليمان معه عشرون ألف تابع وينفق مائة درهم في كل يوم، وأنا وحدي، والله لا يذهب لكم في حاجة إلا أحمق، فشُهِدَ عند الأمير أنه رجلٌ مجنون، فخَلَّى سبيلَه[2].

(١) العقد ٢/ ٤٤٦، وأخبار الظراف والمتماجنين ص١٣٠.
(٢) تاريخ دمشق ٥٣ / ١٣٠، والعقد الفريد٢/ ٤٤٥.

* ادّعى رجلٌ النبُّوَّة فقيل له: أَخْرِج لنا من الأرض بطيخةً، فقال: اصبروا عَلَيَّ ثلاثة أيام، قالوا: ما نريد إلا السّاعة، فقال: إنّ الله تعالى يخرج البطيخة في ثلاثة أشهرٍ أفلا تصبرون ثلاثة أيامٍ(١).

* * *

* قال ثُمامَة بن أَشْرَس: شَهِدْتُ المأمونَ وقد أُتِيَ برجل ادعى النبوة، وقال إنه إبراهيم الخليل، فقال المأمون: ما سمعت أَجْرَأَ على الله مِن هذا، قلت: دعني أكلمه يا أمير المؤمنين؟ قال: شَأنك به، فقلت له: يا هذا، إن إبراهيم كانت له براهين، قال: وما براهينه؟ قلت: أُضْرِمَت له نارٌ وألقي فيها فصارت برداً وسلاماً، فنحن نُضْرِمُ لك ناراً ونطرحك فيها، فإن كانت عليك برداً كما كانت على إبراهيم آمنا بك وصدقناك، قال: هات ما هو أَلْيَن عليَّ مِن هذا، قال: فجئنا بشيءٍ مِن براهين موسى، قال: وما كانت براهين موسى؟ قال: عصاه التي ألقاها فصارت حيةً تَسْعَى تَلْقَفُ ما يَأْفِكُون، وضرب بها البحر فانْفَلَق، وبياضُ يَدِه مِن غيرِ سُوء، قال: هذا أصعب، هات ما هو ألين من هذا، قلت: براهين عيسى، قال: وما براهين عيسى؟ قلت: كان يُحيي الموتى، ويمشي على الماء، ويبرئُ الأَكْمَهَ والأبرص، فقال: إن براهين عيسى هي الطامة الكبرى، قلت: لا بد من برهان، فقال ما معي شيء من هذا، ووالله لقد قلتُ لجبريل يعطيني حجة وبرهاناً لأنكم شياطين، فغضب جبريل وقال لي: لماذا تبدأ بالشر قبل كل شيء، اذهب الآن فانظر ما يقول لك القوم، فقال ثمامة: يا أمير المؤمنين، هذا هاجَ به جنون، وعلاماتُ ذلك فيه، قال: صَدَقْتَ، دَعْه(٢).

(١) أخبار الظراف والمتماجنين ص١٢٩.
(٢) العقد الفريد ٢/ ٤٤٥.

* ادَّعَى رجل النبوة في أيام المهدي، فأُدْخل عليه فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: ومتى نُبِّئْتَ؟ قال: وما تصنع بالتاريخ؟ قال: ففي أي المَوَاضِع جاءَتْكَ النبوة؟ قال: وَقَعْنَا واللهِ في شغل، ليس هذا من مسائل الأنبياء، إنْ كان رأيك أن تصدقني في كل ما قلت لك فاعْمَلْ بقولي. وإن كنتَ عزمتَ على تكذيبي فدعني أذهب عنك، فقال المهدي: هذا ما لا يجوز، لأن فيه فساد الدين، قال: وا عجباً لك، تغضب لفساد دينك، ولا أغضب أنا لفسادِ نبوتي، أنت والله إنما قويت عليَّ بِمَعْنَ بنِ زَائِدَة والحَسَن بنِ قَحْطَبة وما أشبههما من قُوَّادِك، وكان القاضي شُريك جالساً على يمين المهدي، فقال له المهدي: ما تقول في هذا النبي يا شريك؟ فقال الرجل: شاوَرْتَ هذا في أمري وتركتَ أن تشاورني؟ فقال له المهدي: هات ما عندك؟ قال: أحاكمك فيما جاء به مَن قَبْلِي مِن الرسل، قال المهدي: رضيت، قال الرجل: أكافر أنا عندك أم مؤمن؟ قال: كافر، قال: فإن الله يقول: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ فلا تطعني ولا تؤذني، ودعني أذهب إلى الضعفاء والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء، وأَدَعُ الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم، فضحك المهدي وخلى سبيله[1].

* * *

* وقال ثُمامة بن أَشْرَس: كنت في الحبس فأُدخل علينا رجل ذو هيئة ومنظر، فقلت له: من أنت؟ جُعِلْتُ فِدَاك، وما ذنبك؟ وفي يدي كأسٌ دَعَوْتُ بها لأشربَها، قال: جاء بي هؤلاء السفهاء لأني جئت بالحق من عند ربي، أنا نبي مرسل، قلت: جُعِلْتُ فِداك، أَمَعَكَ دليل؟ قال: نعم، معي أكبر الأدلة، ادفعوا إلي امرأةً أُحْبِلُها لكم، فتأتي بمولود يشهد بصدقي، قال ثمامة: فَنَاوَلْتُه الكأسَ وقلت له: اشْرَبْ صَلَّى اللهُ عَليكَ[2].

(١) العقد الفريد ٢/ ٤٤٥.
(٢) العقد الفريد ٢/ ٤٤٦.

* قال محمد بن عَتَّاب: رأيت بالرُّقَّةِ أيامَ الرشيد جماعةً أحاطت برجل فأشرَفْتُ عليه فإذا رجل له جَهَارَةٌ وبِنْيَة، قلت: ما قصة هذا؟ قالوا: ادعى النبوة، قلت: كذبتم عليه، مِثْلُ هذا لا يدعي الباطل، فرَفَع رأسَه إليَّ وقال: وما عِلْمُكَ أنهم قالوا عليَّ الباطل؟ قلت له: إذن أنت نبي؟ قال: نعم، قلت له: وما دليلك؟ قال: دليلي أنك ولد زنا، قلت: نبيٌّ يقذف المحصنات؟ قال: بهذا بُعِثْتُ، قلت: أنا كافر بما بُعِثْتَ به، قال: ومَنْ كَفَرَ فعليه كُفْرُه، وبينما نحن نتحدث إذ جاءت حصاةٌ لا ندري مَنْ قَذَفها فوقعت على صَلْعَتِه، فقال: ما رماها إلا ابنُ الزانية؛ ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: ما أَرَدْتُم بي خيراً حيث طرَحْتُمُونِي في أيدي هؤلاء الجُهَّال[1].

* * *

* ادعى رجل النبوة في أيام الخليفة المأمون، فقال المأمون ليحيى بن أَكْثَم: امْضِ بنا مُسْتَتَرَيْنِ حتى ننظر إلى هذا المتنبئ وإلى دعواه، قال يحيى: فركبنا متنكرين ومعنا خادم حتى صرنا إليه، وكان مستتراً بمذهبه، فخرج حَاجِبُهُ وقال: من أنتما؟ فقلنا: رجلان يريدان أن يُسْلِمَا على يديه، فأذن لهما ودخلا، فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره، فعَرَف الرجلُ يحيى، فالتفت إليه المأمون وقال له: إلى مَنْ بُعِثْتَ؟ قال: إلى الناس كافة، قال: أَفَيُوحَى إليك أم تَرَى في المنام أم يُنْفَثُ في قلبك أم تُنَاجَى أم تُكَلَّم؟ قال: بل أُنَاجَى وأُكَلَّم، قال: ومَن يأتيك بذلك؟ قال: جبريل، قال: متى كان عندك؟ قال: قبل أن تأتيني بساعة، قال: فما أَوْحَى إليك؟ قال: أوحى إليَّ أنه سيدخل عليَّ رجلان فيجلس أحدهما على يميني والآخر عن يساري، فالذي عن يساري أَلْوَطُ خَلْقِ الله وكان يَحْيَى يُتَّهَمُ

(١) العقد الفريد ٢/ ٤٤٦.

بالغلمان فقال المأمون: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وخرجا يتضاحكان[1].

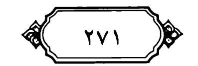
* وذكر بعض الكوفيين قال: بينما أنا جالس بالكوفة في منزلي إذ جاءني صديق لي، فقال لي: إنه ظهر بالكوفة رجل يدعي النبوة، فقم بنا إليه نكلمه ونعرف ما عنده، فقمت معه، فَصِرْنا إلى باب داره، فقَرَعْنَا الباب وطلبنا الدخول عليه، فأخذَ علينا العهودَ والمواثيق إذا دخلنا عليه وكلمناه وسألناه إن كان على حق اتبعناه، وإن كان على غير ذلك كتَمْنَا عليه ولم نُؤْذِه، فدخلنا فإذا شيخ خراساني أخْبَث مَن رأيت على وجه الأرض، وإذا هو أصلع، فقال صاحبي -وكان أعور-: دعني حتى أُسَائِله، قلت: دونك، فقال صاحبي للرجل: جُعِلْتُ فِداك، ما أنت؟ قال: أنا نبي، قال صاحبي: ما دليلُك؟ قال: أنتَ أعور عينك اليمنى، فاقْلَع عينَك اليُسْرَى حتى تصيرَ أعمى، ثم أَدْعُو اللهَ فيردّ عليك بصرك، فقلت لصاحبي: لقد أَنْصَفَكَ الرجل، قال: فَاقْلَع أنتَ عينيك جميعاً لنرى كيف سيعيد إليك بصرك، وخرجنا نضحك[2].

***

* وأُتِي المأمون بإنسان متنبئٍ فقال له: أَلَكَ علامة؟ قال: نعم، علامتي أني أعلمُ ما في نفسك، قال: قَرَّبْتَ عليَّ، قل لي ما في نفسي؟ قال له: في نفسك أني كذاب، قال: صدقت، وأَمَرَ به إلى الحبس، فأقام به أياماً، ثم أخرجه، فقال: هل أُوحِيَ إليك بشيء؟ قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال: لأن الملائكة لا تدخل الحبس، فضحك المأمون وأطلقه[3].

***

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، الإتليدي ص٩٩.
(٢) العقد الفريد ٢/ ٤٤٦.
(٣) العقد الفريد ٢/ ٤٤٦.



* وحُمِل إلى المأمون من أذربيجان رجل قد تنبأ، فقال المأمون لثُمَامَة بن أَشْرَس: يا ثمامة نَاظِرْه. فقال ثمامة: ما أكثر الأنبياء في دولتك يا أمير المؤمنين، ثم التفت إلى المتنبئ فقال له: ما شاهِدُك على النبوة؟ قال: تُحْضِرُ لي يا ثمامة امرأتَك أَنْكِحُها بين يديك فتلد غلاماً ينطق في المهد ويخبرك أني نبي، فقال ثمامة: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال المأمون: ما أسرع ما آمنتَ به؟ قال: وأنتَ يا أمير المؤمنين ما أهون عليك أن يَتَنَاوَل امرأتي على فراشِك، فضحك المأمون وأطلقه(١).

* * *

* وادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له: ما الذي يقال عنك؟ قال: إني نبي كريم، قال: فأي شيءٍ يدل على صدق دعواك؟ قال: سَلْ عَمَّا شئتَ، قال: أريدُ أن تجعلَ هذه المماليك المُرْد القيامَ بِلِحىً الآن، فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة، وإنما أجعل أصحابَ هذه اللحى مُرْدًا في لحظة واحدة، فضحك منه الرشيد وعفا عنه، وأمر له بصلةٍ(٢).

* * *

* وتنبأ إنسان فطالبون بحضرة المأمون بمعجزةٍ فقال: أَطْرَح لكم حصاةً في الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت، فقالوا: هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب، فقال: لستم أَجَلّ من فرعون ولا أنا أعظم حكمةً من موسى، ولم يقل فرعون لموسى: لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانًا، فضحك المأمون وأجازه(٣).

---

(١) حدائق الأزاهر للغرناطي ص٦٧.
(٢) المستطرف ١/ ٤٧٧.
(٣) نثر الدر ٢/ ١٥٧.



* وتنبأ رجل في أيام المعتصم، فلما حضر بين يديه قال: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: وإلى مَن بُعِثت؟ قال: إليك، قال: أشهد أنك لسفيه أحمق، قال: إنما يبعث إلى كل قوم مثلُهم، فضحك المعتصم وأمر له بشيء(١).

* * *

* وتنبأ رجل في أيام المأمون وادعى إنه إبراهيم الخليل، فقال له المأمون: إن إبراهيم كانت له معجزات وبراهين، قال: وما براهينه؟ قال: أُضْرِمت له نارٌ وأُلقي فيها فصارت عليه بردًا وسلامًا، ونحن نوقد لك نارًا ونطرحك فيها، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنًّا بك، قال: أريد واحدةً أخف من هذه، قال: فبراهين موسى؟ قال: وما براهينه؟ قال: أَلْقَى عصاه فإذا هي حيةٌ تسعى، وضرب بها البحر فانفلق، وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء، قال: وهذه علي أصعب من الأولى، قال: فبراهين عيسى؟ قال: وما هي؟قال: إحياء الموتى، قال: مكانك، قد وصلت، أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة، فقال يحيى: أنا أول من آمن بك(٢).

* * *

* وتنبأ آخر في زمن المأمون، فقال المأمون: أريد منك بطيخًا في هذه الساعة، قال: أمهلني ثلاثة أيام، قال: ما أريده إلا الساعة، قال: ما أنصفتني يا أمير المؤمنين، إذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ما يُخْرِجُ البطيخَ إلا في ثلاثة أشهر، أفما تصبر أنت علي ثلاثة أيام؟! فضحك منه ووصله(٣).

---

(١) المستطرف ١/ ٤٧٧.
(٢) المستطرف ١/ ٤٧٧.
(٣) المستطرف ٢/ ٥٢١.



* وتنبأ آخر في زمن المأمون، فلما مَثل بين يديه قال له: من أنت؟ قال: أنا أَحْمَدُ النبي، قال: لقد ادعيت زورًا، فلما رأى الأعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال: يا أمير المؤمنين أنا أَحْمَدُ النبيَّ، فهل تذمه أنت؟ فضحك المأمون منه وخلى سبيله[١].

* * *

* وتنبأ آخر في زمن المتوكل، فلما حضر بين يديه قال له: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: فما الدليل على صحة نبوتك؟ قال: القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ وأنا اسمي نصر الله، قال: فما معجزتك؟ قال: ائتوني بامرأة عاقر أَنْكِحُها فتحمل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي، فقال المتوكل -مازحًا- لوزيره الحسن بن عيسى: أعطه زوجتك حتى نُبْصر كرامته، فقال الوزير: أما أنا فأشهد أنه نبي الله، وإنما يعطيه زوجتَه من لا يؤمن به، فضحك المتوكل وأطلقه[٢].

* * *

* وأُتي بامرأة تنبأت في أيام المتوكل، فقال لها: أنت نَبِيَّة؟قالت: نعم، قال: أتؤمنين بمحمدٍ؟ قالت: نعم، قال: فإنه قال: «لا نَبِيَّ بَعْدي»[٣]قالت: فهل قال:لا نَبِيَّةَ بعدي؟ فضحك المتوكل وأطلقها[٤].

* * *

---

(١) البصائر والذخائر ٦/ ٦١.
(٢) المستطرف ٢/ ٥٢٣.
(٣) البخاري ٤/ ١٦٩ رقم ٣٤٥٥.
(٤) المستطرف ٢/ ٥٢٣.

* ادعى رجل النبوة في زمن المهدي وأدخل عليه، فقال: أنت نبي؟ قال: نعم! قال: إلى مَنْ بُعِثت. قال: أَوَتَرَكْتُمُوني أُبْعَثُ إلى أحد؟ بُعِثتُ بالغَدَاة وحبستموني بالعَشِيِّ، فقال: صدقت، أَعْجَلْنَاك! وضحك منه ووصله وأطلقه[1].

* * *

* وتنبأ آخر وادعى أنه موسى بن عمران، فأحضره وقال له: من أنت؟ قال: أنا كليمُ الله موسى، قال: وهذه عصاك التي صارت ثُعْباناً؟ قال: نعم، قال: فألْقِها مِن يدك ومُرْها أن تصيرَ ثعباناً، قال: قل أنت ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ كما قال فرعون، حتى أصيِّرَها ثعباناً كما فعل موسى، فضحك منه واستظرفه، وأُحْضِرَت المائدة فقيل له: هل أكلت شيئاً؟ فقال: ما أَحْسَنَ العَقل! لو كان لي ما آكلُه فلأيِّ شيءٍ جِيءَ بي عندكم؟ فأُعْجِبَ به الخليفة وأحسنَ إليه[2].

* * *

* تنبأ رجل في أيام المأمون، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، قال: فما معجزتك؟ قال: سَل ما شئتَ– وكان بين يديه قُفْل – قال: خذ هذا القفل فافتحه، فقال: أَصْلَحَكَ الله، لم أَقُلْ إني حداد، قلت: أنا نبي!! فضحك المأمون واسْتَتَابَه وأجازه[3].

* * *

* وتنبأ آخر فطُلب، فلما أُحضر دعا له بالنَّطْعِ والسيف، فقال: لِمَ تقتلوني؟ قالوا: لأنك ادعيت النبوة، قال: فلست أدعيها، قالوا: فأيُّ شيءٍ أنت؟ قال: أنا صِدِّيق، فدُعِي

(1) جمع الجواهر ص٧٦.
(2) نثر الدر ١/ ١٦٠.
(3) نثر الدر ٢/ ١٥٧.

له بالسياط، قال: لِمَ تضربوني؟ قالوا: لادعائك أنك صديق، قال: لا أدَّعي، قالوا: فمن أنت؟ قال: من التابعين بإحسان، فدُعي له بالدِّرَّة. قال: ولِمَ؟ قالوا: نؤدبك لادعائك ما ليس فيك، قال: ويْحَكم، الساعة كنتُ نبياً، أتريدون أن تَحُطُّوني في ساعةٍ واحدة من النبوة إلى مرتبة العوامّ؟ أَمْهِلُوني إلى غدٍ حتى أصير لكم إلى ما شئتم[1].

***

* وأُتِيَ أتي المتوكل بواحد قد تنبأ، فقال له: ما حُجَّتُك؟ قال: ما أَعْطَوْني حجة، وقد قلتُ لجبريل: إن القومَ ثِقَال الأرواح غِلَاظُ الطباع لا بد لي معهم مِن آية، فقال لي: اذهب، فإن أهلَ بغداد قد اختلفوا في القاضي، وأنه بَغَّاءٌ أو لُوطِيّ، فاذهب فعَرِّفْهُم ذلك فإنهم إذا عَرَّفْتَهم آمنوا بك، قال المتوكل: فما الذي قال لك جبريل من أمر القاضي، قال: قال هو بَغَّاء، فضحك وأمر له بجائزة[2].

***

* وتنبأ آخر في زمن المهدي فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه قال له: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: ومتى بعثت؟ قال: وما تَصْنَع بالتاريخ؟ قال: ففي أي موضعٍ جاءتك النبوة؟ قال: وَقَعْنَا، والله ليس هذا مِن مناظرات الأنبياء، إن كان عَزْمُكَ أن تصدقني فكلُّ ما قلتُ لك اعمل به، وإن عزمتَ أن تكذبني فدعني رأساً برأس، قال المهدي: هذا لا يجوز فإن فيه فسادَ الدين، فغضب وقال: واعجباه! تغضب أنت لفساد دينك ولا أغضب أنا لفساد ديني؟ فو الله ما قَوِيتَ إلا بِمَعنَ بنَ زَائدَة والحسن بن قَحْطَبَة ومَن

(١) نهاية الأرب ٤/ ١٦.
(٢) نثر الدر ١/ ١٦١.

أَشْبَهَهُما، فضحك المهدي وقال لشريك القاضي: ما تقول فيه؟ فقال المتنبىء: تُشَاوِر ذاكَ في أمري ولا تشاورني؟ قال: هات ما عندك، قال: أكافرٌ أنا عندك أم مؤمن؟: قال: كافر، قال: فإن الله يقول: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب٤٨] . فلا تطعني ولا تؤذني، ودعني أذهب إلى الضعفاء والمساكين، فإنهم أتباع الأنبياء، وأَتْرُكُ الملوك والجبابرة فإنهم حَصَبُ جهنم، فضحك وخلاه[1].

* * *

* وتنبأ آخر في أيام المتوكل فأحضره وقال له: ما صناعتك؟ قال: أنا رَوَّاس، يعني يبيع رءوس الغنم، قال المتوكل: صناعة قذرة، فقام المتنبئ ينفض ثيابه ليمضي، فقال: إلى أين؟ قال: أذهب أقول لهم إن القوم متقززون، يريدون نبياً عطاراً[2].

* * *

* ويحكى أنه تنبأ رجل في أيام المأمون، فقال المأمون ليحيى بن أكثم القاضي: يا يحيى امض بنا مستتَرَيْن حتى ننظر إلى هذا المتنبي وإلى دعواه، فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا إلى بَابِهِ وكان مستتراً بثوبه، فاستأذنا عليه فخرجَ إليهما، فقال: من أنتما؟ فقالا: رجلان يريدان أن يُسْلِمَا على يديك، قال: ادخلا، فدخلا وجلس المأمون عن يمينه، ويحيى عن يساره، فقال له المأمون: إلى مَن بُعِثت؟ قال: إلى الناس كافة، قال: أَفَيُوْحَى إليك، أم ترَى في المنام، أم يُنْفَثُ في قلبك؟ قال: بل أُنَاجَي وأُكَلَّم قال: ومَن يأتيك؟ قال: جبريل، قال: فمتى كان عندك؟ قال: الساعة قبل أن تأتياني بساعة، قال: فما أَوْحَى

(١) العقد الفريد ٧/ ١٥٩.
(٢) نثر الدر ١/ ١٦١.

إليك؟ قال: أوحى إلي أنه سيدخل عليك رجلان فيجلس أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك، والذي يجلس عن يسارك أَلْوَطُ خَلْقِ اللهِ تعالى، فقال له المأمون: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وكان يَحْيَى يُنْسَب إلى ما قاله عنه الرجل[1].

* * *

* قال ياقوت في معجم الأدباء: تنبأ في مدينة أصبهان رجل في زمن أبي الحسين بن سعد، فأُحضر بين العلماء والكبراء فقيل له: من أنت؟ قال: أنا نبي مرسل، فقيل له: وَيْلَكَ إن لكلِّ نبيٍّ آية فما آيتك وحجتك؟ قال: إن الذي معي من الحجج لم يكن لأحد قبل من الأنبياء والرسل، فقيل له: أَظْهِرْها، فقال: مَن كان منكم له زوجةٌ حسناء أو بنتٌ جميلة أو أخت صبيحة فليحضرها فإني أُحْبِلُها بابنٍ في ساعةٍ واحدة، فقال ابن سعد: أما أنا فأشهد أنك رسول وأَعْفِني من ذلك، فقال له رجل: نِسَاءٌ ما عِنْدَنا، ولكن عندي عَنزٌ حسناء فأَحْبِلها لي، فقام الرجل يمضي، فقالوا له: إلى أين تمضي؟ قال: أمضي إلى جبريل وأُعَرِّفُه أن هؤلاء يريدون تَيْساً ولا حاجة لهم إلى نبي، فضحكوا منه وأطلقوه[2].

* * *

* تنبأ رجل في زمن الخليفة المنصور، فقال له المنصور: أنت نبيُّ السِّفْلَة، فقال: جُعِلْتُ فداك، كل إنسان يُبعث إلى شَكْلِه[3].

انتهت الرسالة بحمد الله ومَنِّه

---

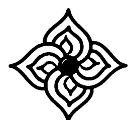
(١) إعلام الناس ص٩٩.

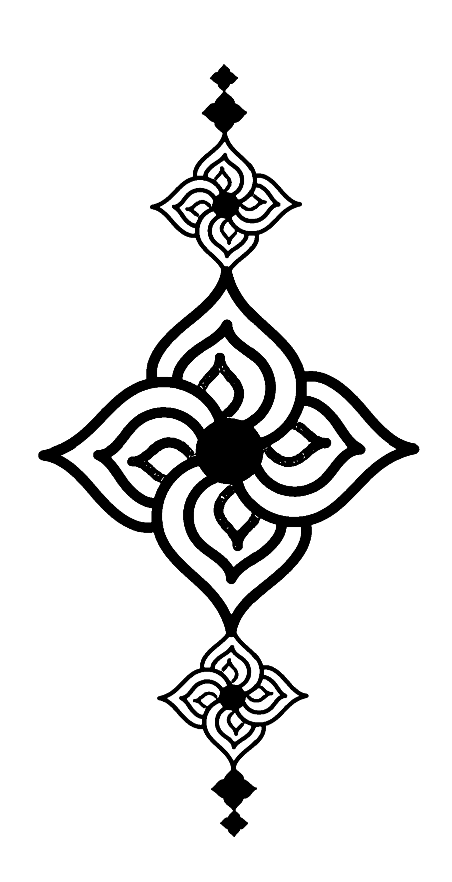
(٢) الوافي بالوفيات ٢/ ٢٥٣.

(٣) التذكرة الحمدونية ٣/ ٤٠.



عَجَائِبُ أخبارِ كُهَّان الجَاهِلِيَّة





رؤيا رَبِيعَة بن نَصْر

ذكر ابنُ إسحاقٍ عن بعض أهل العلم أن ربيعةَ بن نصر[1] رأى رؤيا أَفْزَعَتْه، وفَظِعَ بها، فلما رآها بعثَ في أهل مملكَتِه، فلم يَدَعْ كاهنًا ولا سَاحِرًا ولا عَائِفًا ولا منجمًا إلا جَمَعَه إليه، ثم قال لهم: إني قد رأيتُ رؤيا هالتني وفَظِعْتُ بها، فأخبروني بتأويلها، قالوا له: اقْصُصْها علينا لنخبرك بتأويلها، قال: إني إنْ أخبرتُكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، إنه لا يعرفُ تأويلَها إلا مَن يعرفها قبل أن أخبرَه بها، فلما قال لهم ذلك قال رجلٌ من القوم الذين جُمِعوا لذلك: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيحٍ وَشِقٍّ، فإنه ليس أحدٌ أَعْلَمُ منهما، فهما يخبرانك بما سألت، واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذِئْبِ بن عدي بن مازن بن غَسان، وكان يقال لسطيح: الذِّئْبِيّ، لنسبته إلى ذئبِ بن عَدِي، وأما شِقٌّ فهو شِقّ بن صَعْب بن يَشْكُر بن أَفْرَك بن نَذِير بن قيس بن عَبقَر بن أَنْمَار، فلما قالوا له ذلك بعث إليهما، فَقَدِمَ عليه سَطِيحٌ قبلَ شِق، ولم يكن في زمانِهما مثلُهما من الكُهَّان، فلما قدم عليه سطيح دعاه فقال له: يا سطيح، إني قد رأيت رؤيا هالتني وفَظِعْتُ بها، فأخبرني بها فإنك إن أَصَبتَها أصبتَ تأويلَها، قال: أَفْعَل، رأيتَ حُمَمَةً، خرجت من ظُلُمَهٍ، فوقعت بأرض تِهَمَةٍ، فأَكَلَتْ منها كلَّ ذاتِ جُمْجُمَة، فقال له الملك: ما أخطأتَ منها شيئًا يا سطيح، فما عندكَ في تأويلها؟ فقال: أَحْلِفُ بما بين الحَرَّتَيْنِ

(١) ربيعة بن نصر بن مالك، أحد ملوك التبابعة في اليمن قبل الإسلام (ينظر: التيجان في ملوك حمير للمعافري ص٣٠٣).

مِن حَنَش، لَيَهْبِطَنَّ أرضَكُمُ الحَبَش، فلَيَمْلِكُنَّ ما بين أَبْيَنَ إلى جُرَش[1]، قال له الملك: وأَبيكَ يا سطيح إن هذا لغائِظٌ مُوْجع، فمتى هو كائنٌ يا سَطِيح؟ أَفِي زماني أم بعدَه؟ قال: لا بل بعدَه بحين، أكثرَ من ستِّينَ أو سبعين، يمضينَ من السنين قال: فهل يدومُ ذلك مِن مُلكِهم أم يَنْقَطِع؟ قال: بل ينقطع لبضعٍ وسبعين، يمضينَ من السنين، ثم يُقْتَلُونَ بها أجمعين، ويخرجون منها هاربين، قال الملك: ومَن ذا الذي يَلِي قَتْلَهم وإخراجَهم؟ قال: يليه إِرَمُ ذِي يَزَنْ، يخرج عليهم من عَدن، فلا يترك منهم أحدًا باليمن، قال الملك: أَفَيَدُومُ ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع، قال: ومن يقْطَعُهُ يا سطيح؟ قال: يقطعه نَبِيٌّ زَكِي، يأتيه الوحي من العَلِي، قال: وممن هذا النبي؟ قال: رجل من ولدِ غالبِ بن فِهْرِ بن مالك بن النضر، يكون الملكُ في قومِه إلى آخر الدهر، قال: وهل للدهرِ يا سطيحُ مِن آخِر؟ قال: نعم، يومٌ يُجْمَعُ فيه الأولون والآخرون، ويَسْعَدُ فيه المحسنون، ويَشْقَى فيه المُسِيئُون، قال: أَحَقٌّ ما تُخْبِرُنا يا سطيح؟ قال: نعم، والشفقِ والغَسَق، والفَلَق إذا اتَّسَق، إنَّ ما أَنْبَأْتُكَ به لَحَق[2].

فلما فرغ المَلِكُ من سطيح قَدِمَ عليه شِق، فدعاه، فقال له: يا شق، إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها، فأخبرني عنها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها، وكتم الملك ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال شق: نعم، رأيتَ حُمَمَة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين رَوْضَةٍ وأَكَمَه، فأكلَتْ منها كل ذات نَسَمَة، فلما رأى الملك أن قولَهما شيئًا واحدًا، قال له: ما أخطأتَ يا شق منها شيئًا، فما عندَك في تأويلها؟ قال: أَحْلِفُ بما بين الحَرَّتَيْن مِن إنسان، لَيَنْزِلَنَّ أَرضَكُم السودان، فلَيَغْلِبُنَّ على كل طَفْلَةِ[3] البَنَان، وليَمْلِكُنَّ ما بين أَبْيَنَ إلى

(١) أبين وجرش: مدينتان يمنيتان.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٧، والطبري ٢/ ١١٣.

(٣) الطَّفْلَة: الناعمة (ينظر: جمهرة اللغة ٢/ ٩١٩).

نَجْران، فقال له الملك: وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: بل بعدك بزمان، ثم يسْتَنْقِذُكُم منه عظيمٌ ذو شأن، ويذيقهم أشدَّ الهوان، قال: ومَن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بِدَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ[1]، يخرج من بيت ذِي يزن، قال: فهل يدوم سلطانُه أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسولٍ مُرْسَل، يأتي بالحق والعدل، بين أهلِ الدين والفضل، يكونُ الملكُ في قومه إلى يوم الفصل، قال: وما يومُ الفصل؟ قال: يومٌ يُجْزَى فيه الوُلَاة، يُدْعَى من السماء بدعوات، يَسْمَعُ منها الأحياءُ والأموات، ويُجْمَعُ فيه الناسُ للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوزُ والخيرات، قال: أحقٌّ ما تقول يا شق؟ قال: إِي ورَبِّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْعٍ وخَفْض، إنَّ ما نبأتك لحق ما فيه أَمْض[2]، فلما فرغ من مسألتهما، وقع في نفسه أن الذي قالا له كائنٌ من أمر الحبشة، فجهز بَنِيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصلِحُهُم، وكتبَ لهم إلى ملكٍ من ملوك فارس يقال له سابُور بن خُرَّزَاذ، فأسكنهم الحِيرَة، فمِنْ بقيةِ ربيعة بن نصر كان النعمانُ بن المنذر ملك الحيرة، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر[3].

ولما قال سطيح وشق لربيعةَ بنِ نصر ذلك، وصَنَعَ ربيعةُ بولده وأهل بيته ما صنع، شاع ذِكْرُ ذلك في العَرب، وتحدثوا حتى فَشَا ذِكْرُه وعِلْمُه فيهم، وظل الخبرُ يتردد على الألسنة حتى نزلت الحبشةُ اليمن، ووقع الأمر الذي كانوا يتحدثون به من أمرِ الكاهنين[4].



(١) المُدَنّ: الذي جمع الضعف مع الدناءة (ينظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٥).
(٢) الأَمْض: البَاطِلُ (ينظر: تاج العروس، مادة: أنض ١٨/ ٢٣٤).
(٣) الروض الأنف للسلامي ١/ ٧٩.
(٤) الطبري ٢/ ١١٣.

خبر هند بنت عُتْبَة والفَاكِهُ بن المُغيرة

كانت هند بنت عتبة بن ربيعة تحت الفاكِه بن المغيرة المخزوميّ، وكان الفاكهُ من فتيان قريشٍ المعدودين، وكان له بيتٌ للضّيافة يَغْشَاهُ النّاس من غير إذنٍ، فخَلَا ذلك البيت يومًا فاضطجعَ الفاكهُ وهندٌ فيه في وقت القائلة، ثمّ خرج الفاكهُ لبعض شَأْنِه، وأقبلَ رجلٌ ممّن كان يغشاه فَوَلَجَ البيتَ فلما رأى المرأة فيه وَلّى هارباً، ورآهُ الفاكه وهو خارجٌ من البيت، فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضربها برِجْلِه وقال: من هذا الّذي كان عندك؟ قالت: ما رأيتُ أحدًا ولا انتبهتُ حتّى أَنْبَهْتَنِي أنت، فقال لها: الحَقِي بأَبيك، وتكلّم فيها النّاسُ، فقال لها أبوها: يا بُنَيَّة إنَّ النّاس قد أكثروا فيك القَالَة، فأَنْبِئِيني نبأك، فإن يكن الرّجل عليكِ صادقًا دَسَستُ إليه من يقتله فينقطع عنكِ القالة، وإنْ يَكُ كاذباً حاكَمْتُه إلى بعض كهّان اليمن، فعند ذلك حلفت هند لأبيها بما كانوا يحلفون في الجاهليّة إنّه لكاذبٌ عليها، فقال عتبةُ بن ربيعة للفاكه: يا هذا إنَّكَ قد رميت ابنتي بأمر عظيم، وعار كبير، لا يغسله الماء، وقد جعلْتَنَا في العرب بمكانِ ذلةٍ ومَنْقَصة، ولولا أنك مني ذو قرابةٍ لقتلتك، ولكن سأحاكمك إلى كاهنِ اليمن[1].

فخرج الفاكه في بعض جماعة من بني مخزوم أقاربه، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف، وخرجوا بهندٍ ونسوةٍ معها من أقاربهم، ثم ساروا قاصدين بلاد اليمن، فلما شارفوا بلاد الكاهن قالوا غَداً نأتي الكاهن، فلما سَمِعَت هندٌ ذلك تَنَكَّرَتْ حالُها وتغير

(١) البداية والنهاية ٨/ ١٢٤.



وجهُها، وأخذت في البكاء، فقال لها أبوها: يا بنيَّة قد أرى ما بك من تَنَكُّرِ الحال، وكثرةِ البكاء، وما ذاك أراه عندَك إلا لمكروهٍ أَحْدَثْتِيه، وعملٍ اقترفتيه، فهَلَّا كان هذا قبل أن يَشِيعَ في الناس ويشتهِرَ مسيرُنا؟ فقالت: واللهّ يا أبتاه ما هذا الَّذي تراه منّي لمكروهٍ وقع منّي، وإنِّي لبريئة، ولكنَّ هذا الَّذي تراه من الحزن وتغيُّرِ الحال هو أنّي أعلم أنّكم تأتون هذا الكاهن وهو بَشَرٌ يخطئ ويصيب، وأخاف أن يخطئ في أمري بِشَيءٍ يكون عارُهُ عليَّ إلى آخر الدهر، ولا آمَنُهُ أن يَسِمَنِي مَيْسَماً تكون عليَّ سُبّةً في العرب[1].

فقال لها أبوها: لا تخافي فإنّي سوف أختبرُه وأمتحنه قبل أن يتكلّم في شأنِكِ وأمرِك، فإنْ أخطأ فيما أَمتَحِنُه به لم أدعه يتكلّم في أمرك، ثمّ إنّه انفرد عن القوم - وكان راكبًا مُهرًا - حتّى توارى عنهم خلف رَابِيةٍ فنزل عن فرسه ثمّ صَفَّرَ له حتّى أَدلَى إحليلَه، ثمّ أخذ حَبَّة بُرٍّ فأدخلها في إحليلِ المُهر، وأَوْكَى عليها بِسَيرٍ حتى أَحْكَمَ رَبْطَها، ثم صفر له حتى اجْتَمَع إِحْلِيلُه، ثم أتى القومَ فظنوا أنه ذهب ليقضي حاجةً له، ثم أتى الكاهن فلما قدموا عليه أكرمهم ونحرَ لهم، فقال له عتبة: إنّا قد جئناك في أمرٍ، ولكن لا أَدَعُكَ تتكلَّمُ فيه حتّى تُبَيِّن لنا ما خَبَّأتُ لك، فإنّي قد خبّأت لك خبيئاً فانظر ما هو، فأَخبِرْنَا به، قال الكاهن: ثَمَرَةٌ في كَمَرَةٍ، قال: أريد أَبْيَنَ مِن هذا، قال: حبة بُرٍّ في إحليل مُهرٍ، قال: صدقتَ فخُذْ فيما جئناك له، انظرْ في أمر هؤلاء النِّسوة، فأُجلِسَ النِّساءُ خلفَه وهندٌ معهم لا يعرفها، ثمّ جعل يدنو من إحداهنَّ فيضرب كتفَها وينفي عنها التهمة ويقول: انهضي، حتّى دنا من هندٍ فضربَ كتفَها وقال: انهضي حَصَانٌ رَزَانٌ، غير رسخاً ولا زانيةٍ، ولتَلِدِنَّ مَلِكًا يقال له معاوية[2].

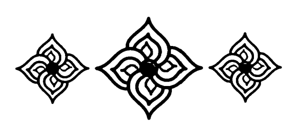
---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١٢٥.

(٢) المنمق في أخبار قريش ص١١٠.



فلما سمع زوجُها الفاكهُ كلامَ الراهب وَثبَ إليها فأخذ بيدها، فجذبت يدَها من يده وقالت له: إليك عَنِّي، واللهِ لا يجمَعُ رأسي ورأسَكَ وِسَادة، والله لأَحْرِصَنَّ أن يكون هذا المَلِكُ مِن غيرك، فتزوّجها أبو سفيان بنُ حربٍ فجاءت منه بمعاوية[1].



(١) تاريخ دمشق ٧٠/١٦٩.

سَطِيحٌ ورجالٌ من قريش

يذكر ابن عساكر في تاريخه أن رجلًا أتى ابنَ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال له: بلَغَنا أنك تَذْكُرُ سَطِيحًا الكاهنَ وتزعم أن الله لم يخلق من ولد آدم شيئًا يشبهه؟ قال: نعم، إن اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ سَطِيحًا الغساني لحمًا على وَضَم - والوَضَمُ شرائح من جرائد النخل - وكان يُحْمَل فيؤتَى به حيث يشاء، ولم يكن فيه عظمٌ ولا عصب إلا الجمجمة والعنق والكفين، وكان يُطْوَى من رجليه إلى تَرْقُوَتِه كما يُطْوَى الثوب، ولم يكن فيه شيءٌ يتحرك إلّا لسانُه، فلما أراد الخروج إلى مكة حُمِل في قُفَّة، فأتي به مكة فخرج إليه أربعةُ نفرٍ من قريش، عبد شمس وعبد مناف ابنا قُصَي، والأحوص بن فِهْر، وعقيل بن أبي وقاص، فانتمَوْا إلى غير نسبِهم فقالوا: نحن أناس من جُمَح أتيناك لنزورك لَمَّا بَلَغَنا قدومُك، ورأينا أنَّ إتيانَنَا إياكَ حقًّا واجبًا لك علينا، وأَهْدَى له عقيلٌ صَفِيحةً هندية وصَعْدَةً رُدَيْنِيَّة[1]، فَوُضِعَتا على باب البيت الحرام لينظروا هل يراهما سطيح أم لا، فقال سطيح: يا عقيل، ناولني يدك.

فناوله يدَه، فقال: والعالِمِ الخَفِيَّة، والغافرِ الخَطِيَّة، والذمةِ الوفية، والكعبة المبنية، إنك لجائِي بالهدية، الصفيحة الهندية، والصعدة الردينية، قالوا: صدقتَ يا سطيح، فقال سطيح: والآتِ بالفَرَح، وقوْس قُزَح، وسائر القرح، واللطيم المنبطح، والنخل الرطب والبلح، إنَّ الغرابَ حيث مَرَّ سَنَح، فأَخْبَرَ أن القوم ليسوا من جُمَح، وأنَّ نَسَبَهم في قريش

(١) الصَّعْدَة: القناة أو الرمح (ينظر: تهذيب اللغة ٢/ ٩)، وردينة: اسم امرأة كانت في البحرين تنسب إليها الرماح الردينية (ينظر: شمس العلوم للحميري ٥/ ٣١٠٣).

ذي البِطَح[1]، قالوا: صدقت يا سطيح، نحن أهل البيت الحرام، أتيناك لنزورك، لما بلغنا من عِلْمِك، فأخبِرْنَا عما يكون في زماننا هذا وما يكون مِن بَعْدِه، إن يكن عندك في ذلك علم، فقال: الآن صدقتم، خذوا مني مِن إلهام الله إياي، أنتم الآن يا معشر العرب في زمانِ الهَرَم، فتبينوا بصائرَكم وبصيرةَ العجم، لا عِلْمَ عندكم ولا فَهْم، وينشأ مِن عقبكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم، فيكسرون الصنم ويبلغون الرَّدْم[2]، ويقتلون العجم يطلبون الغُنْمَ، قالوا: يا سطيح، ممن يكون أولئك؟

قال لهم: والبيت ذي الأركان، والأمن والسلطان، لَيَنْشَأَنَّ مِن عَقِبِكم وِلْدَان، يكسرون الأوثان وينكرون عبادة الشيطان، ويوحدون الرحمن، وينشرون دين الديان، يُشْرِفُون البنيان ويقتنون القيان، قالوا: يا سطيح مِنْ نَسْلِ مَن يكون أولئك؟

قال: وأشرف الأشراف، والمُفْضِي للإسراف، والمزعزع الأحقاف، لَيَنْشَأَن الآلاف، من بني عبد شمس وعبد مناف، يكون فيهم اختلاف، قالوا: يا سوءتاه يا سطيح مما تخبر به من العلم بأمرهم، ومن أي بلد يخرج أولئك؟

قال: والباقي الأَبَدْ، والبالغِ الأمد، ليخرجن من ذي البلد، نبيٌّ مُهْتَد، يهدي إلي الرشد، يرفض يغوثَ والفَنَد[3]، يبرأ من عبادة الضِّدّ، يعبد ربًّا انفرَد، ثم يتوفاه الله محمودًا، ومن الأرض مفقودًا، وفي السماء مشهودًا، ثم يلي أمرَه الصِّدِّيق إذا قَضَى صَدَق، وفي رد الحقوق لا خَرِقٌ ولا نَزِق، ثم يلي أمرَه الحَنِيفُ، مُجَرِّبٌ غِطْرِيف، ويترك قول الرجل العَنِيف، قد أضاف المُضِيفَ وأَحْكَمَ التَّحْنِيف، ثم يلي أمرَه داعيًا لأمره

(١) البَطَح: تَبَسُّطُ الشَّيْءِ وَامْتِدَادُهُ (ينظر: مقاييس اللغة ١/ ٢٦٠).

(٢) يقصد السد الذي بناه ذو القرنين.

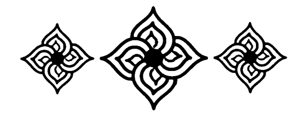
(٣) الفَنَد: الكذب (ينظر: مقاييس اللغة ٤/ ٤٥٤).

مجرِّبًا، فيجتمعون له جموعًا وعُصَبًا، فيقتلونه نقمة وغضبًا، فيُؤْخَذ الشيخُ فيُذْبح إربًا، فيقوم له رجال خطباء، ثم يلي أمرَه الناصر، فيخلط الرأي برأيٍ ماكر، يُظْهِرُ في الأرض العساكر، ثم يلي من بعدِه ابنُه، يأخُذُ جَمْعَه ويَقِلُّ حَمْدُه، ويأخذ المال فيأكلُ وحدَه، ويكثر المال لِعَقِبِه من بعده، ثم يلي من بعده عدةُ ملوك، لا شك أن الدمَ فيهم مسفوك، ثم يلي من بعده الصعلوك، يطويهم كطي الدُّرْنُوك[1]، ثم يلي أبو جعفر، يُقْصِي الخَلْقَ ويُدْني مُضَر، يفتتح الأرض افتتاحًا منكرًا، ثم يلي قصير القامة، بظهرِه علامة، يموت موتَ السلامة، ثم يأتي قليلٌ ماكر، يترك المُلْك بَائِر، ثم يلي أَخُوهُ بسُنَّتِه سائر، يختص بالأموال والمنابر، ثم يلي أمرَه مِن بعده أهوج صاحب دنيا ونعيم، يَتَشَاوَرُهُ معاشِرُهُ وذووه، ينهضون إليه ويخلعونه، يأخذون الملكَ ويقتلونه، ثم يلي أمرَه من بعده السابع، فيترك المُلْكَ مُخَلًّى ضائع، تَثُورُ في مُلْكِه ثَوْرَةُ جائع، عند ذلك يطمع في الملك كل عريان، فيلي أمرَ الناس اللهفان، يُوْطِىءُ نِزَارًا جَمْعَ قحطان، وإذا التقى بدمشق جمعان، بين بيسان ولبنان، يُصَنَّفُ اليمن يومئذ صنفين، صنفُ المَشُورة وصنفٌ مخذول، لا ترى إلا حِبَاءً محْلولًا، وأسيرًا مغلولًا، عند ذلك تَخْرَبُ المنازل، وتُسلب الأموال وتسقط الحوامل، وتظهر الزلازل، وتَطْلُبُ الخلافةَ وائل، فعند ذلك تغضب نزار، وتُدْنِي العبيدَ والأشرار، وتُقْصِي النُّسَّاكَ والأخيار، ويجوع الناس وتغلو الأسعار، وفي صفرٍ من الأصفار، يُقْتَل كلُّ جبار، ممن تَشَرَّفَ إلى خنادقَ وأنهار، ذات أشغالٍ وأشجار، يُعِدُّ لهم الأغيار، يهزمهم أولَ النهار، ويُظْهِرُ لأمرِه الأخيار، فلا ينفعهم نومٌ ولا قرار، حتى يدخل مَصْرًا من الأمصار، فيدركه القضاءُ والأوزار، ثم يَبُورُ الدين وتنقلبُ الأمور، ويُكْفَرُ الزَّبُور، وتُقْطَع الجسور، ولا يُفلِتُ إلا من كان من جزائر البحور، ثم

(١) الدُّرْنُوكُ: ضرب من الثياب به تشبه فروة البعير (ينظر: العين ٥/ ٤٢٩).

تَبُورُ الحروب، وَتظْهَرُ الأعاريب، على أهل الفسوق والرِّيب، في زمان عصيب، لو كان للقوم حَيَا، وما تُغْنِي المُنَى، قالوا: ثم ماذا يا سطيح؟

قال: ثم يظهر رجلٌ من اليمن كالشَّطَن[1]، يخرج من بين صنعاء وعدن،، يُذْهِبُ اللهُ على رأسه الفتن[2].



(١) الشَّطَنُ: الحبل الطويل الشَّديد الفتل (ينظر: العين ٦/ ٢٣٦).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ص٣٧٧ ٣٨١، وتاريخ دمشق ٧٢/ ٢١٣ ٢١٥.

رُؤْيَا المُوبَذَان[1]

يروي مخزوم بن هانئٍ المخزوميّ عن أبيه- وكان قد تجاوز الخمسين ومائة سنةٍ- قال: لَمَّا كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ارْتَجَسَ[2] إيوانُ كسرى وسقطت منه أربع عشرة شُرْفة، وخَمَدَت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عامٍ، وغاضَتْ بحيرةُ سَاوَة[3]، ورأى المُوبَذَان إبلًا صِعَابًا، تقود خيلًا عِرَابًا[4]، وقد قطعت دِجْلَةَ وانتشرت في بلادهم، فلمّا أصبح كسرى أفزعه ما رأى، فصبر تَشَجُّعًا، ثمّ رأى ألَّا يكتم ذلك عن وزرائه، فلبس تَاجَه وقعد على سريره وجمعهم إليه، فلمّا اجتمعوا إليه أخبرهم بالَّذي بعث إليهم فيه، فبينما هم كذلك إذ ورد عليه كتابٌ بخُمُودِ النّار، فازداد غمًّا إلى غمِّه، فقال الموبذان: وأنا أصلح اللهّ المَلِك قد رأيت في هذه اللَّيلة رؤيا، وقصّ عليه ما رأى، فقال: أيّ شيءٍ يكون هذا يا موبذان؟ - وكان أعلمهم - فقال: حادثٌ يكون من عند العرب، فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلى النّعمان بن المنذر، أمّا بعد، فوجّه إليَّ رجلًا عالمًا بما أريد أن أسأله عنه، فوجّه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نُفَيلة -أو ابن بقيلة - الغسَّانيّ، فلمّا قدم عليه، قال له: أعندك علمٌ بما أريد أن أسألك عنه؟

---

(١) المُوبَذانُ لِلْمَجُوسِ: كَقَاضِي الْقُضَاةِ للمسلمين (ينظر: لسان العرب، مادة: موبذ ٣/ ٥١١).

(٢) ارتجس: اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ حَرَكَةً سُمِعَ لَهَا صَوْتٌ (ينظر: اللسان، مادة رجس ٦/ ٩٥).

(٣) بحيرة في مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط بينهما، وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخًا (ينظر: معجم البلدان ٣/ ١٧٩).

(٤) الإبل الصعاب: الشداد، والخيل العراب: أي عربية منسوبة إلى العرب (الروض الأنف للسلامي ١/ ١٤٠).

قال: ليخبرني الملك، فإن كان عندي منه علمٌ، وإلّا أخبرته بمن يعلمه، فأخبره بما رأى، فقال: عِلْمُ ذلك عند خَالٍ لي يسكن مشارفَ الشَّام، يقال له سَطيحٌ، قال: فَأْتِه فاسأله عمّا سألتك، وأْتِنِي بجوابه، فركب عبد المسيح راحلته حتّى قدم على سطيحٍ - وقد أشفى على الموت- فسلّم عليه وحيّاه، فلم يُحِرْ سطيحٌ جوابًا، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أَصَـمَّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ الْيَمَنْ　　أَمْ فَـادَ فَـازْلَمّ بِـهِ شَـأْوُ الْـعَـنَنْ
يَـا فَـاصِـلَ الْخُـطّـةِ أَعْـيَـتْ مَـنْ وَمَـنْ　　أَتَـاك شَـيْـخُ الْحَـيّ مِـنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّــهُ مِـنْ آلِ ذِئْـبِ بْـنِ حَجَنْ　　أَبْـيَـضُ فَضْفَاضُ الـرّدَاءِ وَالْـبَـدَنْ
رَسُـولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِي لِلْوَسَنْ　　لَا يَرْهَبُ الرّعْدَ وَلَا رَيْـبَ الزّمَنْ
تَجُـوبُ بِي الْأَرْضُ عَـلَـنْـدَاةٌ شَـزَنْ　　تَرْفَعُنِي وَجْـنًـا وَتَهْـوِي بِي وَجَـنْ
حَتّى أَتَـى عَـارِي الجَآجِـي وَالْقَطَنْ　　تَـلُـفّـهُ فِي الـرّيـحِ بَـوْغَـاءُ الـدّمَـنْ
كَـأَنّمَا حُثْحِثَ مِنْ حِضْنَيْ ثَكَنْ![1]

---

(١) القصيدة فى الطبري ٢ / ١٦٧ مع اختلاف عما هنا في الترتيب، مع وجود نقص وزيادة، وهى في اللسان مادة سطح، وفيها اختلاف أيضاً عما هنا، والغطريف: السيد الكريم، جمعها: غطاريف، وازْلَمّ: ذهب مسرعًا، وشَأْوُ العَنَن: اعتراض الموت على الخلق، وقيل: ازلم: قُبض بضم القاف، والعنن: أي عرض له الموت، فقبضه، وقد فسر ابن كثير عننًا بقوله: يريد اعتراض الموت وسبقه، والخطة: الحال والأمر والخطب، وفاصل الخطة: إذا نزل به أمر مشكل فصله برأيه، وأعيا عليه الأمر: أعجزه فلم يهتد لوجهه، والقَيْل:هو الملك النافذ القول والأمر، وجمعه الأقوال أو الأقيال، والقيل أيضًا: لقب لمن يكون من ملوك حمير دون الملك الأعظم، والعجم: خلاف العرب، والعَلَنْدَاة: القوية من النوق، والوَجْن بسكون الجيم، وفتحها، والواجن والوجين: أرض صلبة ذات حجارة، وتروى بضم الواو، جمع: وجين بنفس المعنى، والجَآجِي: جمع جُؤْجُؤ وهو الصدر، والقَطَن: أصل ذنب الطائر، وأسفل الظهر من الإنسان، وقيل: صوابها بكسر الطاء، جمع قِطنة، بكسر القاف وإسكان الطاء، وهي ما بين الفخذين، البَوْغَاء: التراب الناعم، والدّمَن: ما تَدَمَّنَ منه، أي: تَجَمَّعَ وتَلَبَّد، وهذا اللفظ كأنه من المقلوب، تقديره: تلفه الريح في بوغاء الدمن، وحَثْحَثْ: يقال حثه على الشيء، وحَثَّحَثه يعني: قال له: أسرع، وثَكَن: اسم جبل حجازي. والحِضْن: الجَنْب. (ينظر: هامش الروض الأنف للسلامي١/ ١٤٢).

فلمّا سمع سطيحٌ شعره رفع رأسه وقال: عبدُ المسيح، على جملٍ يَسِيح، إلى سطيحٍ، وقد أَوْفَى على الضَّريح، بَعَثَكَ ملكُ بني سَاسَان، لارتجاس الإيوان، وخمود النّيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلًا صعابًا، تقود خيلًا عرابًا، قد قَطَعَتْ دجلة وانتشرت في بلادهم، يا عبد المسيح: إذا كَثُرَت التّلاوة، وبُعِثَ صاحب الهِرَاوة، وفاض وَادِي السَّمَاوَة، وغاضت بحيرةُ سَاوَة، وخمدت نار فارس، فليست الشّامُ لسطيحٍ شَامًا، يَمْلِكُ منهم مُلوكٌ وملكاتٌ، على عدد الشُّرُفَات، وكلُّ ما هو آتٍ آت[1]، ثمّ مات سطيحٌ مكانه، فقام عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

شَـمِّـرْ فَـإِنَّـكَ مَـاضِي الهَـمِّ شِـمِّيرُ ... لَا يُـفْـزِعَـنَّـكَ تَـفْـرِيـقٌ وَتَـغْـيِيرُ

إِنْ يُمْسِ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ ... فَـإِنَّ ذَا الـدَّهْـرَ أَطْـوَارٌ دَهَـارِيـرُ

فَـرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْـحَـوْا بِـمَـنْـزِلَـةٍ ... تَهَـابُ صَـوْلَهُـمُ الأُسْـدُ المُـهَـاصِيرُ

مِنْهُمْ أَخُـو الصَّرْحِ بَهْـرَامٌ وَإِخْـوَتُـهُ ... وَالهُـرْمُـزَانُ وَسَـابُـورٌ وَسَـابُـورُ

وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا ... أَنْ قَـدْ أَقَـلَّ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ

وَهُـمْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّـا إِنْ رَأَوْا نَشَبًا ... فَـذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْـفُـوظٌ وَمَنْصُورُ

وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ مَـصْـفُـودَانِ فِي قَـرَنٍ ... فَـالخَيْرُ مُـتَّـبَـعٌ وَالشَّرُّ مَحْـذُورُ

فلمّا قدم عبد المسيح على كسرى، أخبره بقول سطيحٍ، فقال: إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكًا تكون أمورٌ وأمورٌ، فقضى الله أن يزول ملكهم عاجلًا فَمَلَكَ منهم عشرةٌ في أربع سنين، ومَلَكَ الباقون إلى خلافة عثمان بن عفّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٤٩٠.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٢/ ١٦٨، وسيرة ابن كثير ١/ ٢١٧، ٢١٨ والعقد الفريد ٢/ ٣٠، ٣١، وتاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٤٩٣ مع اختلاف في بعض ألفاظ الأبيات.



الكاهنُ خَطَر يُبَشِّر بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روى أبو جعفرٍ العقيليُّ في كتاب الصَّحابة عن رجلٍ من بني لهبٍ قال: حضرت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْت عنده الكهانة فقلت: بأبي أنت وأمّي، نحن أوّل من عَرَف حِرَاسَة السّماء وزجر الشّياطين ومَنْعهم من استراق السّمع عند قذف النّجوم، وذلك أنَّا اجتمعنا إلى كاهنٍ لنا يقال له خَطَرُ بن مالكٍ، وكان شيخًا كبيرًا، قد أتت عليه مائتا سنةٍ وثمانون سنةً، وكان من أعلم كهّاننا، فقلنا: يا خطر هل عندك علمٌ عن هذه النّجوم الَّتي يُرْمَى بها، فإنّا قد فَزِعْنا لها، وخشينا سوءَ عاقبتها؟ فقال:

ائْتُوني بِسَحَر أُخبِرْكم الخَبَرْ
أَبِخَيْرٍ أم ضَرَرْ أو لأمْنٍ أو حَذَرْ

قال فانصرفنا عنه يومنا، فلمّا كان من غد في وَجْهِ السَّحَر أتيناه فإذا هو قائمٌ على قدميه شاخصٌ في السّماء بعينيه، فناديناه: أَخَطَرٌ يا خطر؟ فأومأ إلينا: أنْ أَمْسِكُوا، فانقضَّ نَجمٌ عظيمٌ من السّماء وصرخ الكاهن رافعًا صوته:

أَصَابَهُ إصَابَه خَامَرَهُ عِقَابُهْ
عَاجَلَهُ عَذَابُهْ أَحْرَقَهُ شِهَابُهْ
زَايَلَهُ جَوَابُهْ

يَــا وَيْــلَــهُ مَــا حَــالُــهْ بَــلْــبَــلَــهُ بَــلْــبَــالُــهْ

عَــاوَدَهُ خَــبَــالُــهْ تَــقَــطَّــعَــتْ حِــبَــالُــهْ

وَغُــيِّــرَتْ أَحْــوَالُــهْ

ثُمّ أمسكَ طَويلًا وهو يقول:

يَــا مَــعْشَرَ بَــنِــي قَــحْــطَــانِ أُخْبِرُكُــمْ بِــالْحَــقِّ وَالْــبَــيَــانِ

أَقْــسَــمْــت بِــالْــكَــعْــبَــةِ وَالْأَرْكَــانِ وَالْــبَــلَــدِ الْمُــؤْتَمَــنِ الــسَّــدَّانِ

لَــقَــدْ مُــنِــعَ الــسَّــمْــعَ عُــتَــاةُ الْجَانِّ بِــشَــاقِــبٍ بِــكَــفِّ ذِي سُــلْــطَــانِ

مِــنْ أَجْــلِ مَــبْــعُــوثٍ عَظِيمِ الشَّانِ يُــبْــعَــثُ بِــالــتَّــنْــزِيــلِ وَالْــقُــرْآنِ

وَبِــالْهُــدَى وَفَــاصِــلِ الْــقُــرْآنِ تَــبْــطُــلُ بِــهِ عِــبَــادَةُ الْأَوْثَــانِ

قال فقلنا: وَيْحَك يا خَطَرُ إنك لتَذكُرُ أمرًا عظيمًا، فماذا ترى لِقَومِك؟ فقال:

أَرَى لِــقَــوْمِــي مَــا أَرَى لِــنَــفْــسِي أَنْ يَــتْــبَــعُــوا خَيْرَ نَــبِــيِّ الْإِنْــسِ

بُــرْهَــانُــهُ مِــثْــلُ شُــعَــاعِ الشَّمْسِ يُــبْــعَــثُ فِي مَــكَّــةَ دَارِ الْحُــمْــسِ

بِــمُــحْــكَــمِ الــتَّــنــزيــلِ غيرِ الــلَّــبْــسِ

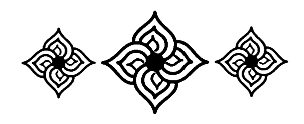
فقلنا له: يا خطر وممّن هو؟ فقال: والحياة والعيش، إنّه لمن قريش، ما في حِلْمِه طيش، ولا في خُلُقِه هَيْش، يكون في جيشٍ وأيّ جيش، من آل قَحطانٍ وآل أَيْش[1]، فقلت له:

---

(١) قولُهُ: من آل قحطان وآل أيشٍ يعني بآل قحطان الأنصار؛ لأنهم من قحطان، وأمّا آلُ أيشٍ فيُحتملُ أن تكُون قبيلةً من الجنّ المُؤمنين (الروض الأنف ٢/ ٢٠٦).



بَيِّن لنا من أيِّ قريشٍ هو؟ فقال: والبيت ذي الدّعائم، والرُّكن والأَحَائِم[١]، إنّه لَمِنْ نَجْلِ هاشم، من معشرٍ كرائم، يُبْعَثُ بالملاحم، وقتلِ كلِّ ظالم، ثمَّ قال: هذا هو البيان، أَخْبَرَنِي به رئيسُ الجان، ثم قال: الله أكبر، جاء الحقُّ وظهر، وانْقَطَعَ عن الجنِّ الخبر، ثم سَكَتَ وأُغْمِيَ عليه، فما أفاق إلّا بعد ثلاثةٍ، فقال: لا إله إلّا الله، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد نَطَقَ عن مثل نُبوَّةٍ، وإنّه ليُبْعَث يوم القيامة أمّةً وحدَه»[٢].



(١) ذكرُ الرّكن والأحائم يجُوزُ أن يكُون أراد الأحاوم بالواو فهمز الواو لانكسارها، والأحاومُ جمعُ أحوام والأحوامُ جمعُ حوم وهُو الماءُ في البئر، فكأنّهُ أراد ماء زمزم، والحومُ أيضًا إبلٌ كثيرةٌ تردُ الماء، فعبَّرَ بالأحائم عن وراد زمزم، ويجُوزُ أن يُريد بها الطّير وحمام مكّة الّتي تحُومُ على الماء، فيكُونُ بمعنى الحوائم، وقُلب اللّفظُ فصار بعد فواعل أفاعل، واللهُ أعلمُ. (الروض الأنف ٢/ ٢٠٧).

(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ١٠٧، والإصابة لابن حجر ٥/ ٥١٢، والحديث ذكره السلمي في الروض الأنف ٢/ ٢٠٦، وقال ابن عبد البر: إسناده ضعيف، ورواته مجهولون.

خبر زَبْرَاء الكاهنة مع بَنِي رِئَام مِن قُضَاعَة

يذكر أهل السِّيَر عن أشياخٍ مِن علماء قُضَاعة قالوا: كان ثلاثةُ أَبْطُنٍ من قضاعة متجاورين بين الشِّحْر[1] وحَضرَمَوْت، وهم بنو نَاعِب، وبنو دَاهِن، وبنو رِئَام، وكانت بنو رِئَامٍ أَقلَّهم عددًا، وأشجعَهم لقاءً، وكانت لبني رئام عجوزٌ تسمّى خُوَيْلَة، وكانت لها أَمَةٌ مِن مُوَلَّدات العرب تسمى زَبْرَاء، وكان يدخل على خويلة أربعون رجلًا كلُّهم لها مَحْرَم، بنو إخوةٍ وبنو أخوات، وكانت خويلة عقيمًا، وكان بنو ناعب وبنو داهن مُتَظَاهِرِين على بني رئام، فاجتمع بنو رئامٍ ذاتَ يوم في عرس لهم وهم سبعون رجلًا كلهم شجاع بَئِيس، فطعِمُوا وأقبلوا على شرابهم، وكانت زبراءُ كاهنة، فقالت لخويلة: انطلقي بنا إلى قومِك أُنْذِرْهُم، فأقبَلَت خويلة تتوكأُ على زبراء، فلما أبصرَها القوم قاموا إجلالًا لها، فقالت: يا ثَمَرَ الأكباد، وأندادَ الأولاد، وشَجَا الحُسَّاد، هذه زبراء، تخبركم عن أنباء، قبلَ انحسار الظلماء، بالمُؤْيِدِ[2] الشَّنْعاء، فاسمعوا ما تقول، قالوا: وما تقولين يا زبراء؟ قالت: واللّوحِ الخَافِق، والليل الغَاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمُزْنِ الوَادِق، إنَّ شجرَ الوادي لَيَأْدُو خَتْلًا[3]، ويَحْرِقُ أنيابًا عُصْلا[4]، وإن صخرَ الطَّوْد لَيُنْذِرُ ثُكْلًا، لا

(١) الشِّحْر: وهو موضع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، بين عدن وعمان (ينظر: معجم البلدان ٣/ ٣٢٧).

(٢) المؤْيِد: بِوَزْن مُعْيِد، الأمْرُ الْعَظِيم (ينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ١٦٠).

(٣) أَدَوْتُ له آدُو أَدْوًا: إذا خدعته، والخَتْلُ: الخداع أيضًا. (ينظر: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت ١/ ١١١).

(٤) حرق أنيابه: إذا حك بعضها ببعض، والعرب تقول ذلك عند التعبير عن الغيظ، والعُصْل: المِعْوَجَّة، جمع أَعْصَل. (ينظر: جمهرة خطب العرب ١/ ١١١).

تَجِدُون عنه مَعْلا[١]، فوافَقَتْ قومًا أَشَارَى سُكَارَى[٢]، فقالوا: رِيحٌ خَجُوج، بعيدةُ ما بين الفُرُوج، أتت زبراء بالأَبْلَقِ النَّتُوج[٣]، فقالت زبراء: مهلا يا بني الأَعِزَّة، والله إني لأَشُمُّ ذَفَرَ[٤] الرجالِ تحت الحديد، فقال لها فتى منهم يقال له هُذَيل بن مُنْقِذ: يا خَذَاق[٥]، والله ما تَشُمِّينَ إلا ذَفَرَ إِبِطَيْك، فانصرفت عنهم وارْتَاب قومٌ مِن ذوي أسنانِهم، فانصرف منهم أربعون رجلًا وبقي ثلاثون فَرَقَدوا في مَشْرَبِهم، فَطَرَقَتْهُم بنو دَاهِنٍ وبنو ناعبٍ فقتلوهم أجمعين، وأَقبَلَت خويلةُ مع الصباح فوقفت على مصارعهم، ثم عَمَدَت إلى خناصِرهم فقطعتها، وانْتَظَمَتْ منها قلادةً وألقتها في عنقها، وخرجت حتى لَحِقت بِمَرْضَاوِي بن سَعْوَة المَهْرِي، وهو ابن أختها، فَأَنَاخَت بفنائه، وأنشأت تقول:

يـا خيرَ معتمَدٍ وأَمْـنَـعَ مَـلْـجَـإٍ	وأَعَـــزَّ منتقِم وأَدْرَكَ طَـالِـبِ
جـاءتـك وَافِـــدَةُ الـثَّـكَـالَى تَـغْـتَلِي	بِـسَـوادِهـا فـوق الفضاء النَّاضِبِ
هَـــذِي خـنَـاصِرُ أُسْرَتي مَسْرُودَةٌ	في الجِيدِ مِنِّي مثل سَمْطِ الكَاعِبِ
عشرون مقتبلًا وشَـطْـرُ عَدِيدِهم	صَـيَّـابَـةٌ مِـلْـقَـوْمِ غيرُ أَشَـايِـبِ
طَـرَقَـتْـهُـمُ أُمُّ اللُّهَيْم فأصبحوا	تُـسْـتَـنُّ فـوقَـهـمُ ذُيـولُ حَـواصِـبِ

---

(١) المَعْلُ: الاختِلاسُ بسُرعَةٍ فِي الحَرْبِ. (ينظر: تاج العروس، مادة: معل ٣٠/ ٤١١).

(٢) يعني أنها وجدتهم قد شربوا حتى سكروا وأخذتهم الحمية فلم يلتفتوا لكلامها، بل قالوا لها إن كلامك كالريح الخجوج، وهي التي تمر مسرعة دون أثر، كما يأتي.

(٣) الأبلق: وصف من البَلَق، مُحَرَّكَة، وهو ارتفاع البياض في قوائم القرس إلى الفخذين، والأبلق لا يكون نَتُوجًا، والعرب تضرب هذا مثلًا للشيء الذي لا ينال (ينظر: جمهرة خطب العرب ١/ ١١١) والمعنى أن زبراء ذكرت شيئًا لا يمكن أن يناله منهم الأعداء.

(٤) الذَّفَر: سُوءُ رِيح الإِبْطِ (ينظر: العين ٨/ ١٨١).

(٥) يقال للجارية: يا خَذَاق، أي ذات است ترمي بذرقها، أي عذرتها (ينظر: اللسان، مادة: ذرق ١٠ / ٧٣).

جَــزَرًا لعافية الخَــوَامِــعِ بعد ما ... كانوا الغِيَاثَ من الزَّمان اللَّاحِــبِ

قَسَمت رجــالُ بني أبيهم بينهم ... جَـرعَ الـرَّدَى بِمَخَارِصٍ وقَوَاضِبِ

فـابْـرِدْ غَليلَ خُـوَيْـلَـةَ الـثَّـكْلَى التي ... رُمِيَتْ بأَثْقَلَ مِن صُخُورِ الصَّاقِبِ

وتَلَافَ قـبـلَ الـفـوتِ ثَـــأْرِي إنّـه ... عَـلِـقٌ بِـثَـوْبَيْ داهــنٍ أو نـاعــبِ[1]

فقال: حرامٌ عَلَيَّ الأَعْذَبَان والأحمران[2]، أو يُقْتَل بعَدَدِ رئامٍ مِنْ دَاهِنٍ ونَاعب، ثم قال:

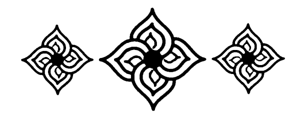
أخــالَــتَــنـا سِرُّ الـنـســاء مُحَـــرَّمٌ ... عَلَيَّ وتَـشْـهَـادُ الـنَّـدَامَـى على الخمرِ

لئن لم أُصَــبِّـحْ داهـنًـا ولَفِيفَها ... ونَـاعِـبَـهـا جَـهْـرًا بـراغِـيَـةِ البكْرِ

فَـوَارِي بَنَانَ القوم في غَامِضِ الثَّرَى ... وشُـدِّي إليكِ مِـن قناعٍ ومِـن سِتْرِ

فــإني زعــيــمٌ أَنْ أُرَوِّيَ هَامَهم ... وأُظْمِئُ هامًا ما انْسَرَى الليلُ بالفَجْرِ

ثم خرج في جماعةٍ مِن قومه، فطرَقَ ناعبًا وداهنًا فأَوْجَعَ فيهم.[3]



---

(١) الصُّيَّابة: الخِيارُ مِنْ كُلِّ شيءٍ، وأُمُّ اللُّهَيْم كُنْيَةُ المَوْتِ لأنه يَلْتَهِم كُلَّ أحد، والخَوَامِعُ: الضِّباعُ، واللاحب: يقال: لحب به الأرض أي صرعه (اللسان مادة صبب ١/ ٥٣٨، ومادة: لهم ١٢/ ٥٥٤، ومادة لحب ١/ ٧٣٧).

(٢) الأعذبان: الطعام والنكاح (ينظر: تاج العروس مادة: عذب ٣/ ٣٢٩) والأحمران: الخمر واللحم (ينظر: تهذيب اللغة ٥/ ٣٩).

(٣) أمالي القالي ١/ ١٢٦- ١٢٨.

سُعْدَى بنت كُرَيْز وعثمان بن عفان

ذكر الحافظ ابن عساكر أنَّ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا بلغه أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوَّجَ ابنتَه رقيَّة - وكانت ذات جمالٍ - من ابن عمِّها عتبة بن أبي لهبٍ، تأسَّف إذ لم يكن هو تَزوَّجَها، وحزن لذلك حزنًا شديدًا، فدخل على أهله مهمومًا فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريزٍ بن ربيعة بن عبد شمس - وكانت كاهنةً - فقالت له: أَبْشِر وحُيِّيتَ ثلاثًا تَتْرا، ثمّ ثلاثًا وثلاثًا أخرى، ثمَّ بأخرى كي تُتِمَّ عَشْرا، أتاك خيرٌ ووقِيتَ شرًّا، أُنْكِحْتَ واللهِّ حَصَانًا زَهْرَا، وأنت بكرٌ ولقيتَ بِكْرا، وَافَيْتَها بنتَ عَظِيمٍ قَدْرَا، بَنَيْتَ أمرًا قد أشادَ ذِكْرا، قال عثمان: فعجبت من أمرها حيث تبشرني بالمرأة قد تزوَّجَت بغيري، فقلت: يا خالة! ما تقولين؟ فقالت: عثمان لك الجمال، ولك اللّسان، هذا النبي معه البرهان، أرسله بحقّه الدّيّان، وجاءه التّنزيلُ والفُرْقان، فاتَّبِعْه لا تَغْتَالُك الأوثان، قال: فقلت إنّك لتذكرين أمرًا ما وقع ببلدنا، فقالت: محمّد بن عبد اللهّ، رسولٌ من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو به إلى الله، ثمّ قالت: مِصْبَاحُهُ مصباح، ودينُه فَلاح، وأمرُه نجاح، وقَرْنُه نَطَاح، ذَلَّتْ له البِطَاح، ما ينفع الصِّياح، لو وَقَع الذَّبَاح، وسُلَّتِ الصِّفَاح، ومُدَّت الرّماح، قال عثمان: فانطلقت مفكّرًا فلقيني أبو بكرٍ فأخبرته، فقال: ويحك يا عثمان إنك لرجلٌ حازمٌ، ما يخفى عليك الحقُّ من الباطل، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارةٍ صمٍّ لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع؟ قال: قلت بلى! واللهّ إنها لكذلك، فقال: والله لقد صدَقَتْكَ خالتُك، هذا رسول الله محمَّد بن عبد اللهّ، قد بعثه الله

إلى خلقه برسالته، هل لك أن تأتيه؟ فاجتمعنا برسول الله فقال: يا عثمان أجب اللهَ إلى حَقِّه، فإنِّي رسول الله إليك وإلى خلقه، قال: فو الله ما تمالكت نفسي منذ سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، ثم لم ألبث أن تزوَّجت رقيَّة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يقال:

أحْسَنُ زوجٍ رآه إنسانْ ... رقيةُ وزوجُها عثمانْ

فقالت في ذلك سعدى بنت كريزٍ:

هَدَى اللهُ عُثْمَانًا بِقَوْلِي إِلَى الْهُدَى ... وَأَرْشَدَهُ وَاللهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

فَتَابَعَ بِالرَّأْيِ السَّدِيدِ مُحَمَّدًا ... وَكَانَ بِرَأْيٍ لَا يَصُدُّ عَنِ الصِّدقِ

وَأَنْكَحَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ بِنْتَهُ ... فَكَانَا كَبَدْرٍ مَازَجَ الشمسَ في الأُفْقِ

فِدَاؤُكَ يا بن الْهَاشِمِيِّينَ مُهجتي ... وَأَنْتَ أَمِينُ اللهِ أُرْسِلْتَ للخلقِ[1]

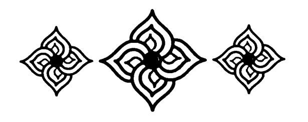


(١) البداية والنهاية ٧/ ٢٢٣، وتاريخ دمشق ٣٩ / ٢٥، ونهاية الأرب ٣/ ١٣٠.

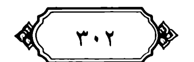


شَافِعُ بنُ كُلَيب والملك تُبَّع

وفدَ الكاهن شافع بن كليب الصدفي على تُبَّع ملك اليمن، فأقام عنده، فلما أراد توديعَه قال تُبّع: ما بَقيَ مِنْ عِلْمِك؟ قال: بقيَ خبرٌ ناطق، وعلمٌ صادق، قال: فهل تجِدُ لِقَوْمٍ مُلْكًا يوازي مُلْكي؟ قال: لا إلا لَملِكِ غسان نَجْل، قال: فهل تجد مُلكًا يزيد عليه؟ قال: نعم، قال: ولمن؟ قال أَجِدُهُ لبارٍّ مبرور، أُيِّدَ بالقَهُور، ووُصِف في الزَّبور، وفُضِّلَتْ أُمَّتُه في السُّفور، يُفَرِّج الظُّلَم بالنور، أحمد النبِي، طوبى لأمته حين يَجِي، أحدُ بني لؤي، ثم أحد بني قُصي، فبعث تُبَّعُ إلى الزبور فنظر فيها، فإذا هو يجد صفةَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].



(١) الطبري ٢/ ١١١.



سَوَادُ بنُ قَارب

عن محمد بن كعب القُرَظِي قال: بينما عمر بن الخطاب قاعدٌ في المسجد إذ مرَّ به رجل في مؤخر المسجد، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أتعرف المَارّ؟ قال: من هو؟ قال: هذا سواد بن قارب، وهو رجل من أهل اليمن له شرف وموضع، وهو الذي أتاه رِئِيُّهُ من الجن يخبره بظهور النبي ﷺ، فقال عمر: عليَّ به، فدعا به فقال: أنت سوادُ بنُ قارب؟ قال: نعم، قال: فأنت الذي أتاك رَئِيُّكَ بظهور رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فأنت على ما كنت عليه من كهَانَتِك؟ فغضب غضباً شديداً وقال: يا أمير المؤمنين ما استقْبَلَنِي بهذا أحدٌ منذ أسلمت، فقال عمر: سبحان الله، والله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، أَخبِرْنِي بإتيانِ رَئِيِّك بظهور النبي ﷺ، قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا نائمٌ ذات ليلة إذ أتاني آتٍ فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب فافْهَم واعْقِل إن كنت تَعْقِل، إنه قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عَـجِـبْـت لِـلْـجِـنّ وَإِبْلَاسِـهَـا ... وَشَـدِّهَـا الْـعِـيسَ بِـأَحْلَاسِـهَـا

تَهْـوِي إِلَى مَـكّـةَ تَـبْـغِي الْهُـدَى ... مَـا طَـاهِـرُ الْجِـنّ كَـأَنْـجَاسِـهَـا

فَـارْحَـلْ إِلَى الـصّـفْـوَةِ مِـنْ هَاشِمٍ ... لَـيْـسَ ذُنَـابَـى الـطّيْرِ مِـنْ رَأْسِـهَـا

قال: فلم أَرْفَع لقولِه رأساً، وقلت: دعني أنام فإني أمسيتُ ناعساً، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فضربني برجله، وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب قُمْ فافهم، واعْقِل إن كنت تعقل، إنه قد بُعِث نبيٌّ من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني يقول:

عجبت للجنُ وتَطْلَابِها   وشَدِّها العيس بأَقْتَابِها
تهوِي إلى مكة تبغي الهُدَى   ما صَادِقُ الجنِّ كَكَذَّابِها
فارحلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ   ليسَ قُدَّامها كَأَذْنَابِها

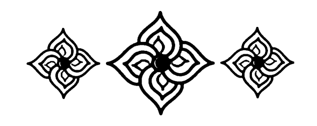
قال: فلم أرفع لقوله رأساً، وقلت: دعني أنام فإني أمسيت ناعساً، لما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله، وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب، قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسولٌ من لؤي بن غالبٍ يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني يقول:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا   وَرَحْلِهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى   مَا صَادِقُوهَا مِثْلَ كَذَّابِهَا
فَارْحلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ   وَاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إِلَى رَأْسِهَا

قال: فوقع في قلبي حبُّ الإسلام ورغبتُ فيه، فلما أصبحتُ شددتُ على راحلتي وانطلقت متوجهاً إلى مكة، فلما كنتُ ببعض الطريق أُخْبِرتُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد هاجر إلى المدينة، فقدمت المدينة فسألت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقيل لي: في المسجد، فانتهيت إلى المسجد فعَقَلْتُ ناقتي، فإذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس حوله، فقلت: تَسْمَعُ مقالتي يا رسول الله، فقال لأبي بكر: أَدْنِه أَدْنِه، فلم يزل بي حتى صرتُ بين يديه، فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله.، فقال: هات أخبرني بإتيان رَئِيِّكَ، فقلت:

أَتَــانِي نَـجِـيٌّ بَـعْـدَ هَــزْوٍ وَرَقْــدَةٍ   وَلَمْ يَـكُ فِـيمَا قَـدْ تَـلَـوْتُ بِـكَـاذِبِ
ثَلَاثَ لَـيَـالٍ قَـوْلُـهُ كُـلَّ لَـيْـلَـةٍ   أَتَــاكَ رَسُــولٌ مِـنْ لُـؤَيِّ بْـنِ غَالِبِ
فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْـلِ الْإِزَارِ وَوَسَّطَتْ   بِيَ الزَّعْلَبُ الْوَجْنَاءُ عِنْدَ السَّبَاسِبِ
وَأَعْـلَــمُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ   وَأَنَّــكَ مَـأْمُـونٌ عَلَى كُـلِّ غَـائِـبِ
وَأَنَّــكَ أَدْنَــى الْمُــرْسَـلِينَ وَسِيلَةً   إِلَى اللهِ يَا ابْـنَ الْأَكْــرَمِينَ الْأَطَـايِـبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَـا خَيْرَ مُرْسَلٍ   وَإِنْ كَـانَ فِـيمَا جَـاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وكُـنْ لِي شَفِيعاً يـومَ لا ذُو شَفَاعَةٍ   سِــوَاكَ بِمُغْنٍ عن سَــوَادِ بنِ قَـارِبِ

قال: ففرح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُه بإسلامي فرحاً شديداً حتى رُئِي الفرح في وجوههم، قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب فالْتَزَمَه، وقال: كنتُ أُحِبُّ أن أسمع هذا منك، فهل يأتيك رئيُّكَ اليوم؟ فقال: مُذْ قرأتُ القرآن فَلَا، ونِعْمَ العِوَضُ كتاب الله مِن الجن[1].



(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم ٣/ ١٤٠٥، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٢/ ٤٩٦، والبداية والنهاية ٢/ ٣٣٣.

خَنافِر الحِمْيَرِيّ

كان خنافرُ بنُ التَّوْأَم الحميري كاهنًا، وكان قد أوتى بَسْطَةً في الجسم وسعةً في المال، وكان عاتيًا، فلما وَفَدَت وفوُد اليمن على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهرَ الإسلامُ أغارَ على إبلٍ لِمُرَادٍ فاكْتَسَحَها، وخرج بأهلِه ومالِه ولحِقَ بالشِّحْرِ[1] فحَالَفَ جَوْدَان بن يحيى الفِرْضِمِيّ، وكان جودان هذا سيدًا منيعًا، ونزل بوادٍ من أودية الشِّحْرِ مُخْصِبٍ كثيرِ الشجر، قال خنافر: وكان رَئِيِّي في الجاهلية لا يغيب عني، فلما شاع الإسلام فَقَدْتُه مدةً طويلة وساءَنِي ذلك، فبينما أنا في ليلة في ذلك الوادي نائمًا إذ هَوَى هَوْيَ العُقَاب، فقلت: شَصَّار[2]؟ قال: بلى، قلت: ماذا جرى؟ فقال: اسْمَع أَقُل، قلت: أَسْمَع، فقال: عِهْ تَغْنَم، لكل مدةٍ نهاية، وكلُّ ذِي أمدٍ إلى غاية، قلت: أجل، فقال: كل دولة إلى أجل، ثم يُتَاحُ لها حَوَل، انْتَسَخَتِ النِّحَل، ورَجَعَتْ إلى حقَائِقِها المِلَل، إنك صديقٌ موصول، والنُّصْحُ لك مَبْذُول: إني آنَسْتُ بأرضِ الشام، نفرًا من أهل العَزَام، حُكّامًا على الحُكّام، يذكرون ذا رَوْنَقٍ من الكلام، ليس بالشعر المؤلف، ولا بالسجع المُتَكَلَّف، فأصغيتُ فَزَجَرْت، فعاوَدْتُ فَتَلَطَّفْت، فقلت: بم تُهَيْنِمُون[3]، وإِلَامَ تَعْتَزُون[4]؟ فقالوا: خِطابٌ كُبَّار، جاء

(١) الشِّحْر: وهو موضع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، بين عدن وعمان (ينظر: معجم البلدان ٣/ ٣٢٧).

(٢) اسم الجني المقصود.

(٣) الهَيْنَمَةُ: الصّوتُ الخفيّ، وهو شِبْهُ قراءة غير بيّنة (ينظر: العين ٤/ ٦٠).

(٤) تَعْتَزُون: تنتمون وتنتسبون (ينظر: تهذيب اللغة ٣/ ٦٣).

من عند الملك الجبار، فاسمع يا شَصَّار، عن أصدق الأخبار، واسلُكْ أَوْضَح الآثار، تنج من أَوَارِ النار، قلت: وما هذا الكلام؟ قالوا: فُرْقَانٌ بين الكفر والإيمان، رسولٌ من مُضَر، ابتُعِثَ فَظَهَر، فجاء بقولٍ قد بَهَرْ، وأَوْضَحَ نَهجًا قد دَثَر، فيه مواعظُ لمن اعْتَبَر، ومَعَاذٌ لمن ازْدَجَر، أُيِّدَ بالآي الكُبَر، فقلت: ومَن هذا المبعوثُ مِن مضر؟ قالوا: أحمدُ خير البشر، فإنْ آمنتَ أُعْطِيتَ الظَّفَر، وإن خالفتَ أُصْلِيتَ سَقَر، فآمنتُ يا خَنَافِر، وأقبلتُ إليك أُبَادِر، فجَانِبْ كُلَّ نَجِسٍ كافر، وشَايِعْ كلَّ مؤمنٍ طاهر، وإلا فهو الفِرَاقُ عن لا تَلَاق، قلت: من أين أَبْغِي هذا الدين؟ قال: مِن ذات الإِحَرِّين[1]، والنَّفَرِ المَيَامِين، أهلِ الماءِ والطين، قلت: أَوْضِح، قال: الحَقْ بيثرب ذات النخل، والحَرَّةِ ذات النَّعْل، فهنالك أهل الفضل، والطَّوْلِ والمواساة والبذل.

ثم ذهب عني فبِتُّ مذعورًا أُرَاعِي الصباح، فلما بَرَقَ لي النور امتطيت راحلتي وآذَنْتُ أَعْبُدِي واحتملت أهلي، حتى وردتُ الجوفُ، فرددتُ الإبل على أربابها، وأقبلت أريد صنعاء، فأصبت فيها معاذَ بنَ جبل أميرًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبايعته على الإسلام، وعلَّمَني من القرآن، فمَنَّ الله عليَّ بالهدى بعد الضلالة، والعلمِ بعد الجهالة، وقلت في ذلك:

ألم تَــرَ أنَّ اللهَ عــاد بفضلِه	فأَنْقَذَ مِن لفحِ الزَخِيخِ[2] خَنَافِرَا
وكَشَّفَ لي عن حَجْمَتَيَّ[3] عَمَاهُمَـا	وأَوْضَــحَ لي نَهْجِي وقـد كـان دَاثِـرَا

---

(١) جمع حَرَّة، والحرة أرض ذات حجارة سود، ويقصد المدينة المنورة (ينظر:غريب الحديث للخطابي ٢/ ٢٠٣).

(٢) الزَّخِيخُ: شِدَّةُ بَريقِ الجمْرِ (ينظر: تهذيب ٦/ ٢٩٤).

(٣) الحَجْمَتان: الحدقتان (ينظر: تهذيب اللغة ٥/ ٨٦).

دعــانيَ شَــصَّــارُ للتي لــو رَفَضْتُها ... لَصَليتُ جَمْرًا مِن لَظَى الهَوْبِ وَاهِرَا[1]

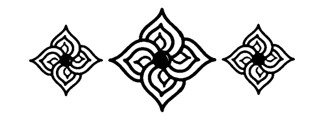
فأصبحتُ والإسلامُ حَشْوُ جَوَانِحِي ... وجَانَبْتُ مَن أمسَى عن الحق نَائِرَا

وكــان مُــضِلِّي مَــن هُــدِيــتُ بـرُشْدِهِ ... فلله مُـغْــوٍ عــادَ بــالــرُّشْـدِ آمِـرَا

نجوتُ بحمدِ الله مِــن كــلِّ قَحْمَةٍ ... تُــؤَرِّثُ هُلْكًا يــومَ شايَعْتُ شَــاصِرَا

فمَنْ مُبْلِغٌ فتيانَ قَوْمِي أَلُــوكَــةً[2] ... بِــأَنِّي مِــن أَقــتــال مَــن كــان كــافِــرَا

عليكم ســواءَ القَصْدِ لا فَلَّ حَدُّكُمْ ... فقد أصبحَ الإسلامُ للكفر قَاهِرا[3]



(١) الهَوْبُ: وهج النار (ينظر: الصحاح ١/ ٢٣٩)، والواهر، يُقَال: لَهب واهر، أي سَاطِع (ينظر: المعجم الوسيط ٢/ ١٠٥٩).

(٢) الأَلُوكَة والمَأْلُكَة، هِيَ الرِّسَالة. (ينظر: اللسان، مادة: ألك ١٠/ ٣٩٣).

(٣) الاكتفاء ١/ ١٤٥، والإصابة ٣/ ٣٥٠، وأمالي القالي ١/ ١٣٤.

خبر مَرْثَد بن عَبْدِ كُلَال

يذكر أهل السير أن مرثد بن عبد كُلال[1] قَفَل من غَزوةٍ غزاها بغنائم عظيمة، فوفد عليه زعماءُ العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه، فرفع الحِجَاب عن الوافدين، وأَوْسَعَهم عطاءً، واشتد سرورُه بهم، فبينما هو على ذلك إذ نام يومًا فرأى رؤيا في المنام أخافته وأذعرته وأهالته، فلما انتبه أُنسِيهَا حتى لم يذكر منها شيئًا، واستقرَّ ارتياعُه بها في قلبه، فانقلب سروره حزنًا، واحتجب عن الوفود حتى أساءت به الوفودُ الظن، ثم إنه حَشَرَ الكهان فجعل يخلو بكاهنٍ كاهنٍ ثم يقول له: أخبرني عما أريد أن أسألك عنه، فيجيبه الكاهن بأنْ لا علمَ عندي، حتى لم يَدَع كاهنًا عَلِمَه إلا كان إليه منه ذلك، فتضاعف قَلَقُه، وطال أَرَقُه، وكانت أُمُّه قد تَكَهَّنَت، فقالت له: أَبَيْتَ اللَّعْنَ أيها الملك، إن الكَوَاهِنَ أَهْدَى إلى ما تسأل عنه لأنَّ أَتْبَاعَ الكواهن من الجانّ أَلْطَفُ وأظرف من أتباع الكهان، فأمر بحشر الكواهن إليه، وسألهُنَّ كما سألَ الكُهَّان فلم يجد عند واحدةٍ منهن علمًا مما أراد عِلْمَه، ولما يئس من طُلْبَتِه، سَلَا عنها وتناساها، ثم إنه بعد ذلك ذهب يَتَصَيَّد فأَوْغَلَ في طلب الصيد، وانفرد عن أصحابه فرُفِعَت له أبياتٌ في ذُرَى جبلٍ، وكان قد لَفَحَهُ الهَجِير، فعدَلَ إلى الأبيات وقصد بيتًا منها كان منفردًا عن بقية البيوت، فبرزت إليه منه عجوز، فقالت له: انْزِل بالرَّحْبِ والسعة والأمن والدعة، والجَفْنَةِ المُدَعْدَعَة،

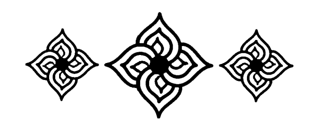
(١) كان تُبَّع ونسله هم ملوك العرب، وانتقل الملك فيما بينهم حتى أفضى إلى أسعد بن عمرو، ومنه إلى ابن عمه مرثد بن عبد كلال بن تبّع الأقرن. (ينظر: نهاية الأرب للنويري ١/ ٢٠٠).

فنزل عن جواده ودخل البيت، فلما احتجب عن الشمس، وخَفَقَت عليه الأرواحُ نام، فلم يستيقظ حتى تَصَرَّمَ الهجير، فجلسَ يمسحُ عينيه، فإذا بين يديه فتاة لم يرَ مثلَها قوامًا ولا جمالًا، فقالت له: أبيتَ اللعنَ أيها الملك الهُمام، هل لك في الطعام؟ فاشتد إشْفَاقُه وخاف على نفسه لَمَّا رأى أنها عرَفَتْه، فلم يرد عليها، فقالت له: لا حَذَرَ فِدَاك البَشر، فجَدُّكَ الأكبرُ، وحظُّنَا بك الأوفر، ثم قَرَّبَت إليه ثَرِيدًا وقَدِيدًا وحَيْسًا، وقامت تَذُبُّ عنه، حتى انتهى أكله، ثم سَقَتْهُ لبنًا صَرِيفًا وضَرِيبًا، فشرب ما شاء، وجعل يتأملها مقبلةً ومدبرة، فملأت عينيه حُسْنًا وقلبَه هوى، فقال لها: ما اسمُك يا جارية؟ قالت: اسمي عُفَيراء، فقال لها: يا عفيراء مَن الذي دعوتِه بالملك الهمام؟ قالت: مرثد العظيم الشَّان، حَاشرُ الكواهن والكهان، لِمُعْضِلَةٍ بَعُدَ عنها الجان، فقال: يا عفيراء أتعلمين تلك المعضلة؟ قالت: أجل أيها الملك إنها رؤيا منام، ليست بأضغاثِ أحلام، قال الملك: أصبت يا عفيراء، فما تلك الرؤيا؟ قالت: رأيتَ أعاصيرَ وزوابع، بعضها لبعضٍ تابع، فيها لَهَبٌ لامِع، ولها دخانٌ سَاطِع، يَقْفُوهَا نهرٌ مُتَدَافِع، وسمعتَ فيما أنت سامع، دعاءَ ذِي جَرسٍ صَادِع، هَلُمُّوا إلى المَشَارِع، فَرَوِيٌّ جَارِع، وغَرِقٌ كَارِع، فقال الملك: أجل هذه رؤياي، فما تأويلها يا عفيراء؟ قالت: الأعاصيرُ الزوابع ملوكٌ تَبَابع، والنهر عِلْمٌ واسع، والداعي نبيٌّ شَافع، والجَارِعُ وليٌّ تابع، والكارع عدوٌّ مُنَازِع، فقال الملك: يا عفيراء: أَسِلْمٌ هذا النبي أم حَرْب؟ فقالت: أُقْسِم برافع السماء، ومنزل الماء من العَماء[1]، إنه لَمُطِلُّ الدماء، ومُنْطِقُ العَقَائِلَ نُطْقَ الإماء، فقال الملك: إلَامَ يدعو يا عفيراء؟ قالت إلى صلاةٍ وصيام، وصلةِ أرحام، وكسرِ أصنام، وتعطيلِ أَزْلَام، واجتناب آثام، فقال الملك: يا عفيراء، مَنْ قَوْمُه؟ قالت: مُضَر بن نزار، وَلَهُمْ منه نَقْعٌ مُثَار، ينجلي عن ذبحٍ وآثار، فقال

(١) العَماءُ: السَّحَابُ (ينظر: غريب الحديث للحربي ٢/ ٧٥٤).



الملك: يا عفيراء إذا ذبَحَ قومَه فمَنْ أَعْضَادُه؟ قالت: أعضاده غَطَارِيفُ يهَانُون، طائِرُهُمْ به ميمون، يُغْزِيهِم فَيَغْزُون، ويدمث[1] بهم الحَزُون[2]، وإلى نَصْرِه يَعْتَزُون، فأَطْرَق الملك يشاوِرُ نفسَه في خطبتها، فقالت: أبيتَ اللعن أيها الملك، إنَّ تَابِعِي غَيُور، ولِأَمْرِي صبور، ونَاكِحِي مثبور، والكَلَفُ بي ثُبُور، فنهض الملك وجالَ في صَهْوَةِ جواده وانطلق، ثم بعث إليها بمائة ناقة كوماء[3].



(١) يُدَمِّث: يلين ويسهل (ينظر: الصحاح ١/ ٢٨٢).
(٢) الحَزُون: كل صعب غليظ من الأرض وغيرها (ينظر: جمهرة اللغة ٢/ ٨٠٦).
(٣) نهاية الأرب ١٦/ ١٥٨، وحياة الحيوان ١/ ٣١٢، وتاريخ الخميس ١/ ٣٠.

خبر زُهْرَة ابنِ كِلَابٍ وابنَتِه

رُزِقَ زُهْرَة ابن كلاب ببنتٍ بيضاء شديدة البياض، وبِها شَامَةٌ سوداء، فَكَرِهَ بياض جسمها وسَوَاد شامتها، وأمر أن تُوَارَى حيَّةً في التراب، فخرج بها الذي أَمَرَهُ زُهْرَةُ أن يدفنَها حتى إذا دنا من الحجون حفر لها ودَلَّاها في الحفرة، فسمع هاتفًا يقول: رُبَّ فارسٍ رَكَّاد، مُطْعِمٍ جَوَّاد، في السنة الجَمَاد، من الجارية الملقاةِ بالوَاد، فلما سمع الرجل مقالةَ الهاتف استخرجها من الحفرة وانطلق إلى أبيها فأخبره بما سمعه، فقال زهرة: دعها فسيكون لها نبأٌ وشأن، وسماها السوداء، فلما كبرت تزوجها عمرو بن كعب بن تَيْم، فولدت له، ثم تزوجت غيره، وكَثُرَ بنوها وبناتها، وكانت لبيبةً حازمة كاهنة، ولما حضرتها الوفاة أمرت أن يُؤْتَى بذكور أولادها، فأُتِيَت بعبد الله بن جُدْعَان، وهشام بن المغيرة، وغيرهما من الذكور، فوَصَفَت كلَّ واحدٍ منهما بخصائصه، وذكرت جُمَلًا مما يكون من أموره، ثم أمرت أن تُعْرض عليها بناتُها، وقالت: إن فيهن لَنَذِيرَةً أو مَن تَلِدُ نَذِيرا، فعُرِضَت عليها هالةُ بنت أُهَيْب، فقالت: ليست بها، وستلد، فولدت حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعرضت عليها الشِّفَاءُ فقالت: ليست بها وستلد، فولدت عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعرضت عليها آمنة بنت وهب أم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: واللات والعزى إن ابنتي لَنِذيرَة، أو والدَة نَذِير، له شأنٌ كبير، وبُرْهَانٌ مُنير[1].

---

(١) خير البشر بخير البشر، محمد بن ظفر الصقلي ص١٧٤.

خبر قُبَاثِ بنِ أَشْيَم وكاهنِ الصحراء

كان قباث بن أشيم[1] قد شهد بدرًا مشركًا، فلما فَرَّ المشركون فَرَّ معهم، فيقول عن نفسه: سرت يومين وليلتين سيرًا شديدًا، فلما كانت الليلة الثالثةُ أصابني من الجهدِ ما الله به عَليم، وكنت أَسِيرُ على غير هُدًى، فلا أَدْرِي إلى أين أسير لِمَا أَصَابَنِي من الرعب، فأغفيتُ إغفاءةً خفيفةً ثم انتبهت مذعورًا فسرتُ مُتَباطِئًا متثاقلًا، فلما انْصَرَم غالب الليل تراءَت لي نار، فقصَدْتُها حتى انتهيت إليها، فإذا هي نارٌ موقدة أَمَامَ خيمةٍ منفردةٍ بأرضٍ لا أنيس بها، ولم أر أحدًا يوقد النار، ولا سمعت لأحد حِسًّا، فخَفَقَ قلبي وَوَقَفَ شعري وبرَق بصري من شدة الرعب، فوقفتُ مكاني مُرْتَاعًا، وإذا هاتفٌ يقول: يا قُبَاث، خِشَاشٌ[2] حَثَّاث[3]، خَابِطٌ أو عَاث، وجَائِبُ ظُلَمٍ أَمْلَاث[4]، وسَائس أمرٍ لَاث[5]، قال قباث: فقلت: أنا عائذٌ بك أيها الهاتف، قال: فأجابني قائلًا: أُدْنُ من النار، فإني لك جار، فدنوتُ منها وجلست أَصْطَلِي، ثم رميت ببصري نحو الخيمة فإذا بها

---

(١) قباث بن أشيم بْن عَامِر بن الملوح بْن يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عَامِر الكناني، شهد بدرًا مَعَ المشركين، ثُمَّ أسلم فحسن إسلامه، وكان قديم المولد، أدرك مجيء الفيل إِلَى مكَّة، ورأى روثه أخضرَ لينًا، ثُمَّ شهد اليرموك، وكان عَلَى إحدى المجنبتين، سأله عَبْد الملك بْن مروان فَقَالَ: أنت أكبر أم رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال: بل رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكبر مني، وأنا أَسَنّ منه. (أسد الغابة ٤/ ٨٠).

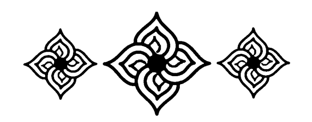
(٢) رجلٌ خِشاشٌ لطيفُ الرأس خفيف الجسم (العين ٤/ ١٣٣).

(٣) جاد سريع فِي أمره كَأَن نَفسَه تحثُّه (المحكم ٢/ ٥١٥).

(٤) أملاث: أخلاط (ينظر: خير البشر بخير البشر ص١٨٠).

(٥) قال ابن قتيبة: أصل اللوث الطيّ، يقصد أنه أمر ملتو ملتف (ينظر: المعجم العربي لأسماء الملابس، رجب عبد الجواد إبراهيم٤٥٩).

شيخ قد وضع رأسه على ركبتيه، فقلت له: عِمْ ظَلَامًا يا عَمّ، فقال: أهلًا وسُعْدًا، وقِرىً مُعَدًّا، وعَيْشًا رَغْدًا، كيف خَلَّفْتَ الجيشَ من قريش، فقلت: قَهَرُوا وظَهَرُوا، فقال: كلا والبروق الخواطف، والرعود القواصف، والرياح العواصف، لقد شَرِبَتْهُمُ السَّمْهَرِيَّاتُ الشَّوَارِع[1]، وأَكَلَتْهُم الْمُشْرَفِيَّات القَوَاطِع، وجَاسَت خلالَهم الضِّبَاع الخَوَامِع[2]، واستولت على رقابهم وأيديهم الجوامع، ولقد نَصَحَ قائلٌ لو قَبِلَ سَامِع، ولكن ما لأَمْرِ الله دافِع، قال: ثم تَأَوَّه وقال: حُطِّمَت الأوثان، وعُطلت الكهان، ورُجِمت الجانّ، لظهور الأذان، بدينٍ يدمغُ الأديان، ولكلِّ مقدورٍ أَوَان، أُقْسِمُ يا قُبَاث بالجَمَرَات الثلاث، إنها لأحداثٌ ذوات انْدِلَاث[3]، ثم صَرخَ صرخةً منكرة عظيمة وخَرَّ على وجهه، قال قباث: فقمت إليه فتأملته فإذا رُوحُه يَنْزِع، فخرجتُ مُبَادرًا وسرتُ على طريقي وأنا متعجبٌ منه ومما سمعت[4].



(١) السَّمْهَرِيَّةُ: الرماحُ الصُّلْبَةُ (ينظر: مختار الصحاح ص١٥٥)، والشوارع: المرفوعة (ينظر: العين ١/ ١٠٥).

(٢) الخامع: الذي يمشي وفي مشيته عرج (ينظر: معجم متن اللغة، أحمد رضا ٢/ ٣٣٦).

(٣) يقال: فيه اندلاث، أي: ركوب لرأسه (ينظر: كتاب الألفاظ لابن السكيت ص١٢٥).

(٤) خير البشر ص١٨١.

مَالك وطَيء ابنا سَبَأ

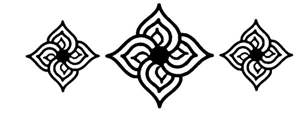
حكى الهيثم بن عدي عن شيوخه قال: انطلقَت أمُّ مالك وطيء ابني سبأ، وهما مالك وطيء ابنا أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان، فانطلقت أمُّهما بهما لما تَرَعْرَعا إلى كاهنةٍ يقال لها (شهيرة) بأرض سبأ بموضع يقال له (بَلْخَع)[1] لتنظر إليهما وتقول فيهما قولَها، وساقت معها إبلًا، فوجدت في طريقها سَحْقَ نَعْلٍ، فجعلَتْها في كِرْنَافة نخل، ثم دفعَتْها إلى رجل معها مِن قومها يقال له: صَعْل، فقالت: خَبِّء هذا معك حتى نمتحنَ الكاهنة بشيءٍ قبل المسألة، فلمّا انتهت إليها عَقَلَت بعيرها ببابها ثم قالت: يا شهيرة إني قد خبّأت لك خِبْئًا فأخبريني به قبل المسألة، فقالت: أُقْسِم بالشَّمس والقمر، والكَثْكَث[2] والحجر، والرّياح والمطر، لقد خبّأتِ لي جلدَ بقرٍ أَشْعَر، وما به شَعْرُ محضر، ثم قالت: أَحلِفُ بالسَّهل والجبل، والجَدْيِ والحَمَل، والقمر إذا أَفَل، وما حَنَّ بنجدٍ مِن جَمَل، أَنْ قد خَبَّأْتِ لي فَرْدَ نَعل، في كِرْنَافة نخل، مع رجل يدعى صَعل، رَبِّ شاةٍ وحَقْل، قالت:صدقت فأخبريني عمّا جئتُ أَسْأَلُكِ عنه، قالت: تسألين عن غلامين وُلِدَا في يومين، في بطن توأمين، أحدهما رَبْعَةٌ جَعْد[3] -تعني

(١) موضع ببلاد سبأ كان فيه الصنم (نَسْر) الذي عبدته حمير (ينظر: معجم البلدان٥/ ٢٨٤).

(٢) الكَثْكَث: التُّرَاب (ينظر: جمهرة اللغة ١/ ١٨١).

(٣) رجلٌ رَبْعَة: ليس بطويل ولا قصير (العين ٢/ ١٣٣)، ورجل جعد: إما أن يكون مقصوده أنه رجل بخيل، أو أنه ذو شعر مجعد غير مسترسل (ينظر: العين ١/ ٢١٨).

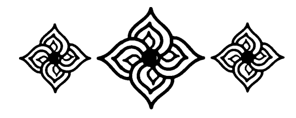
طَيِّئًا-، والآخر سَبِطٌ نَهْد[1] - تعني مالكًا-. قالت: صدقت، فأخبريني عنهما، قالت: أَهُما معك؟ فأراهما، أَم نَسْجعُ عنهما؟ قالت: هما معي، فنَظَرَت إليهما ثم أَقْبَلَت على مالكٍ فقالت: يكونُ من ولده قبائل وعَدَد، ومَصَالِيتُ[2] نُجُدْ، ورأسٌ وكَتَد[3]، وحَقٌّ وفَنَد[4]، يصيبون ويصابون، ويُلْحَمُ عليهم ويُلْحِمُون، الحَقُّ لا المَيْن، ثم نظرت إلى طيء فقالت: يكون في ولده سَمَاحٌ وجَلَد، وإباءٌ ونكَد، وعُرَامٌ[5] وسَدَدْ، يأكُلُون ولا يُؤْكلون، شديدو الكَلَب[6]، قليلو السَّلب، الحقُّ لا الكذب[7].



(١) رجل سَبْط الشّعْر: خلاف الجَعْد، ورجل سبط الْيَدَيْنِ: إِذا كَانَ جوادًا (ينظر: جمهرة اللغة ١/ ٣٣٦).
(٢) يقال: رَجُلٌ مِصْلَتٌ، بِكَسْر المِيم: إِذا كَانَ مَاضِيًا فِي الأُمور (ينظر: تاج العروس، مادة: صلت ٤/ ٥٨٩).
(٣) الكَتَد: مِن أَصل العُنُق إِلى أَسفلِ الكتفَيْنِ (ينظر: تهذيب اللغة ١٠ / ٦٣).
(٤) الفَنَد: تغير العقل بسبب الهرم (ينظر: العين ٨/ ٤٩).
(٥) العُرَامُ: الأَذَى (ينظر: المخصص ٢/ ١٢٠).
(٦) رجل كَلِبٌ: شديد الحرص على الشيء (ينظر: العين ٥/ ٣٧٦).
(٧) الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ص٤١٠.

سفيان بن مُجَاشِع

يروي النُّوَيْرِيُّ في نهاية الأَرَب أن سفيان ين مجاشع بن دَارِم ضَمِنَ دِيَاتِ أقوامٍ كانت على قومه، فخرج يستعين في أدائها ببعض العرب، فَدَفعَ إلى حيٍّ من تميم، فإذا هم مجتمعون إلى كاهنة تقول: العزيز من وَالَاه، والذليل من خَالَاه، والموفور من مَالَاه، والموتور من عادَاه..، قال سفيان: مَنْ تَذْكُرِين لله أبوك؟ فقالت: صاحبُ حلٍّ وحرم، وهُدى وعِلم، وبطشٍ وحِلم، وحربٍ وسلْم، رَأْسٌ رَءُوس، ورَائِضٌ يَسُوس، وماحِي بُوس، ومَاهِدُ وُعُوس[1]، قال سفيان: من هو، لله أبوك؟ قالت: نبيٌّ مؤيَّد، قد آنَ حينَ يُوْجَد، ودَنَا أوانُ يُوْلَد، يُبْعَثُ إلى الأحمرِ والأسود، بكتابٍ لا يُفَنَّد، اسمه محمد، قال سفيان: لله أبوك! أعربي هو أم أعجمي؟ قالت: أَمَا والسماءِ ذات العَنَان، والشجر ذات الأفنان، إنه لمن مَعَدِّ بنِ عدنان، فحسبك فقد أكثرتَ يا سفيان، فأَمْسَكَ عن سؤالها ومضى إلى أهله، وكانت امرأتُه حاملًا فولدت له ولدًا فسماه محمدًا رجاءً منه أن يكون هو النبي الموصوف[2].



(١) يقال: مهَد الفِرَاشَ أي بَسَطَهُ ووطّأه وجعله ليِّنًا يسهُل القعودُ والنّومُ عليه، ومهدَ الأرضَ بسطها (ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢١٣٢)، والوُعُوس: جمع وُعْس، وهو الرمل الناعم الذي تغيب فيه القوائم (ينظر: العين ٢/ ٢٠٣).

(٢) ينظر: نهاية الأرب ١/ ٢٧٧، والسيرة الحلبية ١/ ١٣٤.

عبدُ المُطَّلِب وذَبْحُ ابْنِهِ عبدِ الله

قال محمد بن إسحاق بن يسار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عبد المطَّلب: إني لنائمٌ في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال: احفُر طَيْبَة، قلت: وما طيبَة؟ قال: ثم ذهب عني، فلمّا كان الغدُ رجعتُ إلى مضجعِي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفُرْ زَمزم، قلت: وما زمزم؟ قال: لا تُنْزِفُ أبدًا ولا تُذَمّ، تَسْقِي الحجيجَ الأعظم، وهي بين الفَرْثِ والدَّم، عند نَقْرَةِ الغراب الأَعْصَم، عند قرية النمل، قال: فلما بَيَّنَ له شأنها، ودَلَّ على موضعها، وعَرَف أنه قد صُدِق، غدا بمعوله، ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذ ولدٌ غيرُه فحَفَر، فلمّا بدا لعبد المطّلب الطَّيُّ والبناء كَبَّر، فعرَفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطَّلب، إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقًّا، فأَشْرِكْنَا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إنَّ هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم، وأُعْطِيتُه من بينكم، قالوا له: فأَنْصِفْنا، فإنا غيرُ تاركيك حتى نُخَاصِمَك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم مَن شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد بن هَذِيم، قال: نعم، وكانت بِمَكانٍ يقال له مَعَانٍ مِن أرض الشّام، فركب عبد المطّلب ومعه نفرٌ من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، والأرض إذْ ذاك مَفَاوِز قاحلة، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشَّام فني ماء عبد المطّلب وأصحابِه، فظَمِئُوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاسْتَسْقَوا مَن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا: إنَّا بِمَفَازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم؛ فلما رأى عبد المطّلب ما صنع القوم، وما يتخوّف

على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رَأْيُنَا إلا تَبَعُ رأيك، فمُرْنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يَحْفرَ كلُّ رجلٍ منكم حفرةً لنفسه بما بكم الآن من القوّة، فكلّما مات رجلٌ دفَعَهُ أصحابُه في حفرته ثم وَارَوْه، حتى يكون آخركم رجلًا واحدًا فيموت ضَيْعَةً، فَضَيْعَةُ رجلٍ واحدٍ أيْسَرُ من ضيعة رَكْبٍ جميعًا، قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل رجل منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشًا، ثم إن عبد المطّلب قال لأصحابه: والله إنَّ إلْقَاءَنا بأَيْدِينا هكذا لِلْمَوْتِ عَجْز، أَلَا نَضْرِب في الأرض، ونبتغي لأنفسنا؟ فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارْتَحِلُوا! فارتحلوا وتقدَّمَ عبد المطّلب إلى ناقته فركبها، فلمّا انْبَعَثَتْ به انفجرَت من تحت خُفِّها عينُ ماءٍ عذب، فكبَّرَ عبد المطّلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب، وشرب أصحابُه، واستَقَوْا حتى مَلأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائلَ من قريش فقال: هَلُمُّوا إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا، فجاءوا فشربوا واستقوا ثم قالوا: قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبد المطّلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبدًا، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفَلَاة لهو الذى سقاك زمزم، فارْجِع إلى سقايتك راشدًا، فرجع ورجعوا معه، ولم يَصِلُوا إلى الكاهنة، وخَلَّوْا بينه وبينها، هذا بعضُ ما قيل في حفر زمزم.

وفي رواية أخرى: أنه قيل له: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تَنْدَم، وهى تُرَاثٌ من أبيك الأعظم، لا تُنْزِف أبدًا ولا تُذَمّ، تسقي الحجيج الأعظم، مثل نَعَامٍ جَافِلٍ لم يُقْسَم، يَنْذِرُ فيها ناذرٌ لِمُنْعَم، تكون ميراثًا وعقدًا مُحْكَم، ليست كبعضِ ما قد تَعْلَم، وهى بين الفَرْثِ والدّم.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال: فأين هي؟ قيل له:عند قرية النّمل، حيث يَنْقرُ الغراب غدًا، فغَدَا عبد المطّلب ومعه ابنُه الحارث، فوجد قريةَ

النَّمل، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين: إِسَاف ونائلة، اللَّذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها، فجاء بالمِعْوَل، وقام ليحفر حيث أمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدَّه فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وَثَنَيْنا هذين اللذين ننحر عندهما، وكان أشدهم معارضةً له عدي بن نوفل بن عبد مناف، حيث قال له: يا عبد المطلب، أَتَسْتَطِيل علينا وأنت فَذٌّ لا وَلَدَ لك؟ فقال عبد المطلب:أَبِالْقِلَّةِ تُعَيّرني؟ فو الله لئن آتاني الله عشرةً من الولد ذكورًا لأَنْحَرَنَّ أحدَهم عند الكعبة، ثم قال عبد المطّلب لابنه الحارث: ذُدْ عنّي حتى أحفر، فو الله لأَمْضِيَنَّ لِما أُمِرْتُ به.

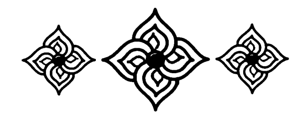
فلمّا عرفوا أنه غيرُ نَازِعٍ خَلَّوْا بينه وبين الحفر وكَفُّوا عنه، فلم يحفر إلا يسيرًا حتَّى بَدَا له الطَّيّ، فكبَّر وعَرَف أنه قد صُدِق، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دَفَنَتْهما قبيلة جُرْهُم حين خرجت من مكَّة، ووجد فيها سيوفًا وأَدْرَاعًا، فقالت له قريش: لنا معك في هذا شِرْك وحقّ، قال: لا، ولكن هَلُمُّوا إلى أمر عَدْلٍ بيني وبينكم، نضرب عليها بالقِدَاح، قالوا: وكيف نصنع؟ قال: أَجْعَلُ للكعبة قِدْحَين، ولي قِدحين، ولكم قدحين، فمن خرج قِدْحَاه على شيء كان له، ومَن تَخَلَّف قدحاه فلا شيء له، قالوا: أَنْصَفْت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين له، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوها صاحبَ القداح الذي يضرب بها عند هُبَل، وهو أعظم أصنامهم، وقام عبد المطّلب يدعو، وضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطَّلب، وتَخَلَّفَ قِدْحَا قريش، فضرب عبد المطَّلب الأسياف بابًا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين، فكان أول ذَهَبٍ حُلِّيَتْهُ الكعبة، وقيل إنه جعل القفل والمفتاح من ذهب الغزالين.

ولما لَقِيَ عبد المطلب مِن قريشٍ العَنَتَ في حفر بئر زمزم نذَرَ لئن وُلِدَ له عَشَرَةُ أبناء وبلغوا معه حتى يمنعونه لَيَنْحَرَنَّ أَحَدَهم عند الكعبة لله تعالى، فلما بلغ أولادُه عشرةً وعرف أنهم سيمنعونه أخبرَهم بنذره فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذُ كلُّ رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمه.

ففعلوا وأتوه بالأقداح فدخلوا على هُبَل في جوف الكعبة وكان أعظم أصنامهم، وهو على بئرٍ يُجْمَع فيه ما يُهدَى إلى الكعبة، فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بَنِيَّ هؤلاء بقداحهم هذه -وأَخْبَرَه بنذره الذي نذر - وكان عبد الله أصغرَ أبنائه وأحبَّهم أليه، فلما أخذ صاحب القداح يضرب قام عبد المطلب يدعو الله تعالى، ثم ضرب صاحبُ القِداح فخرج قِدح عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده ثم أقبل إلى (إِسَاف ونائلة) وهما الصنمان اللذان يَنْحَر الناس عندهما، فقامت قريش من أنديتها فقالوا:ماذا تريد أن تصنع؟ قال: أذبحه، فقالت قريش وبنوه: والله لا ندعك تذبحه أبدًا حتى تعذر فيه، ولئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ مِنَّا يأتي بابنه حتى يذبحه، فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: والله لا تذبحه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلِقْ به إلى الحجاز، فإنّ به عَرَّافة لها تابع، فسلْها، ثم أنت على رأس أَمْرِك، إن أمَرَتْك أن تذبحه ذبحتَه، وإن أمرتْك بأمرٍ لك وله فيه فرج قَبِلْته، فانطلقوا حتى أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب خبره فقالت لهم: ارجعوا اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا عنها ثم غَدَوا عليها فقالت: نعم قد جاءني الخبر، فكم دِيَةُ الرجل عندكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، قالت: ارجعوا إلى بلادكم فزيدوا في الإبل عشرًا ثم اضربوا أيضًا حتى يرضى ربكم، وإن خرجَت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبُكم، فخرجوا حتى أتوا مكة ثم قَرَّبُوا عبدَ الله



وعشرًا من الإبل، فخرجت القِدَاح على عبد الله، فزادوا عشرًا فخرجت القداح على عبد الله، فما برحوا يزيدوا عشرًا وتخرج القداح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة، ثم ضربوا فخرجت القداح على الإبل، فقال من حضر: قد رَضِيَ رَبُّكَ يا عبد المطلب، فقال عبد المطلب: لا والله حتى أَضْرِبَ ثلاثَ مرات، فضربوا ثلاثًا فخرجت القداح على الإبل، فنُحِرت ثم تُرِكت لا يُصَدُّ عنها إنسانٌ ولا سَبُع[1].



---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٩، والطبري ٢/ ٢٤٢، والبداية والنهاية ٢/ ٣٠٦، الكامل ١/ ٦٠٩، ونهاية الأرب ١٦/ ٥٤.

خبر عُرْوَةَ بن مسعودٍ الثَّقفِي

كان عروة بن مسعود الثقفي غائبًا عن الطائف لما حاصرها النبي ﷺ في شهر شوال من السنة الثامنة، فلما ارتحلَ عنهم النبي ﷺ جاء عروة فَلَقِي غَيْلَان بن سَلَمَة فقال له عروة: ألا ترى عُلُوَّ أمرِ محمدٍ واتِّبَاع الناس له؟ فقال له غيلان: بلى لقد رأيت فماذا عندَكَ في أمره؟ قال عروة: إنَّ العربَ يرون أن لنا رأيًا ودهاءً، ولسنا كذلك إن لم نتبعه ونؤمن به، قال غيلان: ما أُحِبُّ أن يسمع أحدٌ من ثقيف هذا القول منك، وإني لأخافها عليك وإن كنتَ سيدَّها، قال عروة: والله ما ينبغي أنْ تَجْهَلَ صِدْقَ مقالتي وأنَّ محمدًا نبي، وإني ذاهب إليه فمتبعه، وإني أذكُرُ لك أمرًا لم أذكره لأحد قط، قال غيلان: وما هو؟ قال: قصدتُ نجرانَ لتجارةٍ قبل أن يظهر محمد وخِلَافُه لقومه، فَغَوَّرْتُ[1] تحتَ سَرْحَةٍ[2] مُنْتَبِذًا[3] من أصحابي، فإذا جاريتان تَسُوقان بَهْمًا إلى السرحة، فحَجَرَتَا البهمَ في ناحيةٍ من ظل السرحة وجلسَتَا، فتَنَاوَمْتُ لئلا أُعْجِلَهُما عن الظل، فقالت إحداهما: مَن هذا فيما تقولين، يا بنت الأكرمين؟ فقالت الأخرى: هذا عروة بن مسعود، سيدٌ غيرُ مَسُود، مُفِيضُ جود، وعُصْرَةُ مَنْجُود، قالت لها: صدقتِ يا ابنة الأكرمين، فمِن أين هو؟ وإلى أين نَوَى؟ قال الأخرى: أتى من المَعْقِلِ المُنِيف، طائفِ ثقيف، وهو ينوي نَجْرَان ذات المخاليف، قالت: صدقت يا ابنة الأكرمين، فما هو مُصِيبٌ في سفره هذا؟ قالت

(١) التغوير: النزول للقائلة (ينظر: خير البشر ص٢٢٥).

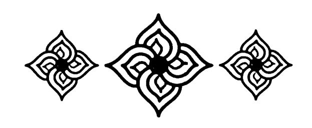
(٢) السرحة: الشجرة العظيمة (ينظر: خير البشر ص٢٢٥).

(٣) منفردًا عن أصحابه (ينظر: خير البشر ص٢٢٥).

الأخرى: تُسَهِّلُ طريقَه، ويَنْفقُ سُوقُه، ويعلو فُوقُه[1]، قالت: صدقتِ يا ابنةَ الأكرمين، فما عاقبةُ أمرِه؟ قالت الأخرى: يعيش زعيمًا، ويَتَّبع نبيًّا كريمًا، ويَتَعَاطَى أمرًا جَسِيمًا، فيَرْتَد عنه كَلِيمًا، قالت: صدقتِ يا ابنة الأكرمين، وما النبي؟ قالت الأخرى: دَاعٍ مُجَاب، لهُ أمرٌ عُجَاب، يأتيه من السماء كتاب، يَبْهَرُ الألباب، ويقهرُ الأَرْبَاب.

قال عروة: ثم أَمْسَكَتَا عن القول فغَشِيَني النوم، فما أيقظني إلا رغاءُ الإبل وأصحابي يَتَحَمَّلُون، فإذا الجاريتان قد ذهبتا، ولما بلغتُ نجران نزلت على أُسْقُفِهَا، وكان لي صديقًا، فقال: يا أبا يَعْفُور، هذا حينُ خروجِ نبيٍّ من أهل حَرَمِكُم يهدِي إلى الحق، قلت: ما هذا الذي تقول؟ قال: إِي والمسيح إنه لخيرُ الأنبياء وآخرُهم، فإنْ ظَهَرَ فكن أولَ من يؤمن به.

وقد كتمتُ هذا يا غيلانَ عن ثقيفٍ لِمَا كنت أرى من شِدَّتِهم عليه، وكنتُ امْرءًا مِنهم، وأما الآن فإني مُعْتَمِدُه ومُتَّبِعُه ومُسْتَكْثِر منه، فاكْتُم عليَّ مَخْرَجِي هذا، قال غيلان: إني فاعل ذلك، فانْصَرِف راشدًا، فأَتَى عروةُ النبيَّ ﷺ فأسلم وحَسُنَ إسلامُه[2].



(١) الفُوقُ من السهم: موضع الوتر منه (ينظر: البارع في اللغة للقالي ص٥٠٢).

(٢) خير البشر ص٢٢٣ ٢٢٥.



فهرس الموضوعات

إِسْفَارُ الصَّبَاح عن أخبارِ مَنْ غَزَا الكعبةَ بالسِّلَاح

جامع أخبار من ادعى النبوة

عَجَائِبُ أخبارِ كُهَّان الجَاهِلِيّة

